

دعوة الحق



مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السادسة والستون - العدد 445 - جمادى الأولى 1445 هـ / دجنبر 2023 م

جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة الحديث النبوي الشريف

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السادسة والستون - العدد 445 - جمادى الأولى 1445 هـ / دجنبر 2023 م



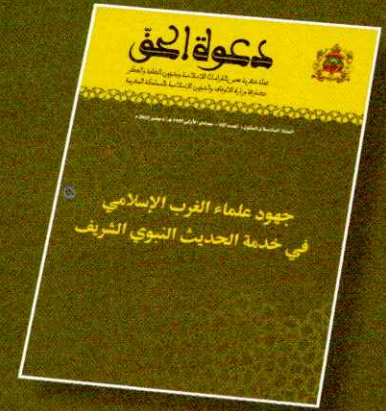
أسسها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م



يسر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية أن تعلن عن صدور العدد 445 من مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

”... ولعلنا سرتنا أن تتولوا وزارة الأوقاف إصدار
مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح
الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية
والثقافية، ولنا وصيكم الأمل في أن يلتفت حولها
معاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد
وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء“
وعسى أن تسلك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق“

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957



مجلة شهرية تعنى بالكراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

مدير المجلة

الأستاذ عبد العزيز أوالعسري

رئيس التحرير

الأستاذ عبد الحميد العلمي

العنوان

مديرية الشؤون الإسلامية،
وزارة الأوقاف الإسلامية
المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma
البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير

05 37 76 59 05

هاتف مدير المجلة

05 37 76 17 21 / فاكس: 05 37 66 06 74

التوزيع

هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10

الحساب البنكي

القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة

الاشتراك التشجيعي: 500 درهم
المملكة المغربية: 150 درهم
الخارج: 300 درهم

ثمن العدد: 15 درهم

رقم الإيداع القانوني: 3/1981
الرقم الدولي: 1981PE0003

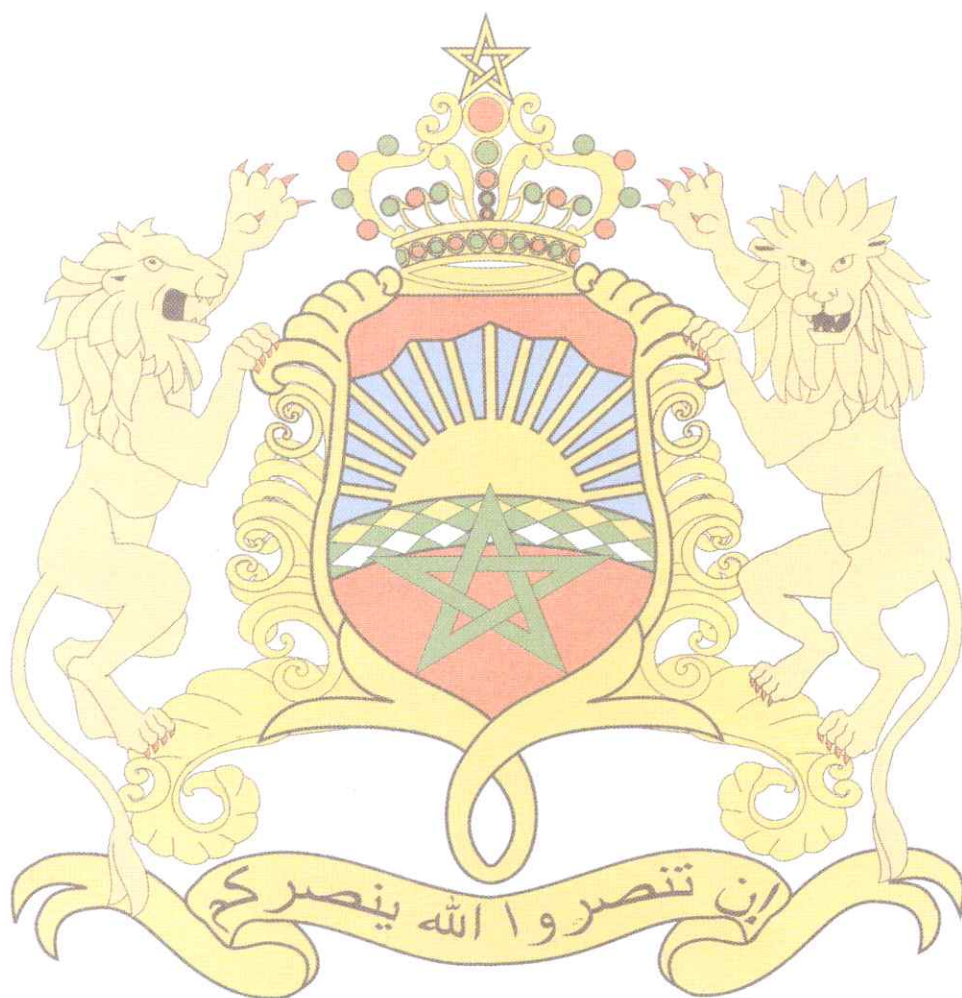
الإخراج الفني والطباعة

مطبعة المعارف الجديدة/الرباط - 2023

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده





بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد، فمن المعلوم أن الاشتغال بالسنة النبوية من أجل العلوم شأنًا، وأرفعها قدرًا؛ لذا كتب
الله لها الزيوع والانتشار وسخر لها من يخدمها من العلماء الأخيار، فعملوا على رسم فنونها،
وضبط علومها. فكان التعلق بالسنة من باب التعلق بالقرآن؛ إذ بهما يصدق المهدي ويتحقق
البيان، ويهدي ذلك التحقق نشأت هم الجهابذة الأبرار، فسبروا المقاصد والأسرار، وكشفت
بفضلهم سوايف النعم، وتوالت تواليهم في السنن، فله الحمد والمنة على ما خص به الأمة من
هدى الكتاب والسنة.

قال ابن حجر العسقلاني: «إن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص به من الاهتمام؛
الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية. ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب
الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم آلات لفهمها، وهي الضالة المصلوبة»¹.
وبه يعلم أن الاهتمام بالسنة النبوية ضالة كل مسلم أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وبموجب
تلك الأحقية باذن علماء الغرب الإسلامي وغيرهم إلى خدمة الحديث النبوي الشريف حفظًا
وتأليفًا وتدريسًا، فكان لهم القدر المعلى في نشر الحديث رواية ودراسة عملاً بهديه صلى الله
عليه وسلم، واعتباراً لمكانة السنة في التشريع الإسلامي.

لذا يسعد هيئة تحرير مجلة دعوة الحق أن تفرح هذا العدد بموضوع: "جهود علماء الغرب
الإسلامي في خدمة الحديث النبوي الشريف". بمشاركة ثلة من العلماء العاملين والأساتذة
الباحثين، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير
د. عبد الحميد العلمي

1 - ينظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج. 1، ص. 3.



ملف العدد

جهود علماء الغرب الإسلامي في
خدمة الحديث النبوي الشريف



غرض من فيض عناية مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله بحديث جده سيد المرسلين

ذ. محمد موشان

رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة الدار البيضاء سطات

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
لقد اعتنى المغاربة بالحديث النبوي الشريف عناية لا يضاهيها إلا عنايتهم بالقرآن الكريم.
ولقد أحسن المشرفون على مجلة دعوة الحق باختيار هذا الموضوع الجليل الذي يبرز جهود
المغاربة في خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويظهر بجلاء النبوغ المغربي في علم الحديث
النبوي الشريف.

إن المتأمل في كتب التاريخ المغربي، وكتب التراجم المغربية والأندلسية، سينبهر بما أنجزه علماء
الغرب الإسلامي وما قدموه في خدمة الحديث النبوي، وسيقف على غزارة إنتاجهم، مع الجودة
والإتقان في التأليف، وسيظهر له تميزهم ودقتهم فيما ألفوا من تصانيف وكتب.

ونظرة عجل على تاريخ ابن الفرضي، وجذوة المقتبس، والإعلام بمن حل مراكش وأغامت من
الأعلام، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي، وسوس العالمة للمختار السوسي، والاستقصا
في تاريخ المغرب الأقصى للناصر... وفهرس الفهارس للكتاني، ومعلمة القرآن والحديث لعبد
العزیز بن عبد الله، وكتاب التراث الحديثي بالمغرب خدمة المغاربة للمدونة الحديثية لمحمد رفيق،
وكتاب تراث المغاربة في الحديث النبوي، لمحمد بن عبد الله التليدي، والنبوغ المغربي في الحديث
النبوي للدكتور محمد رستم وغيرها كثير تظهر كل ما ذكرنا بجلاء ووضوح.

ولم يقتصر علماء الغرب الإسلامي على التأليف في الموضوعات المختلفة في علوم الحديث،
بل استدرکوا على كتب المشاركة، وتعقبوا ما ورد عند بعضهم بالدليل والبرهان؛ مما جعل العلماء
يعترفون ويقررون لهم بالمكانة المتميزة والتضلع من علوم الحديث.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنوه بما استفدته من تكويني في دار الحديث الحسنية، وهي مفخرة المؤسسات العلمية بالمملكة الشريفة، وفيها عرفنا ما للغرب الإسلامي من حضور في جميع الحقول المعرفية، وبالأخص في العلوم الشرعية.

وكم كنت أطرب لسماع بعض العلماء، وهم يتحدثون عن جهود المغاربة في هذا المجال، وتتابني مشاعر الفخر والاعتزاز، وهم يصفون مناهج علمائنا، ودقائق العلم التي ألفوا فيها، والذخائر التي خلفوها، ومن هؤلاء الذين حبوا إلى طلبة العلم الاهتمام بإبداعات المغاربة: العالم الجليل سيدي محمد المنوني، والأستاذ الفاضل محمد الراوندي رحمهما الله تعالى، والعلامة عميد المشتغلين بالسيرة النبوية فضيلة الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى سيدي محمد يسف حفظه الله تعالى وبارك فيه وفي علمه. وإن لحديثهم لوقعا في النفوس، وأثرا عميقا في الفؤاد.

وهذا الاهتمام لم يكن خاصا بالعلماء فقط وبالرعية، بل حرص ملوك المملكة المغربية على العناية بالحديث النبوي الشريف.

ووصلا للماضي بالحاضر وعلى سنن ملوك المغرب يسير مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله في الاهتمام بالسنة النبوية وإيلائها ما يليق بها من عناية.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أذكر على سبيل الفخر والاعتزاز ما تم تحقيقه وإنجازه في عهده الميمون من إنجازات في كل المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية، وما نعيشه من رفاهية وازدهار هو ثمرة عبقرية مولانا أمير المؤمنين نصره الله وأيده.

وقد أولى، نصره الله وأيده، عناية خاصة للعلوم عامة، وللعلوم الشرعية خاصة؛ خدمة لدين الله ولسنة جدّه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويظهر ذلك في أمور تجل عن الحصر، أذكر أهمها؛ لأن المقام لا يتسع لذكر كل ما تم تحقيقه، وما تم إنجازه في عهده الميمون؛ لأن بسطه يحتاج إلى مؤلفات ودواوين للوقوف عليه بتفصيل، فما نذكره هنا هو غيض من فيض جهوده وقطرة من بحر اهتمامه بالسنة النبوية الشريفة. ومن مظاهر هذه العناية:

أولا: الحديث النبوي في خطب مولانا أمير المؤمنين

إن المتتبع لخطبه نصره الله وأيده يجدها مرصعة بأحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا تخلو خطبة من استشهاد بحديث أو أحاديث، وفي ذلك دلالة قوية على حضور السنة النبوية في رؤيته العميقة في البناء والعمران؛ اقتداءً بالسيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ثانياً: تطوير وإصلاح دار الحديث الحسنية

تأسست دار الحديث الحسنية في فاتح نونبر 1964م بناء على خطاب ملكي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه في جمع من العلماء المشاركين في الدروس الحسنية. وبمقتضاه صدر المرسوم الملكي المؤسس للدار في 11 جمادى الأولى عام 1388هـ 6 غشت 1968م.

والهدف الرئيس من إنشاء هذه المؤسسة هو تكوين علماء راسخي القدم في الحديث النبوي الشريف وفي العلوم الشرعية عموماً.

وبتاريخ 18 رجب 1426هـ (الموافق 24 غشت 2005م) صدر الظهير الشريف 1.05.159 بإعادة تنظيم دار الحديث الحسنية، وقد جاء التغيير تلبية للإرادة الملكية الراسخة بمواصلة «نهج التجديد في الحقل الديني»، وذلك «بإصلاح هياكله وتأهيل مؤسساته لتكون في مستوى الأداء الجيد لمسؤولياتها العلمية والتربوية، وخصوصاً تكوين أجيال من العلماء القادرين على الاجتهاد وإعطاء الإسلام الحنيف صورته المشرقة».

وبتاريخ 16 غشت 2010م، أشرف أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله على تدشين المقر الجديد لمؤسسة دار الحديث الحسنية بحي الرياض بالرباط.

وفي سنة 2015م أصبحت مؤسسة دار الحديث الحسنية منضوية تحت جامعة القرويين بموجب ظهير شريف رقم 115.71 الصادر في 7 رمضان 1436هـ (24 يوليوز 2015م) بإعادة تنظيم جامعة القرويين.

ثالثاً: الدروس الحسنية المنيفة

هذه الدروس الحسنية المنيفة التي تَشْرُفُ برئاسة مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وحضوره الفعلي فيها، إنما هي مدارس للحديث النبوي الشريف، وإحياء لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذُبُّ عنها.

رابعاً: إحياءه ليلة القدر ورئاسته حفل ختم صحيح البخاري

الختم فن من فنون الحديث المهمة، وقد جرت عادة المغاربة بالاعتناء بصحيح البخاري وبتخصيص مجالس لسرده، تتوج بحفل الختم الذي يرأسه مولانا أمير المؤمنين نصره الله ليلة القدر، فيه يختم الصحيح ويتناول عالم من علماء المملكة الشريفة الحديث الأخير بالشرح والدراسة والتحليل.

خامساً: ختم كتاب الشفا للقاضي عياض

للمغاربة عناية خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى وشغف كبير بهذا السفر العظيم.

وبتوجيه من أمير المؤمنين تقوم المجالس العلمية بالمملكة بتدريس هذا الكتاب النفيس وشرحه، وخصوصاً في ربيع الأنوار، حيث يسرد الكتاب في المساجد الجامعة، ويشرح ويختتم في ليلة المولد الشريف.

سادساً: الأمر السامي بتحقيق موطأ الإمام مالك

الموطأ كتاب جليل عظيم القدر؛ فهو أول كتاب حديثي يصل إلينا، قال الإمام ابن العربي في كتابه عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي: «اعلموا- أنار الله أفئدتكم- أن كتاب الجعفي¹ هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هو الأول واللباب»².

وقد أعطى حفظه الله تعالى أمره السامي بتحقيق موطأ الإمام مالك رحمه الله، الذي جمع بين كونه أقدم كُتُب الحديث، وصحة ما جاء فيه من الأحاديث، وجلالة قدر مؤلفه وهو الإمام مالك رحمه الله. والمعتنون بتحقيق المخطوطات يقرون بأن الطبعة التي أشرفت عليها لجنة علمية من المجلس العلمي الأعلى، هي أتقن وأدق نسخة وأحسن طبعة لهذا السفر العظيم. وقد تُرجم بمملكتنا الشريفة بجامعة الأخوين بإشراف من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى الإنجليزية، وهي النسخة التي اعتمدها برنامج الدراسات الشرعية في جامعة هارفارد الأمريكية اعترافاً بجودتها وأهميتها في الاطلاع على أول كتاب حديثي وصل إلينا.

سابعاً: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بأمر من أمير المؤمنين أشرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على طبع عدة أسفار ونفائس مما دبجته يراع علماء الغرب الإسلامي، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- 1 - «السلطان ظل الله في الأرض» حديث شريف للأستاذ محمد الحاج الناصر.
- 2 - أربعون حديثاً في اصطناع المعروف، جمع زين الدين أبي محمد عبد العظيم المنذري (ت 656هـ).
- 3 - أقرب المسالك إلى موطأ الإمام مالك للأستاذ محمد التهامي كنون.
- 4 - إتحاف ذي التشوق والحاجة إلى قراءة سنن ابن ماجة لمحمد الحفيد بن عبد الصمد كنون الحسني الإدريسي.
- 5 - إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب للشيخ محمد ابن أحمد الغازي المكناسي (841 - 919هـ).

1 - الجعفي - كما لا يخفى على طلبة العلم - هو صاحب الجامع الصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى.

2 - عارضة الأحوذى، 1/ 5.

- 6 - التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي (403هـ - 474هـ).
- 7 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي (368هـ - 463هـ).
- 8 - التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح الإمام مسلم لأبي علي الغساني الجبلي (427-498هـ).
- 9 - بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد للقاضي عياض بن موسى السبتي (476-544هـ).
- 10 - تقييد المهمل وتمييز المشكل للحافظ أبي علي الحسين بن محمد الغساني الجبلي (427هـ - 498هـ).
- 11 - تلخيص علم الحديث ومصطلحه للأستاذ مصطفى بن محمد الدغاي القصري.
- 12 - حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب نموذجاً للأستاذ خالد الصمدي.
- 13 - صحيفتا عمرو بن شعيب وبهز بن حكيم عند المحدثين والفقهاء للأستاذ محمد علي بن الصديق.
- 14 - علم علل الحديث من خلال كتاب: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي (562هـ - 628م).
- 15 - كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي.
- 16 - كلمات صحيح البخاري للدكتور يوسف الكتاني.
- 17 - مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري للدكتور خالد الصمدي.
- 18 - مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض بن موسى السبتي (476-544هـ). وغيرها كثير.

ثامنا: الدروس الحديثية بشقيها البياني والتفاعلي

وفي إطار عنايته - حفظه الله - بالسنة، أمر جلالته بإقامة الدروس الحديثية - بشقيها البياني والتفاعلي - التي تبثها قناة محمد السادس للقرآن الكريم السادسة وإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، وقد ترأس إعطاء انطلاقها.

وقد أسهمت هذه الدروس المباركة في إغناء المشهد الديني الإعلامي بتقريب علماء الأمة - لاسيما أهل الحديث - من الناس، بالتفاعل معهم في تمييز ما صح من الحديث وما لم يصح منه، وما عليه العمل وما ليس عليه العمل، ترشيدا لفهم نصوص السنة النبوية.

بالإضافة إلى البرامج الأخرى التي تعتنى بالحديث النبوي ويقدمها علماء من المملكة الشريفة على أثر إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم وعلى قناة محمد السادس للقرآن الكريم: «السادسة».

تاسعا: جائزة محمد السادس لأهل الحديث

وجريا على سيرة أسلاف أمير المؤمنين في الاهتمام بالحديث، وحرصا من جلالته على تشجيع كل عمل يسهم في العناية به، وربطاً للشباب بالسنة النبوية المطهرة ورغبة في مكافأة القدرات الوطنية المتميزة في خدمة الحديث رواية ودراية، خصص مولانا أمير المؤمنين جائزة لأهل الحديث.

وجائزة محمد السادس للحديث خدمة أخرى للحديث وأهله، وتكريماً لحملة الحديث النبوي الشريف، حيث تُخصَّص لأهم الشخصيات العلمية التي كان لها في المملكة الشريفة حضور وتميز كبيران في خدمة الحديث رواية ودراية؛ بالذود عنه، وإيضاح مسائله وقضاياها، بما يجلي بهاء هذا الدين وجماليته. ويشرف الفائزون بهذه الجوائز الكريمة بتسلمها من يده الشريفة.

عاشرًا: منصة محمد السادس للحديث النبوي الشريف

أعطى نصره الله وأيده، أمره السامي بإنشاء هذه المنصة خدمة لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي مكرمة أخرى من مكرمات مولانا أمير المؤمنين، تُتوج كل الأوجه السابقة من العناية المتفردة، والرعاية المتجددة، وذلك بإنشاء منصة إلكترونية تُعنى بحديث سيدنا رسول الله ﷺ، وتخدم السنة بصيغة عصرية جديدة، وهكذا انتدب المجلس العلمي الأعلى - تنفيذاً للأمر السامي - نخبة من الأساتذة المتخصصين في علم الحديث؛ للإشراف على هذه المنصة، يؤازرهم ويشاركهم ثلة من الأئمة المرشدين والمرشدات من خرجي معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات.

والغاية من هذه المنصة استثمار وسائل العصر المتنوعة في تقريب الحديث النبوي لعموم الناس؛ لتمييز الغث من السمين، والصحيح من السقيم من الروايات، وتوسيع دائرة نشره في مختلف بقاع

المعمور، وَفَقَ رُؤْيَا مَعْرِفِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ طَبِيعَةِ الدَّرْسِ الْحَدِيثِيِّ بِالمَدْرَسَةِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ. وَيَتَكُونُ رَصِيدُ هَذِهِ الْمَنْصَةِ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ حَدِيثٍ، فَهِيَ تُمَكِّنُ - وَبِطَرِيقَةِ أَمْنَةٍ مِنْ فِكْرِ الْغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ، أَمْنَةٍ مِنْ فِكْرِ التَّكْفِيرِ، كُلٌّ مِنْ يَسْتَخْدِمُهَا مِنْ مَعْرِفَةٍ:

1 - مَنْ رَوَى الْحَدِيثَ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ؟

2 - دَرَجَتُهُ هَلْ هُوَ: صَحِيحٌ، أَوْ حَسَنٌ، أَوْ ضَعِيفٌ، أَوْ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ؟

3 - وَهَلْ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ هُوَ مُحْكَمٌ أَمْ مَنْسُوخٌ؟ عَامٌ أَمْ خَاصٌّ؟ مُطْلَقٌ أَمْ مُقَيَّدٌ؟

وَيَتِمُّ الْبَحْثُ فِي الْمَنْصَةِ إِمَّا عَنْ طَرِيقِ كِتَابَةِ كَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ مِنَ الْحَدِيثِ، أَوْ طَرَفٍ مِنْهُ دَالٌ عَلَيْهِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ رَاوِي الْحَدِيثِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ مَوْضُوعِ الْحَدِيثِ (مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمُضْمُونِهِ)، أَوْ عَنْ طَرِيقِ دَرَجَتِهِ مِنَ الصَّحَّةِ وَغَيْرِهَا.

فَإِذَا لَمْ يَتِمَّكَانِ الْمُتَصَفِّحُ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى الْحَدِيثِ بِالْمَنْصَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ فِي غَايَةِ النَّدَرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الْأَصُولِ أَيُّ: أَمَهَاتِ أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ، يَلْجَأُ إِلَى بَوَابَةِ «سُؤَالٍ وَجَوَابٍ» لِيُطْرَحَ سُؤَالُهُ عَلَى لَجْنَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُتَخَصَّصَةٍ تُجِيبُهُ عَنْ سُؤَالِهِ فِي أَقَلِّ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً.

كَمَا تُقَدِّمُ هَذِهِ الْمَنْصَةُ خِدْمَاتٍ جَلِيلَةً أُخْرَى مِنْهَا: الْوُقُوفُ عَلَى جُهِودِ الْمَغَارِبَةِ فِي خِدْمَةِ الْحَدِيثِ، وَمَا أَلْفَوْا وَمَا دَوَّنُوا فِي هَذَا الْمَجَالِ، كَمَا تُمَكِّنُ مِنَ الْاطَّلَاعِ عَلَى الدَّرُوسِ الْحَدِيثِيَّةِ الْمُتَلَفِزَةِ، وَالْبَرَامِجِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَالْمَحَاضِرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالنَّدَوَاتِ، وَاللِّقَاءَاتِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ... وَغَيْرِهَا.

إِنَّ الْمَغَارِبَةَ لَمُعْتَزُونَ بِمَا يُولِيهِ جَلَالَتُهُ قَضَايَا الدِّينِ مِنْ صُنُوفِ الرِّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ بِمَا لَا يَحِيطُ بِهِ عَدٌّ وَلَا حَصْرٌ، وَهُمْ فَخْرٌ بِمَا تَمَّ تَحْقِيقُهُ وَإِنْجَاؤُهُ فِي عَهْدِهِ الْمَيْمُونِ الزَّاهِرِ، فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ وَالْمِيَادِينِ. فَأَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ فِي عُلَاهُ أَنْ يَحْفَظَ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ، وَأَنْ يَحْرُسَهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَأَنْ يَحُوطَهُ بِرُكْنِهِ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَأَنْ يُعِينَهُ عَلَى مَا نَاطَهُ بِهِ، وَوَكَّلَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَدْبِيرِ أُمُورِ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، وَالذَّبِّ عَنْ حِيَاضِ الدِّينِ.

كَمَا أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُقَرَّرَ عَيْنَهُ بُولِي الْعَهْدِ، وَطَالِعِ السَّعْدِ، صَاحِبِ السَّمَوِّ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَوْلَايَ الْحَسَنِ، وَأَنْ يُنَبِّتَهُ النَّبَاتَ الْحَسَنَ، وَأَنْ يَشُدَّ عُضْدَهُ بِصُنُوهِ السَّعِيدِ، صَاحِبِ السَّمَوِّ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَوْلَايَ رَشِيدٍ، وَبِكَافَةِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْمَلِكِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

كما أسأله سبحانه أن يرحم المَلِكَيْنِ المجَاهِدَيْنِ مولانا محمدا الخامس والملك الباني مولانا الحسن الثاني، وأن يُطَيِّبَ ثراهما، وأن يجعلَهُمَا في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخصائص الكبرى للدرس الحديثي في الغرب الإسلامي

• ذ. إدريس ابن الضاوية

رئيس المجلس العلمي المحلي للعرائش

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد فقه المغاربة عبر تاريخهم الطويل قدر السنة النبوية الشريفة، وأدركوا ضرورتها في بيان مجمل مراد الله تعالى، وتعيين مواقع الاقتداء في سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم، الذي جعله الله تعالى نموذجا لرحمته، ووسيلة لبلوغ مرضاته؛ فحققوا في أنفسهم شواهد هذا الاقتداء بالعلم والفضل، والأحوال الصالحة، والمذاهب الجميلة المؤسسة عليه؛ وعكفت عصبة منهم منتجة منذ عرفت بلادهم الإسلام للعناية بها، وخضعت بالاختيار لأحكامه على جمعها من مظانها، وتصنيفها بقصد تهذيبها وتقريبها، وتبيين رتب رواتها وطبقات حمالها، وتحديد مداليلها بلحاظ أشباهها ونظائرها، وتعيين المقصود منها باعتبار شروط التنزيل التي لا يخطئها نظر الفطن البصير الذي يراعى الكليات المحكمات.

ودل على انبساط ميادين جمعهم لمتعلقاتها المنتهية بالسند إليهم مع البصر بالعلل وتمييز الرجال؛ قول العلامة أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي: «.. فلا يحل لأحد إيجاب غرامة على أحد إلا أن يوجبها نص صحيح، أو إجماع متيقن؛ فأما النص الصحيح، فقد أمنا وجوده بيقين هاهنا، فكل ما روي في ذلك منذ أربعمئة عام ونيف وأربعين عاما من شرق الأرض إلى غربها قد جمعناه في الكتاب الكبير المعروف بـ«كتاب الإيصال» ولله الحمد، وهو الذي أوردنا منه ما شاء الله تعالى، فإن وجد شيء غير ذلك فما لا خير فيه أصلا، لكن مما لعله موضوع محدث»¹.

وما ذكره ابن حزم من قوة الاشتغال الحديثي في الغرب الإسلامي تقميشا وتفقيشا وتخريجا واستدلالات، يقويه مستوى أعلام الغرب الإسلامي الكبار في التمكن من هذا الفن، وإحسان التخصص

1 - المحلى بالآثار، 25/11. قال الذهبي: «الإيصال إلى فهم كتاب الخصال»، خمسة عشر ألف ورقة. سير أعلام النبلاء، 18/193.

فيه، وإجادة التأليف في فنونه المختلفة، والتمييز بين أصول الروايات المتنوعة، والتفريق بين مراتب توصيفات النماة المتباينة، والتفصيل لدرجات أنواع المرويات المتناقلة.

وقد توثقت إسهاماتهم في هذا الفن الملي الحسي في كتب جمهرة تراجم علماء الغرب الإسلامي، وسائر كتب التراجم المؤرخة لتنقلاتهم وأنواع رحلاتهم، ووجهات طلبهم، ومواقع إفاداتهم واستفاداتهم، وأعيان مشايخهم، وقدر تلاميذهم، وأنواع تصنيفاتهم وتوصيفاتهم ومكاناتهم، وطيب آثارهم، وطبيعة مهامهم في المجتمع والدولة؛ مثل: مسعود بن علي بن المنصور المصمودي الصلتاني المنفي من كورة طنجة - كان حيا سنة 518هـ². وأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الأنصاري، طليطلي استوطن مدينة فاس³. أجاز له أبو بكر بن العربي.. وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581هـ. وأبي العباس أحمد بن سحنون بن أبي بكر بن علي القيسي المتوفى سنة 581هـ⁴. وأبي بكر أحمد بن أبي المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن جزي، البلنسي المتوفى سنة 583هـ⁵. وأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن كوثر المحاربي، الغرناطي، ابن كوثر المتوفى سنة 589هـ⁶. وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين التميمي، السبتي⁷. وأبي الحسن الباجي عقيل بن محمد بن أحمد بن عبد الله الخولاني، الشلبي الباجي الأصل باجة الغرب، وابن العقل (القرن السادس الهجري)⁸. وأبي عبد الله

2 - التكملة لكتاب الصلة، 5/ 278. وقال فيه: روى - فيما أحسب - عن أبي القاسم الحسن بن عمر الهوزني. وكان محدثا، حيا سنة ثمان عشرة وخمس مئة.

3 - التكملة لكتاب الصلة، 3/ 144. وقال فيه: تلا بالسبع على أبي الحسن: شريح وعبد الرحيم الحجاري، وروى عن أبي بكر: ابن طاهر بن فندلة، وأبي عبد الله حفيد مكي، وأجاز له أبو بكر ابن العربي. روى عنه أبو البقاء يعيش، وحدث عنه بالإجازة أبو الحسن ابن القطان؛ وكان محدثا عدلا فاضلا، يعيى من تجارته بسوق القراقين، وقد تصدر بفاس للإقراء وإسحاق الحديث.

4 - الذيل والتكملة، 1/ 304.

5 - الذيل والتكملة، 1/ 375. وقال فيه: كان محدثا حافظا ماهرا في صنعة الحساب، بارعا في علم الفرائض غالبا عليه متصدرا لإقرائهما بجامع بلنسية. وكان ثقة صدوقا، حسن الخط كتب الكثير، وعني بالعلم عناية تامة، وعمر فعلت سنه وانفرد بالرواية عن أبي محمد ابن السيد بالسباع ولم يكن له منه إجازة.

6 - الذيل والتكملة 3/ 146. وقال فيه: تلا بالسبع عليه ولازمه أربع سنين، وأبي الفتح الكروخي، وأبي المظفر محمد بن علي الشيباني. وتلا في مصر بالسبع على الخطيب أبي الفتوح العلوي، وروى بها من أبي العباس أحمد بن عبد الله بن حطيفة اللخمي المقدسي سنة ثلاث وخمسين، وأخذ النحو والآداب عن أبي محمد بن بري وأبي الوليد بن خيرة القرطبي. وبالإسكندرية من أبي الحسن مقاتل بن عبد العزيز البرقي، وأبي الطاهر السلفي. ثم عاد إلى بلده بعلم كثير ورواية واسعة، فتصدر للإقراء وإسحاق الحديث سنة ست وخمسين، فأخذ الناس عنه ورغبوا في السماع منه، واستجيز من البلاد، وكان مغيبه عن الأندلس في وجهته المشرقية نحو اثني عشر عاما.. وكان من جلة المقرئين وكبار المجودين، محدثا راوية عدلا، فاضل الأخلاق، جوادا سمحا كريم النفس، وله في القراءات مصنف نافع سماه: «العروس».

7 - الذيل والتكملة، 5/ 200. وقال فيه: روى عن أبيه، وأبي الفضل عياض. روى عنه أبو الحسين بن جبير. كان محدثا عالي الرواية فاضلا.

8 - الذيل والتكملة، 3/ 125. وقال فيه: حدث عن أبي بكر ابن العربي، وأبي الحسن يونس بن مغيث، وأبي الحسين ابن الطلاء، وأبي حفص بن يحيى ابن صاحب الصلاة، وأبي عبد الله: ابن المناصف ومالك بن هلال، وأبي العباس بن محمد بن حاطب، وأبي القاسم عبد الرحمن بن عفيف، وأبي مروان الباجي، وأبي الوليد محمد بن يونس بن مغيث ببلده وبقرطبة وإشبيلية. روى عنه أبو البقاء يعيش، وأبو بكر محمد

محمد بن قاسم بن عبد الكريم التميمي، الفاسي المتوفى سنة 603هـ أو 604هـ.⁹ وأبي الحجاج يوسف الزناتي - وكان محدثاً زاهدا ورعا فاضلا، حيا بمراكش سنة تسع وست مئة.¹⁰ وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأنصاري الأوسي، قرطبي سكن مراكش ثم رباط الفتح وتوفي سنة 622هـ.¹¹ وابن القطان الفاسي علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي. 628هـ. وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج بن صاف المراكشي المالكي المعروف بابن المواق 642هـ. وأبي عبد الله عبد الواحد بن محمد بن بقي الجذامي، المالقي سكن بمراكش المتوفى سنة 637هـ. وأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر الجذامي، السبتي، وهو سبط أبي عمرو عثمان ابن الجميل.¹² وأبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد. محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي المتوفى سنة 721هـ؛ إلى أن نصل إلى حفاظ المغرب المتأخرين، ومحدثيه المتمهرين مثل: الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الفاسي؛ والحافظ محمد بن جعفر الكتاني صاحب الرسالة المستطرفة؛ والحافظ محمد عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس؛ والحافظ أبي شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدكالي؛ والحافظ أحمد بن الصديق الغماري؛ وشقيقه الحافظ السيد أبي الفضل عبد الله؛ والعلامة سيدي أبي اليسر عبد العزيز، والدكتور إبراهيم بن الصديق رحمهم الله جميعا.

بن علي بن زيد أو يزيد الكاتب، وأبو زكريا المرجقي؛ وكان مقرئاً مجوداً عارفا بطرق القراءات واختلاف القراء حسن الضبط لما يتولاه من ذلك، ذا حظ وافر من رواية الحديث، مبرزاً في علم العربية، زاهدا فاضلا متواضعا، وخطب ببلده مدة وتصدر للإقراء به وولي الصلاة بجامعه، وصنف «الأمثال الكامنة في القرآن» وغير ذلك.

9 - الذيل والتكملة، 5/ 256. كان محدثاً حافظاً ذاكرة للحديث ورجاله وتوارىخهم وطبقاتهم، ولم يكن في ضبطه بذلك، وحدث بالمشرق والمغرب. ومن مصنفاته: كتاب «المستفاد، في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد»، سفران، و«أدب المريد السالك والطريق إلى الواحد المالك»، ورسالة «البرهان في ذكر حنين النفوس إلى الأحبة والأوطان»، و«اللمعة، في ذكر أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأولاده السبعة»، و«الإنابة في ذكر طريق أهل الاستجابة»، في جزأين، و«الإيضاح عن طريق أهل الصلاح»، و«كشف أحوال المفتونين عن الدنيا بالدين»، و«بستان العابدين وريحان العارفين في ذكر أهل الصفوة والانقطاع إلى الله بالخلوة»، و«التعزية في المصائب والمرزية»، و«الأغذية مما جاء في الحديث»، و«تحفة الطالب ومنية الراغب في الأحاديث النبوية العلية السنية»، و«المنتقى من بهجة المجالس»، و«زاد الحاج في مناسك الحج»، و«الأربعون حديثاً»، إلى غير ذلك. قال ابن الأبار: بلغني أنه دخل الأندلس وتوفي ببلده آخر سنة ثلاث أو أول أربع وست مئة.

10 - الذيل والتكملة 5/ 346. وقال فيه: روى قراءة وسماعاً عن أبي الحجاج بن محمد ابن الشيخ، وأبي القاسم أحمد بن يوسف الجقالة وأجاز له، وسمع على أبي محمد بن محمد الحجري، وناوله وأجاز له. وعلى أبي عبد الله بن إبراهيم ابن الفخار، وأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي قرأ عليه، ولم يذكر أنها أجازا له. روى عنه أبو العباس بن محمد بن عبد الله بن العوام.

11 - الذيل والتكملة 3/ 262. وقال فيه: وكان محدثاً راوية عدلاً، وولي بعض الأعمال السلطانية فسار فيها أحمد سيرة ولم ينتقل عن عدالة وفضل وجلالة. وتوفي برباط الفتح سنة اثنتين وعشرين وست مئة. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة 3/ 262.

12 - التكملة لكتاب الصلة 5/ 260. وقال فيه: روى عن أبي الخطاب عم أمه، وأبي الحجاج بن نموي، وأبي الحسن ابن خروف، وأبي الصبر الفهري، وأبي علي الرندي، وأبي محمد: ابن حوط الله وابن عبيد الله. حدث عنه بالإجازة صاحبنا أبو مروان بن موسى ابن الكمال، وكان محدثاً وافر الحظ من معرفة أصول الفقه والنحو. وتوفي بشريش مغرباً عن وطنه.

ونكتفي من هذه الكوكبة المنتخبة عبر تاريخ عصر الرواية في التعاطي مع علوم الإسناد وقضاياها النقدية التي عليها الاعتماد بذكر هذه الطائفة من المحدثين الكبار الذين وقّعوا في فنون هذا العلم بشكل لافت يدل على التميز المغربي في علم الإسناد على مستوى الحفظ والشهرة بالثقة، والضبط والإتقان، واستذكار الأسانيد وتحديد مضامين المتون، والبصر بالتعديل والتجريح، ومواضع الرواة من البلدان، مع البصر بمتشابه أنسابهم، وحقيقة أسمائهم وكناهم وطبقاتهم ووفياتهم...

ومما يلفت نظر المتتبع لأقوال أهل العلم في نشأتهم ورحلتهم ومشيختهم التي عرفت في مسنداتهم أو سموها في مصادر ترجمتهم، وتلاميذهم الذين شهروا بحسن أدائهم عنهم، أو ذكروا في كتبهم أو في مصادر ترجمتهم أو تراجمهم، أو وردوا في أنواع الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والرحلات، أو بعض كتب الطبقات أنهم تميزوا في بال العناية بالحديث بعدة أمور:

أولاً: احترام توصيفات الأئمة المتقدمين، واعتماد أحكامهم على المصنفات ونصوصها المسندات، ومراتبها المستحقات، وما اندرج منها في صحيح العمليات، وما سقط منها في صادق الاعتبار، وتكلفتهم تتبع مواقع المصنفات بتحمل مشاق التنقلات، لقصد من تحملها من السابقين لهم في السماع بالشرط المتسالم عليه بين الأئمة المعلنين لتحصيل المبتغى من التشرف بتحمل الأصول وأدائها على الوجه الذي بلغت به، وفاء للورثة التي لا يجوز في حقها عندهم إلا الائتمان الواعي لهيأة الصدور التي لا تشوش عليها النفسيات، ولا مقولات النابتات.

ويتبين ذلك للبصير من خلال وفائهم لسلسلة مسنداتهم وإقرارهم بأحكام مشايخهم وتسليمهم بما بلغهم من أنواع الطرق المعتمدة عن سالفهم، المبينة من خلال وسائطها المعلومة عن حقيقة نسبة المروفعات إلى النبي صلى الله عليه وسلم طريقاً وموضوعاً، ومعاني السياقات المنتهية إليه - شرفه الله وعظم - تحقيقاً وتنزيلاً.

وقد نص على هذا المذهب المتفق عليه بين المخالطين لصناعة الحديث، المراعين لطبيعة وظيفة خطة التحديث، الحافظ ابن الصلاح في قوله: «إذا وجدنا فيما يروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثاً صحيح الإسناد، ولم نجده في أحد الصحيحين، ولا منصوفاً على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة، فإننا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته، فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد؛ لأنه ما من إسناد من ذلك إلا ونجد في رجاله من اعتمد في روايته على ما في كتابه، عرياً عما يشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والإتقان. فآل الأمر إذا في معرفة الصحيح والحسن إلى الاعتماد على ما نص عليه أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة، التي يؤمن فيها لشهرتها من التغير والتحريف، وصار معظم المقصود بما يتداول

من الأسانيد خارجا عن ذلك إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة، زادها الله تعالى شرفا، آمين»¹³.

وأيقظ إلى هذا الاقتداء في مراتب الروايات في تنصيصات السابقين، العلامة ابن خلدون في قوله: اعلم أن الأحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد - يقصد زمنه - بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها، ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل. ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفتنون إلى أنه قلب عن وضعه .. واعلم أيضا أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة والإقلال .. إلا أنه - أي مسند الطحاوي - لا يعدل الصحيحين لأن الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الأمة كما قالوه؛ .. ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالإجماع على قبولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك ريبة في ذلك فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم، والتماس المخارج الصحيحة لهم¹⁴.

ثانيا: أنهم كانوا ممن جعلوا بين أعينهم قول الله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينعروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾¹⁵. فأسهروا ليلهم، وأظمأوا نهارهم، وأتعبوا مطيهم، واغتربوا عن بلادهم في رحلات واسعة - شملت مواقع الرواية، ودور الراويين - لم يقنعوا فيها بالإجازة التي يستروح لها المنعمون، ويغتني بها القانعون، ويكتفي بها المتعجلون، بل أكثروا سماعاتهم ووفروا فوائدهم، وأعلوا رواياتهم - التي تدل عليها حسب ما يناسب طبقاتهم: ثنائياتهم، وثلاثياتهم، ورباعياتهم، وخماسياتهم، وسداسياتهم، وسباعياتهم، وثمانياتهم، وتساعاتهم، وعشارياتهم -، ووسعوا مشيخاتهم، التي تطلبوها في بلاد كثيرة، وأصقاع عديدة شملت مدن الرواية بالغرب الإسلامي التي عرف القائمون على علم الحديث فيها بإتقان أخذ

13 - معرفة أنواع علوم الحديث، ص: 16.

14 - تاريخ ابن خلدون، 1/ 561 بتصرف.

15 - التوبة: 122.

مصادر السنة أخذاً صحيحاً سماعاً ومقابلة، وإعلاء¹⁶، وضبطاً¹⁷، ووجهها، وتصحيحاً¹⁸، وتعاهداً

16 - مثل الغازي بن قيس القرطبي قال فيه القاضي عياض: من أهل قرطبة. أموي يكنى أبا محمد. رحل قديماً فسمع من مالك الموطأ وسمع من ابن أبي ذئب وابن جريج والأوزاعي وثور بن يزيد ومحمد ابن وردان، وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع الأندلس فيما قاله أبو عمرو المقرئ. قال: وشهد مالكا وهو يؤلف الموطأ ظاهراً، وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم، نفع الله به أهلها. وكان الغازي يقدم أو يؤخر فيرد عليه ذلك. وقصد قارئاً يوماً أن يقدم من أبواب الموطأ ويؤخرها، ليرى الناس حفظ الغازي فأنكر ذلك عليه، وقال إن عدت، لا تقرأ. إنها تريد أن تري الناس ما يكن يريد حفظه. روى عنه ابنه وابن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن أيوب، وقيل إنه عرض عليه القضاء فأبى... وكان إمام الناس بها في القراءة. قال أبو عمر المقرئ: وكان جيداً فاضلاً عالماً أديباً ثقة مأموناً. قال أحمد بن عبد البر: كان عاقلاً نبيلاً يروي حديثاً كثيراً ويتفقه في المسائل، رأساً في علم القرآن، متهجداً بالقرآن كثير الصلاة بالليل، وتوفي فيها قبل سنة تسع وتسعين ومائة. ترتيب المدارك وتقريب المسالك 3/ 113. وانظر إفادة النصيح ص: 60.

وأبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن يلقب بشبطون القرطبي. قال القاضي عياض: هو زياد بن عبد الرحمن ابن زهير بن ناشدة بن لوزان من حي ابن أخطب بن الحارث بن وائل اللخمي وقد قيل إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة. سمع من مالك الموطأ، وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد، وسمع من معاوية بن صالح القاضي، وكان صهره زياد، على ابنته. وروى عن عبد الله بن عقبة والليث بن سعد وسليمان بن بلال وعبد الله بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن أبي الزناد وعبد الله بن عمر العمري ويحيى بن أيوب وأبي معشر وموسى بن علي ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثي والقاسم بن عبد الله وإسماعيل بن داود وهارون بن عبد الله ومحمد بن أبي سلمة العمري وأبي معمر صاحب أنس، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة وابن أبي داود وسفيان بن عيينة وعمرو بن قيس وابن أبي حازم، وروى عنه يحيى بن يحيى الموطأ، وسماعه من مالك قبل رحلته من الأندلس، فأشار عليه زياد بالرحيل إلى مالك ما دام حياً، وأخذ عنه، ففعل. وكان زياد أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، مثقفاً بالسماع منه، ثم تلاه يحيى بن يحيى. قال يحيى بن يحيى: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام وهو أول من عرف بالسنة في تحويل الأردية في الاستسقاء، وصاحب الصلاة إذ ذاك المصعب بن عمران فأنكر ذلك. وقال هذا مذر مشر. قال يحيى: فخرجت بعد ذلك إلى المشرق، ولقيت مالك بن أنس، والليث بن سعد، ومن دونها، فوجدت سنة تحويل الأردية عندهم معروفة فاشية. قال الشيرازي: كان أهل المدينة يسمون زياداً فقيه الأندلس. وحكى ابن حارث أنه كانت له إلى مالك رحلتان: إحداها حين اجتمع به معاوية بن صالح... ترتيب المدارك وتقريب المسالك 3/ 116.

ثم يحيى بن يحيى الليثي جاء في ترتيب المدارك: قال الرازي: كان سبب طلب يحيى بن يحيى العلم، أنه كان يمر بزياد وهو يقول على أصحابه. فيميل إليه ويقعد عنده، فأعجبه ذلك زياداً، وأدناه يوماً، وقال له: يا بني إن كنت عازماً على التعلم فخذ من شعرك وأصلح ذيك. وكان يرى الخدمة، ففعل ذلك بحين، فسر به زياد واجتهد بتعليمه حتى برع تلامذه. ثم قال له زياد بعد مدة: إن الرجال الذين حملنا العلم عنهم، يدفنون. وعجز بك أن تروي عنهم دونهم. فخرج يحيى، بعد أن استسلف زياد له مالاً. إذ رغب من مال أبيه، فحجج وسمع مالكا، والليث. وكان لقاؤه لمالك سنة تسع وسبعين. السنة التي مات فيها مالك. وانصرف إلى الأندلس، فلم يلبث إلا يسيراً حتى هلك أبوه بمحلة بالجزيرة. فأخذ ما طاب من مال أبيه، ثم عاد، فحجج ولقي أصحاب مالك، ثم انصرف. وذكر مثل هذا ابن حارث: إنه كانت ليحيى رحلتان من الأندلس. سمع في أولها من مالك والليث وابن وهب، واقتصر في الأخرى على ابن القاسم وبه تفقه. ترتيب المدارك وتقريب المسالك 3/ 380.

17 - مثال مراعاة الأوجه قول القاضي عياض في كلمة: (جواثي) بضم الجيم وفتح الواو مخففة كذا ضبطها الأصيلي بغير همز، وهزمه بعضهم وبعد الألف ثاء مثلثة مقصورة مدينة بالبحرين هو أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة. وقوله في باب (أت ن) 16/1: قوله: «أثبت على أتان فأرسلت الأتان ترتع»، هي الأنثى من الحمر، مفتوحة الهمزة، وجاء في بعض روايات البخاري على حمار أتان، كذا ضبطها الأصيلي بتنوين الحرفين. مشارق الأنوار 88/1.

18 - ومن أمثلة تصحيح الأصيلي لبعض ألفاظ نسخته ضربه على كلمة «نافع» ليثبت مكانها «عبد الله بن دينار» في قول البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، عن مالك، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: «ذكر عمر لرسول الله أنه يصيبه جنابة من الليل. الحديث». قال يوسف بن حسن جمال الدين، ابن المبرّد الحنبلي (المتوفى: 909هـ) في هذا الإسناد: كذا رواه أبو زيد المروزي، وأسقط ابن السكن في روايته عن الفربري، عن البخاري عبد الله بن دينار، بين مالك، وابن عمر، وزاد نافع بعد مالك، ولعله كان في نسخة الأصيلي عن أبي أحمد غير أنه ضرب على نافع وكتب فوقه عبد الله بن دينار، ورواية أبي ذر عن شيوخه الثلاثة كرواية أبي زيد، وكلا القولين صواب والحديث محفوظ لمالك عن نافع، وعبد الله بن دينار جميعاً عن ابن عمر، ومن رواه عن مالك عن نافع إسحاق بن الطباع، وخالد بن مخلد، وأبي بكر، وسعيد بن نمير، إلا أنه أشهر برواية عبد الله بن دينار.

الاختلاف بين رواية البخاري 11/1. ومثله قوله في حديث البخاري: حدثنا الفضل بن يعقوب الرخامي، عن عبد الله بن جعفر الرقي، عن معتمر بن سليمان، عن سعيد بن عبيد الله الثقفي، عن بكر بن عبد الله المزني، وزيد بن جبير بن حية، عن جبير بن حية، عن المغيرة

وحفظاً¹⁹، وتعليقاً بما يضيء تراجم الرواة، ويدل على معاني الغامض من الألفاظ²⁰، حتى قال أبو يحيى ابن الأشج لما ورد من أهل المشرق وسئل إسماع صحيح البخاري الذي كان يرويه: لا يراني الله أحدث به والأصيلي حي أبداً، فلما مات الأصيلي أسعف.²¹

وصيرهم هذا المنحى في شدة التحري في ضبط الرواية، وقوة الائتمان على مخارجهما، متفردين بالأصول الروائية النفيسة، والأجزاء الحديثية العزيزة، مثل نسخة صحيح البخاري التي خطها الأصيلي بيده²²، وضبطها بشكل نفسه²³، وصححها بمعارضته وطيب مقارنته، ووثق اختلافاتها بهامش أصله، وقرأها على قاصديه على طريقة سلفه.

بن شعبة، قال: «أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة». الحديث: في هذا الإسناد موضعان أحدهما قوله: سعيد بن عبيد الله الثقفي في نسخة أبي زيد: سعيد بن عبد الله، وكذلك كان في نسخة أبي محمد الأصيلي إلا أنه أصلحه عبيد الله، فزاد التصغير، وكتب في الحاشية: هو سعيد بن عبيد الله بن جبير بن حية، وكذلك رواه ابن السكن على الصواب، والموضع الآخر من الإسناد قوله معتمر بن سليمان، كان في أصل أبي محمد الأصيلي: معمر بن سليمان بفتح العين، ثم ألحق تاء بين العين والميم فصار معتمر، وهو المحفوظ. الاختلاف بين رواية البخاري 124.

19 - انظر تذكرة الحفاظ 3/ 153.

20 - من أمثلة ذلك كتابة الأصيلي في حاشية نسخته على اسم «إبراهيم بن سويد» الوارد في حديث قول البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، عن إبراهيم بن سويد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه «دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة». إبراهيم بن سويد هو ابن بولا. قال يوسف بن حسن جمال الدين، ابن المبرّد الحنبلي: كتب الأصيلي بخطه في حاشية الكتاب: إبراهيم بن سويد هو ابن بولا، وذلك وهم منه، وابن هو ابن سويد بن حيان المدني، وإبراهيم بن سويد هذا يروي عن ابن بولا فاختلف عليه. ذكر البخاري في تاريخه هلال بن يسار بن بولا، سمع أنس بن مالك، روى عنه إبراهيم بن سويد بن حيان، وبولا بباء موحدة مضمومة. انظر الاختلاف بين رواية البخاري 29: ومنه كتابته على اسم هشام في قول البخاري: حدثنا حفص بن عمر الحوضي، عن هشام، عن قتادة، عن أنس، قال: «لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وذكر بقية الحديث: في كتب بعض أصحابنا عن أبي زيد هشام، وما أراه صحيحاً. قال ابن المبرّد: وقع في نسخة الأصيلي، عن أبي أحمد الجرجاني بين عمرو وفتادة همام بدل هشام، وكتب الأصيلي في حاشية كتابه: في كتب بعض أصحابنا عن أبي زيد هشام، وما أراه صحيحاً انتهى، بل هو صحيح، قال الغساني: وهكذا رواه أبو علي بن السكن وأبو ذر عن مشايخه الثلاثة، وكذلك في نسخة عن النسفي، وهو المحفوظ. انظر الاختلاف بين رواية البخاري 1/ 29.

21 - ترتيب المدارك 7/ 139.

22 - قال ابن خير الإشبيلي 70: وحدثني به بهذه الرواية أيضا الشيوخ الجلة الفقهاء المشاورون أبو القاسم أحمد ابن محمد بن أحمد بن بقي رحمه الله قراءة عليه بلفظي وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله سماعا عليه والقاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي رحمه الله قراءة عليه والشيخ أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن أبي البحر الزهري سماعا عليه أيضا قالوا كلهم حدثنا به الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرج المشهور بابن الطلاع أما ابن مغيث وحده فقرأه عليه وأما الباقر فسمعه عليه وحدثهم به عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث سماعا عليه قال حدثني به أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى سماعا عليه من عم أبيه أبي مروان عبيد الله بن يحيى ابن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك رحمه الله وحدثني بهذه الرواية أيضا الشيخ المحدث الضابط أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن طاهر القيسي رحمه الله قراءة عليه في كتابي وهو يمسك علي أصل كتابه الذي خطه بيده من كتاب أبي محمد الأصيلي الذي كان بخط يده.

23 - قال القاضي عياض في مشارق الأنوار 1/ 27: قوله: إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها كذا الأكثر هو بكسر الراء وكذا قيدناه عن شيوخنا في هذه الكتب وغيرها وكذا قيده الأصيلي بخطه وزادني ابن سراج يأرز بالضم وقيده بعضهم عن كتاب القاسبي يأرز بالفتح وحكي عنه أنه هكذا سمعه من المروزي ومعناه ينضم ويجتمع وقيل يرجع كما جاء في الحديث الآخر ليعودن كل إيمان إلى المدينة.

وقد اعتمدها القاضي عياض في تصحيح الأوهام في الحروف والألفاظ والأسانيد الواقعة في النسخ المعتمدة في الدراسة والرواية والشرح والتعليق من الموطأ والصحيحين في كتابه السائر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، فصحح على ضوئها أصح طرق روايات الموطأ والصحيحين²⁴ وغيرهما، إلا أحرفاً صححها الأصيلي بنفسه²⁵، وأخرى اختلفت الروايات فيها فوجهها له²⁶، وأخرى خطأ فيها بإعمال المعارضة ومراعاة السياق ومساندة اللغة في تضعيفها في مصدرها لا في رسمها الذي راعى فيه الأصيلي حق الرواية التي كان يوجب إسماعها على وجهها في نقل الأثبات ورسم أصولهم، ولا يسمح لأحد كائناً من كان في العلم والفهم ومعرفة تفنن العرب في تخاطبها، أن يتصور عليها بالرأي أو الإلف أو يظهرها بالاستعمال السائر.²⁷

ولم يكن المغاربة يقبلون ذلك من أي كان ممن جلس إلى الناس للإسماع، حفاظاً على رسم الرواية، ووفاء لحق تناقلها الذي يفرض الائتمان على سياقها كما سُمع، حتى لا يتغير وجه النقل للأصل فيصير مع الزمن شيئاً آخر لا يصلح معه إذ ذاك إسناد، وإن ادعي بالطرق المعتبرة الصحاح.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك، قول أبي عبد الله محمد بن محمد المراكشي في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميري المالقي الإستجي الأصل الذي كان حياً سنة تسع وثلاثين وست مئة: ..أخذ ببلده عن أبي بكر عتيق بن خلف المربيطري، وابني حوط الله، والحاج أبي عبد الله ابن صاحب الصلاة، وأبي محمد ابن القرطبي، وبقرطبة عن أبي جعفر بن

24 - قال القاضي عياض في مشارق الأنوار 12/1 باب (أب ن): وقوله ما كنا نأبى بقرية بضم الباء أي نتهمة ونذكره ونصفه بذلك كما جاء في الرواية الأخرى نظنه وأكثر ما يستعمل في الشر وقال بعضهم لا يقال إلا في الشر وقيل يقال في الخير والشر وهذا الحديث يدل عليه وفي الحديث الآخر أبنا أهلي وابنهم كلاهما بتخفيف الباء والنون وهو مما تقدم أي اتهمهم وذكرهم بالسوء ووقع في كتابي عن الأصيلي ابنهم مشدد الباء وكلاهما صواب. وقال في 17/1: في حديث عبد الله بن عبد الوهاب كنا عند أبي موسى فأتى ذكر دجاجة كذا لأبي ذر والنسفي وبعضهم بفتح الهمة وكسر الدال وعند الأصيلي فأتى ذكر دجاجة بضم الهمة على ما لم يسم فاعله وذكر فعل ماض وهذا أشبه كما قال في غير هذا الباب فأتى بلحم دجاج وبدليل قوله في هذا الحديث فدعاه للطعام كأنه شك الراوي بما أتى به لكنه ذكر أن فيه دجاجة. وقال في 20/1: في أيام الجاهلية أن رجلاً من بني هاشم استأجر رجلاً من قريش كذا لهم وعند الأصيلي وحده استأجره رجل وهو الصواب وعليه يدل بقية الحديث.

25 - قال القاضي عياض في مشارق الأنوار 15/1: في باب كراهية أن تعرى المدينة وقال ابن زريع عن روح ابن القاسم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن حفصة كذا في أصل الأصيلي ثم غيره وكتب عن أمه لأبي زيد وكذا عند النسفي وأبي ذر وقول البخاري بعد هذا وقال هشام عن زيد عن أبيه يدل أن رواية روح عن أمه كما روتها الجماعة.

26 - من ذلك قوله في مشارق الأنوار 37/1: قوله أما لا وقع هذا اللفظ في الصحيحين في مواضع بكسر الهمة وتشديد الميم وهو هكذا صحيح ولا مفتوحة عند أكثرهم وكذا ضبطناه عن شيوخنا وعن جمهور الرواة ووقع عند الطبري أما لي مكسور اللام وكذا ضبطه الأصيلي في جامع البيوع والمعروف فتحها وقد منع من كسرها أبو حاتم وغيره ونسبوه إلى العامة لكن هذا خارج جائز على مذهب كثير من العرب في الإمالة وأن يجعل الكلمة كلها كأنها كلمة واحدة وقد رواه بعض الرواة بفتح الهمة وهو خطأ إلا على لغة بعض بني تميم التي ذكرنا أنهم يفتحون همزة أما التي للتخيير.

27 - قال القاضي عياض في باب (آخر) من مشارق الأنوار 21/1: وقوله أن الآخر زنى بقصر الهمة وكسر الخاء هنا كذا رويناه عن كافة شيوخنا وبعض المشايخ يمد الهمة وكذا روي عن الأصيلي في الموطأ وهو خطأ.

يحيى. روى عنه أبو بكر بن خميس، وأبو الحكم مالك شيخنا. وكان ذا مشاركة في فنون العلم، يغلب عليه الأدب، أقرأ بجامع مالقة، وقرأ عليه «صحيح البخاري» فاستجره غالب أدبه على كلام في بعض أحاديث الجامع نقم عليه، فقطع الإقراء وتحول إلى غرناطة.²⁸

- ثالثاً: أنهم كانوا يشترطون على أنفسهم ألا يقرؤوا شيئاً من الدواوين، أو يرووا أصلاً من مؤلفات المحدثين المعتمدين، إلا بإسناد متصل إلى راوي ذلك الحديث، أو مؤلف ذلك الكتاب للراوي والمؤلف معاً، كي يضمن الاتصال بصانعه على شرط الوثاقة الجامعة بين الصدق والضبط، وحقيقة الاتصال الذي يطمئن به على صحة التناقل، ثم إبقاءً على خصيصة الإسناد الذي لا تنقطع بها النقول عن هيئة الصدور، ثم تشرفاً بسلسلة الإسناد الذي هو مما ميز الله به هذه الأمة دون سائر الأمم، وبين نقص غيرهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في إسقاط عدالتهم، وعدم جواز الرواية بالنعنة المنقطعة عنهم بقوله: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»²⁹.. أي لا حرج في إسقاط الرواية عنهم، حيث لم يكونوا أهلاً للضبط والعدالة.³⁰

وقد صح عن محمد بن سيرين أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم³¹. ونقل عن عبد الله بن المبارك: الإسناد عندي من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ولكن إذا قيل له من حدثك بقي.³² أي بقي ساكتاً منقطعاً مفهماً.³³ قال عبدان راوي هذا الحديث عن ابن المبارك: ذكر - أي عبد الله بن المبارك - هذا عند ذكر الزنادقة وما يضعون من الأحاديث.³⁴

ولذلك كان جمهور حراس الحديث في مختلف الطبقات، ينهاون عن إسقاط الإسناد غاية النهي، حتى إنهم لم يرووا حكاية ولا شعراً إلا بالإسناد إلى المروي عنه، حتى لا يدعي أحد كلام غيره أو شعر غيره، فقد فعله كثير ممن فضحه الله ببركة الإسناد وجهابذته، فما ظنك بالحديث والتفسير والفقه الذي هو علم الشريعة خاصة من بين سائر العلوم، حتى لو أوصي لأهل العلم أو لعلماء الشرع لم يصرف إلا إلى علماء التفسير والحديث والفقه، وناهيك بهم شرفاً.

28 - الذيل والتكملة 4/ 260.

29 - البخاري برقم 3461.

30 - مشيخة الإمام سراج الدين البلقيني 85.

31 - مسلم في المقدمة 14.

32 - مسلم في المقدمة 14 وتاريخ بغداد 6/ 166 وشرح العلل لابن رجب 1/ 359.

33 - الإسناد من الدين 17.

34 - قال الحاكم عقب قول ابن المبارك: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء قال أبو عبد الله فلولاً الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بتراً. معرفة علوم الحديث 6.

فكان المغاربة المشتغلون بصناعة الحديث على اختلاف طبقاتهم على شعار أهل الحديث المؤسسين في الالتزام بذكر إسناد الكتاب المقروء أولاً، إسناد يقول فيه : أخبرنا فلان بن فلان بن فلان إجازةً أو قراءةً عليه، أو سماعاً، على ما تقتضيه روايته عن شيخه، أو يقول: أخبرنا فلانٌ هكذا إلى مؤلفه، ثم يقول: قال رحمة الله عليه كذا وكذا، وفي كل مجلس يعيد ذلك الإسناد إلى مؤلفه، أو يقول بالإسناد المذكور إلى مؤلف هذا الكتاب: فلان قال رحمة الله عليه كذا وكذا، ولا يهمل ذلك، فلا يجوز غيره، في كل مصنف في كل أنواع العلوم.³⁵

وفي أن يُطلق اللفظ في كل ما يرويه الراوي مسنداً بالصيغة المصدقة لوجه تحمله، فيقول فيما سمعه من لفظ الشيخ مع غيره: حدثنا فلان، وبمفرده: حدثني، فإن كان الشيخ حدثه من لفظه، قال: أُملى من حفظه، وإن كان من الكتاب، قال: قراءة من لفظه وكتابه.. فإن شك في شيء من ذلك أخذ بأقلها مرتبة، كما إذا شك في التحديث والإخبار أخذنا بالإخبار، أو شك في السماع والإجازة، وقال: أنبأنا إجازة إن لم يكن سماعاً، هذا هو الاحتياط، في كل فصل منه خلاف مذكور في كتب الأئمة.

وبقي المغاربة على هذا السنن الذي لا يكاد يستثنى منه أحد من العلماء المُحَصِّلِينَ، ممن كتب عليه أن يشتغل بالعلوم المليية كما تدل على ذلك كتب التراجم - التي تنوه بحمل المترجم مسنداً كما في الأندلسيات - وكتب الرحلات والفهارس والأثبات والمعاجم والبرامج والمشيوخات والمسلسلات واستدعاءات الإجازات.

ومن أنفس ما ينقل من شواهد المصدقة لها، قول العلامة ابن خير الإشبيلي: إن في الإجازة فائدتين، إحداهما: استعجال الرواية عند الضرورات، والثانية: الاستكثار من المروي حتى لا يكاد أن يشذ عن استكثر من الروايات حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد احتوت روايته عليه فيتخلص بذلك من الحرج في حكاية كلامه من غير رواية. فقد سمعت الخطباء على المنابر، وأعيان الناس في المشاهد والمحاضر، يذكرون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ولا رواية عندهم لها. وقد اتفق العلماء، رحمهم الله، على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، حتى يكون عند ذلك القول مروياً ولو على أقل وجوه الروايات، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، وفي بعض الروايات: «من كذب علي...» مطلقاً دون تقييد.³⁶

35 - انظر مشيخة الإمام القزويني 86 - 87 - 88 بتصرف يسير.

36 - فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: 41.

رابعاً: أنهم كانوا يحسنون انتقاء الشيوخ، ويجيدون تتبع مواقع ذوي الرسوخ في مختلف العلوم والفنون كما يظهر ذلك جلياً في معاجمهم وأثبتاتهم ومشيختاتهم ومسلسلاتهم وفهارسهم وما يؤلفون من كتب مختلفة بشرط الإسناد إلى المصنفات المسندة الجامعة لشرطهم في الأصول المعتمدة في العزو: صحة إسناد، وسلامة أصول، وحسن عزو، وقويم فهم...

قال ابن خیر في معرض بيان شروط الحمل: ومنها اختيار الثقة المشهور بالرواية والحفظ والإتقان لما جمع المرتسم باتباع السنة وترك الابتداع³⁷. تأسيساً بإمام مذهبه مالك بن أنس رحمه الله الذي كان يوصي طلابه بتقوى الله وطلب العلم عند أهله³⁸.

وقد حمّله هذا الشرط على تضعيف من يروي عن لا تقبل روايته؛ لأنه لا يؤمن أن يضيف إلى الدين ما ليس منه، أو أن يلصق بالشريعة ما عملته أيدي المتروكين؛ وكان كثيراً ما يقول: من روى عن ضعيف فقد بدأ بنفسه³⁹.

ولذلك قال سفيان الثوري: «خذ الحلال والحرام من المشهورين، وما سوى ذلك فمن المشيخة». وأسند الحافظ السلفي إلى يحيى بن معين قوله: «إذا كتبت فقمش، وإذا حدثت ففتش». وإلى ابن صاعد قوله: قال لي إبراهيم بن أورمة: «اكتب عن كل إنسان، فإذا حدثت فأنت بالخيار». وإلى عبد الرحمن بن مهدي قوله: «الحفظ الإتقان، ولا يكون إماماً من حدث عن كل من رأى، ولا من حدث بكل ما سمع». قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني عقبه: والأصل في الطلب الأخذ عن العلماء، والإقبال على ما يرويه أعيان الفقهاء، وإن كانت روايتهم نازلة من حيث العدد والإحصاء، فنزولهم أولى من العلو عن الجهلة على مذهب المحققين من النقلة.

وعزز قوله بقول الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي: حدثني صَحْبٌ لنا كان معنا يقال له محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الهروي قال: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري يقول: سمعت عبد الله بن هاشم الطوسي يقول: كنا عند وكيع فقال: الأعمش أحب إليكم عن أبي وائل عن عبد الله؟ أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله؟ فقلنا: الأعمش عن أبي وائل أقرب! فقال: الأعمش شيخ وأبو وائل شيخ، وسفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة: فقيه عن فقيه عن فقيه عن فقيه. سمعت الشيخ أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول:

37 - فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: 18.

38 - ترتيب المدارك 2/ 69.

39 - ترتيب المدارك 2/ 69.

النزول عن نسيبك أبي الطيب حبيب بن محمد الطهراني، وأبي بكر محمد بن عمر بن عزيزة، وأبي أحمد حمد بن حنة المعبر، وأمثالهم من شيوخنا، أحب إلي من العلو عمن سواهم، فإنهم فقهاء ثقات يدرون ما يروون. سمعت عفان بن غالب الأزدي المقرئ ببغداد يقول: عندنا بالمغرب ربما وجد كتاب بالعلو عند رجل، إلا أنه لا يكون عالماً بما يرويه، أو غير ثقة، فيتركونه ويقرؤونه بالنزول على فقيه ثقة، ويعتدون به؛ أخذ هذا المذهب خلفنا عن سلفنا علماء المغرب».

وختم الحافظ السلفي بإسناد قول عبد الله بن المبارك: ليس جودة الحديث قرب الإسناد، جودة الحديث صحة الرجال. وقول يحيى بن معين: «الحديث بالنزول خير من علو عن غير ثبت».. ثم قال السلفي: هذا هذا، فأما إذا ما اجتمع في الشيخ علو الإسناد والعلم بالحديث، فهو المُنَى، وناهيك به نبلاً⁴⁰.

خامساً: أنهم ألزموا أنفسهم أداء الرواية على هيئة صدورها بأسماء رواتها ورسم سياق ألفاظها الحاملة لمعانيها، حتى لا يتذرع بالتصرف في اللفظ باستعاضته بمقاربه في المعنى إلى القول في الدين بما لم يعرفه المتفقهون المعتمدون من أهل السنة، المقتفون لآثار وراث العلم المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة المدنيين. وقد كان مالك رحمه الله في ذلك بالمحل التي تنتهي إليه فيه الصفة؛ فعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنبأنا أبي، عن مالك، أنه قال: ما كان من الحديث عن غير رسول الله فلا بأس أن يؤتى به على المعنى وما كان عن رسول الله فيؤتى اللفظ كما قال⁴¹.

وقال أشهب: سألت مالكا عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر، والمعنى واحد؟ فقال: فأما ما كان منها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أكره ذلك، وأكره أن يزداد فيها وينقص، وما كان من غير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أرى بذلك بأساً، إذا كان المعنى واحداً. قيل له: رأيت حديث النبي صلى الله عليه وسلم يزداد الواو والألف، والمعنى واحد؟ قال: أرجو أن يكون خفيفاً⁴².

قال أبو بكر الأبهري البغدادي المالكي: إنما كره تغيير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحروفه لأن في كلامه من الفوائد والمعاني ما ليس في كلام غيره، فوجب نقلها على ما سمعت منه، لأنه قد يجوز أن يفقه منها المنقول إليه، ما لم يفقهه الناقل. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله عبداً سمع منا حديثاً فآداه كما سمعه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب مبلغ أوعى من سامع». فلهذا استحب مالك رحمه الله أن يؤدي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على لفظه وحروفه لأن الفقه والأحكام تستنبط من كلامه وحروفه، فأما كلام غيره فالاختيار أن يؤدي كذلك فإن أدي على

40 - شرط القراءة على الشيوخ للحافظ السلفي، ص: 63.

41 - الكامل لابن عدي، 1/ 18.

42 - شرح الشيخ أبي بكر الأبهري البغدادي لكتاب الجامع لعبد الله بن عبد الحكم المصري المالكي، ص: 95.

المعنى جاز، لأنه لا يستنبط من كلام غيره وحروفه كما يستنبط ويفهم من كلامه، ويجوز مخالفة ما فهم من كلام غير النبي إلى غير كلامه⁴³.

ولذلك كان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأداء الباء والتاء ونحوهما كما قال معن بن عيسى⁴⁴. ولا يحمل عمن يُشَبَّح الحديث، فيخلط في روايته ولا يأتي بالحديث سليماً على وجهه⁴⁵.

وسئل عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد. فقال: أما ما كان من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي أن يقوله إلا كما جاء، وأما لفظ غيره فإذا كان المعنى واحداً فلا بأس به. قيل فحديث النبي صلى الله عليه وسلم مزاد فيه الواو والألف والمعنى واحد. قال أرجو أن يكون خفيفاً⁴⁶.

وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر تعليقا على ما جاء في حديث مالك عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت: أتيت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حين خسفت الشمس فإذا الناس قيام يصلون. وإذا هي قائمة تصلي. فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت: سبحان الله. فقلت: آية؟ فأشارت برأسها أن نعم. قالت: فقمتم حتى تجلاني الغشي. وجعلت أصب فوق رأسي الماء، فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه. ثم قال: «ما من شيء كنت لم أراه إلا قد رأيته في مقامي هذا. حتى الجنة والنار. ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبا من فتنة الدجال لا أدري أيتهما قالت أسماء..»⁴⁷. وفي قوله: «مثل أو قريب من فتنة الدجال»، دليل على أنهم كانوا يراعون الألفاظ في الحديث المسند.

وهذا في طائفة من أهل العلم وطائفة يجيزون الحديث بالمعاني. وهذا إنما يصح لمن يعرف المعاني، ومذاهب العرب، وهو مذهب ابن شهاب وعطاء والحسن وجماعة غيرهم.

وكان مالك لا يجيز الإخبار بالمعاني في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قدر على الإتيان بألفاظه. ثم أسند إلى عبد الله بن وهب قوله: سمعت مالكا، وسئل عن المسائل؛ إذا كان المعنى واحدا. والكلام مختلف فقال لا بأس به إلا الأحاديث التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

43 - شرح الشيخ أبي بكر الأبهري البغدادي لكتاب الجامع لعبد الله بن عبد الحكم المصري المالكي، ص: 95.

44 - الحلية 6/318 والتعديل والتجريح 2/769 وشرح العلل لابن رجب، ص: 113.

45 - المعرفة والتاريخ 1/684، والكامل 1/92، والكفاية 116، وسير أعلام النبلاء 8/67، وإتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك، ص: 82.

46 - الجامع لابن أبي زيد القيرواني، ص: 146.

47 - التمهيد، 22/245، والاستذكار، 2/422.

وقوله: سأل مالكا رجل فقال: الكتاب يعرض عليك فينقلب به صاحبه فيبيت عنده أيجوز أن أحدث به؟ قال: نعم. ثم قال: هذا خلاف رواية أشهب؛ لأن أشهب روى في مثل هذا المعنى: أخشى أن يزداد في كتبه بالليل، ومحمل الروایتين عندي على أن الثقة جائز أن يعار الكتب، ثم يحدث بما استعار من ذلك، وأما غير الثقة المأمون عليها فلا⁴⁸.

وهذا المنحى الموجب لوعي المسموع وحفظ سياقه كما خرج من مصدره، هو مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يحتديه المترسسون المتآمرون في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم في مواقع الاقتداء، كما يظهر من قول عبد الله بن عباس: لما ارتقى عمر المنبر، أخذ المؤذن في أذانه، فلما فرغ من أذانه، قام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فإني أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن وعاهها وعقلها وعلمها وحفظها فليتحدث بها حيث ينتهي به، ومن خشي أن لا يعيها فإني لا أحل لأحد أن يكذب علي⁴⁹. وقول قيس بن عباد: سمعت عمر يقول: من سمع حديثا فرد كما سمع فقد سلم⁵⁰.

وهو أيضا مذهب ابنه عبد الله الذي كان مالك يتتبع آثاره ويقتفي أخباره؛ فقد كان رضي الله عنه يشدد لفظ الحديث، وينهى عن تغيير الشيء منه⁵¹؛ حتى قال الثقة الصدوق المأمون خالد بن سعيد أخو إسحاق ابن سعيد عن أبيه: ما رأيت أحدا كان أشد اتقاء للحديث من ابن عمر⁵².

ويمثل لمذهبه في ضرورة موافقة الأداء لهيئة صدوره، ما رواه أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»، فقال رجل: الحج، وصيام رمضان، قال: «لا، صيام رمضان، والحج». الذي ذيله عبد الله بن عمر بقوله: هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵³. وقول يعقوب بن روي: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين». فقال ابن عمر: ويلكم، لا تكذبوا على رسول الله

48 - التمهيد 22 / 248، وانظر الاستذكار 2 / 424 و 5 / 128.

49 - التمييز، ص: 174.

50 - التمييز للإمام مسلم، ص: 174.

51 - شرح العلل، ص: 108.

52 - التمييز لمسلم، ص: 174.

53 - مسلم برقم 19 والجمع بين الصحيحين لعبد الحق الإشبيلي 1 / 116، وانظر التمييز لمسلم، ص: 173.

صلى الله عليه وسلم، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين»⁵⁴.

بل كان على هذا السنن كبار علماء الحجاز الذين آل إليهم أمر الرواية في أزمانهم، وانتهى علم الإسناد إليهم في أمصارهم فقد ذكر أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق عن ابن عيينة قال: محدثو الحجاز: ابن شهاب، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، يجيئون بالحديث على وجهه⁵⁵. أي أنهم لم يكونوا يتقصدون تغيير رسم بعض حروف السياق خشية التبديل الذي قد يخالف في الفهم المراد من صدوره؛ وكذلك كان حال محمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة⁵⁶، وغيرهم ممن رضي مدرستهم في الحفاظ على نبويات الألفاظ المقصود بمعانيها التعبد، بشرط الفهم الصحيح الذي يراعي الأصول المحكمة وما يليق بها.

والحمد لله رب العالمين.

54 - أحمد 5/ 138 برقم 5610 والتمييز لمسلم، ص: 173.

55 - أسماء شيوخ مالك، ص: 401.

56 - شرح العلل، ص: 108.

فقه الحديث عند الإمام المازري من خلال مصنفه «المعلم بفوائد مسلم»

• ذ. المصطفى زمهني

رئيس المجلس العلمي الجهوي، بني ملال - خنيفرة

تمهيد:

يعد أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد التميمي المازري¹ أحد أعمدة العلوم الإسلامية الذين أغنوا المكتبة العلمية بتأليفهم القيمة واجتهاداتهم الفريدة، وقد أهله لذلك ما اجتمع في شخصه من صفات الذكاء، والموسوعية، والتبحر في مختلف العلوم.

يقول عنه تلميذه القاضي عياض: "لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والأدب وغير ذلك، فكان أحد رجال الكمال في وقته في العلم، وإليه كان يفزع في الفتوى في الطب في بلده، كما يفزع إليه في الفتيا في الفقه"².

كان إماما متقنا لعلوم الرواية والدراية، مما رشحه ليظفر بالقباب وتجليات قل من يحوزها، ومن ذلك وصف الإمام الذهبي له بقوله: "الشيخ الإمام البحر المتفنن، كان أحد الأذكياء الموصوفين والأئمة

1 - عالم من علماء القرن السادس الهجري تنظر ترجمته مفصلة في المصادر الآتية:

- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ص: 65، تحقيق ماهر زهير جزار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1402هـ - 1982م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ج 2 / 250 - 252، تحقيق الدكتور محمد الأحدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر - القاهرة.
- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 20 / 104 - 107، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ - 1985م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ج 1 / 184، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م. وغيرها.

2 - الغنية في شيوخ القاضي.

المتبحرين، وكان بصيرا بعلم الحديث“، كما قال عنه ابن فرحون: ”إمام بلاد إفريقيا وما وراءها من المغرب، وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيقهم الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر“.

ولذلك كان طبيعيا أن يكون مرجعا للاحقين عليه من الأئمة الأعلام، إذ ارتضوا منهجه، واعتمدوا مؤلفاته في مواردهم الأساسية.

ومن هؤلاء الشيخ خليل الذي جعله أحد الأربعة³ الذين ينقل عنهم، ويستشهد بأقوالهم واختياراتهم.

لقد تبدت مكانة الإمام المازري، وتجسدت واضحة جلية، في أعمال علمية متعددة، غطت جل أصناف المعرفة، بما في ذلك علم الطب الذي نال فيه مقام الإمامة.

ومن هذه المصنفات نذكر:

- المعلم بفوائد مسلم.
- التعليقة على المدونة.
- شرح التلقين.
- الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء.
- كشف الغطا عن لمس الخطأ.
- إيضاح المحصول من برهان الأصول.
- تعليقة على أحاديث الجوزقي.
- إملاء على شيماء من رسائل إخوان الصفا.
- النكت القطعية في الرد على الحشوية والذين يقولون بقدوم الأصوات والحروف.
- نظم الفوائد في علم العقائد ...

سلك الإمام المازري منهجا واضح المعالم، بين الخطوات في استنباطاته الفقهية من أحاديث صحيح مسلم مما شرحه وأخضعه للدرس والبيان، وهي أمور تبرهن على سعة علم الرجل، وعمق اطلاعه على مختلف العلوم والفنون.

3 - المقصود بالأربعة: اللخمي، وابن يونس، وابن رشد الجد، والمازري.

وأهم ملحظ يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، أن الإمام المازري جمع في دراسته للنصوص الحديثية بين الرواية والدراية، فقد كانت له رحمه الله تعالى وقفات مع الأسانيد والروايات، كما مع الفقه والفهم.

وإجمالاً، يمكن ذكر بعض الملامح العامة لمنهج الإمام المازري في شرحه لصحيح مسلم، والتي نرى أنها عامة ترجع إليها بقية المعالم غير المذكورة في هذه السطور، فيما يأتي:

- عناية المازري بالحديث رواية.
- اهتمام المازري بغريب الحديث.
- مالكية المازري من غير تعصب.
- الحضور الأصولي في استدلال المازري.

1- عناية المازري بالحديث رواية؛

إن أهم ما يميز عمل الإمام المازري في شرحه لأحاديث صحيح مسلم تدقيق نظره في أسانيد⁴ وروايتها بالرجوع إلى نسخ الصحيح والمقارنة فيما بينها بما يعينه على الوقوف على صحيح السند وسليم المتن، فقد كان ينظر إلى الحديث نظرة أهل الحديث، ينبه على أوهام الرواة، ويذكر الصحيح من الكلام، مستفيداً في ذلك من اطلاعه على مصادر أصيلة وموارد أثيلة، كتقعيد المهمل وتمييز المشكل لأبي علي الغساني الجبلي، وتاريخ الإمام البخاري، وكتب أمهات الحديث⁵.

ومن أمثلة ذلك قوله: «خرج مسلم في باب استفتاح القراءة بالحمد لله: حدثنا ابن مهران عن الوليد عن الأوزاعي عن عبدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجهر بهؤلاء الكلمات: سبحانك اللهم». قال بعضهم: هكذا أتى إسناده عن عبدة أن عمر مرسل، وفي نسخة ابن الحذاء: عن عبدة أن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهو وهم، والصواب أن عمر، وكذلك في نسخة أبي زكرياء الأشعري عن ابن ماهان وكذلك روي عن الجلودي، ثم ذكر مسلم بعد هذا حديثاً عن الأوزاعي عن قتادة عن أنس قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون القراءة بـ«الحمد لله رب العالمين». وهذا هو المقصود في الباب، وهو حديث متصل⁶.

4 - انظر على سبيل المثال تحقيقه في سند حديث «الوضوء مما مست النار»، ج 1 / 262. وتحريره لسند حديث طرده صلى الله عليه وسلم لفاطمة، ج 1 / 304 وضبطه لحديث: «خبت وخسرت إن لم أعدل»، ج 2 / 24.

5 - انظر دراسة المحقق في حديثه عن مصادر المعلم، ج 1 / 139.

6 - المعلم، ج 1 / 262.

2 - اهتبال المازري بغريب الحديث؛

يعد غريب الحديث من أهم الفنون التي يتوقف عليها فهم النصوص الشرعية، لذا ليس بدعا أن نجد الإمام المازري يقف مع الألفاظ، يوضح معانيها، ويبين دلالاتها، ويضبط وجوها المختلفة، وهو عين ما ألفيناه جليا في شرحه: "المعلم".

وقد ساعده في ذلك ثقافته اللغوية العميقة التي أتاحت له الاطلاع على كتب المعاجم واللغة، ككتاب أبي عبيد وابن قتيبة والهروي... وهذا ما أغنى الثروة اللغوية للمعلم حتى أضحي من أهم المصادر المفيدة في غريب الحديث.⁷

ومن الأمثلة الموضحة لهذا، بيانه لكلمة خداج الواردة في حديث "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج".

قال المازري رحمه الله تعالى: "قال الهروي وغيره، الخداج: النقصان، قال: خدجت الناقة، إذا ألقت ولدها قبل أوان التناج وإن كان تام الخلق، وأخدجته: إذا ولدته ناقص الخلق، وإن كان لتمام الحمل، ومنه قيل لذي الثدي، مخدج اليد، أي ناقصها.

قال أبو بكر: قوله فهي خداج، أي ذات خداج، فحذف ذات وأقيم الخداج مقامه على مذهبهم في الاختصار، ويجوز أن يكون المعنى فيه مخدجة، أي ناقصة، فأحل المصدر محل الفعل كما قالوا: عبد الله إقبال وإدبار: وهم يريدون: مقبل ومدبر"⁸.

3 - مالكية المازري من غير تعصب؛

إن مالكية المازري ساطعة ظاهرة لكل من قرأ تأليفه، ونظر إلى اجتهاداته، فقد كان المنهج الاستدلالي المالكي مؤطرا لاختياراته الفقهية واستنباطاته العلمية، لذا كان رحمه الله تعالى منافحا عن مذهب مالك وأصحابه، منتصرا لآرائه، مرجحا اجتهاداته، مستدلا على ذلك بنصوص نقلية، ونظر عقلي، معللا أسباب ما جنح إليه.

ومن ذلك قوله في الانتصار لقول المالكية في حديث مسلم "إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكبركم": "وأما أمره صلى الله عليه وسلم أن يؤم الأكبر فنحمله على أنهم متساوون فيما سوى السن من الفضائل المعتمدة في الإمامة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: (يؤم

7 - ينظر على سبيل المثال شرحه للألفاظ الغريبة الآتية: معنى القلاص - معنى الغلول - معنى الحمة - معنى الضحضاح - معنى المكن - معنى دغلا - معنى السخاب - معنى.

8 - المعلم، ج 1 / 263.

القوم أفقههم)، وتقديم الأئمة عندنا أولى، ثم القارئ بعده، ثم بعد ذلك فضيلة السن، وعند أبي حنيفة: أن القاري أولى من الأئمة. وحجتنا عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أفقههم) ولأن الحاجة تمس إلى الفقه في الصلاة أكثر من الحاجة إلى معرفة وجوه القراءات، فإن احتج بقوله عليه السلام في حديث آخر: (يؤم القوم أقرهم) قلنا: فإن أصحابنا تأولوه على أن الأقرأها هنا هو الأئمة، لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتفقهون من القرآن، فأكثرهم قرأنا أكثرهم فقها⁹.

إلا أن دفاعه المستميت عن الإمام مالك، لم يثنه عن مخالفته والقول بخلاف قوله في المسائل التي عن له فيها غير ما عن مالك، مما جعله يجنح لغير ما جنح إليه.

ولا شك أن في صنيعة هذا موضوعية علمية، وتجردا فكريا من التعصب المذهبي الذي يحجب عن صاحبه ما كان صوابا عند غيره. ففي مسألة الجمع في الصلاتين مثلا، يرى الإمام مالك الجمع بين المغرب والعشاء، ولا يراه بين الظهر والعصر.

يقول الإمام المازري معلقا على قول عالم المدينة: "وأما الجمع في المطر فالمشهور من مذهب مالك إثباته في المغرب والعشاء، وعنه قوله شاذة: أنه لا يجمع إلا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومذهب المخالف جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المطر. واحتج القائلون بالجمع بالحديث الذي فيه (أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة ثمانيا وسبعا). قال مالك: أرى ذلك في المطر. وهذا المعنى تأوله غيره، فقال: بالجمع بين الظهر والعصر على ما جاء في الحديث، ولم يقل مالك بذلك في صلاة النهار، وخص الحديث بضرب من القياس، وذلك أن الجمع للمشقة اللاحقة في حضور الجماعة. وتلك المشقة إنما تدرك الناس في الليل، لأنهم يحتاجون إلى الخروج من منازلهم إلى المساجد. وهم في النهار متصرفون في حوائجهم، فلا مشقة تدركهم في حضور الصلاة.

وتأويل الحديث على أنه كان في مطر يضعفه ما في أحد طرق هذا الحديث، وهو قول ابن عباس (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المدينة في غير خوف ولا مطر)، فقد نص ابن عباس على أنه لم يكن في مطر¹⁰.

9 - المعلم ج 1 / 292 - 293.

10 - المعلم ج 1 / 297 - 298.

4- الحضور الأصولي في استدلال المازري:

إن النظر في اجتهادات الإمام المازري واستنباطاته الفقهية، يؤكد قوة ملكته الفقهية، وعمق استدلالاته الأصولية، ويبرهن من جهة أخرى على علو كعب الإمام في علوم الآلة لا سيما علوم أصول الفقه وقواعد اللغة، إذ مكنه ذلك من امتلاك ناصية منهج فقهي سديد، أهم معالمه أعمال القواعد العلمية، وتوظيف الضوابط المنهجية في استمداد الأحكام الفقهية.

ولتقريب ذلك نقدم مثالين يوضحان دراية المازري بالبحث الأصولي.

• المثال الأول: تخصيص عموم القرآن الكريم بخبر الأحاد.

أخذ الإمام المازري برأي الجمهور في تخصيص المقطوع بالمظنون، إذ يرى أن عموم القرآن الكريم يخصص بخبر الواحد.

ومن أمثلة ذلك قوله بتخصيص العبد من عموم الأمر بالسعي إلى الجمعة.

قال رحمه الله تعالى: ”واختلف الناس أيضا هل تجب على العبد والمسافر؟ فأسقطها عنهما مالك وأكثر الفقهاء، وأوجبها عليهما داود. ووجه الخلاف ورود خبر الواحد بالتخصيص، وهو قوله (أربعة لا جمعة عليهم). فهل يخص عموم القرآن بأخبار الأحاد أم لا؟ فيه اختلاف بين أهل الأصول. وهذا على القول بأن العبد يدخل في الخطاب مع الحر، وأما إذا قلنا: إنه لا يدخل في خطاب الأحرار، لم يكن ها هنا عموم عارض خبر واحد، بل يكون الاستمساك بالأصل واستصحاب براءة الذمة في حقه هو الأصل المعتمد عليه، وعلى هذا الخبر أيضا الوارد فيه ذكر: (أربعة لا جمعة عليهم)، وعد فيه المسافر والعبد لا يعارضه الخبر الذي ذكرناه من كتاب مسلم، ولأن المسافر رد من أربع إلى ركعتين لمشقة السفر، والخطبة في الجمعة أقيمت مقام ركعتين، فلو أوجبنا عليه لأوجبنا عليه الإتمام، وذلك لا يصح، ولأن العبد لو خوطب بالجمعة لوجب عليه السعي وإيقاع عبادة في مكان مخصوص وذلك لا يلزمه كالحج.

فإن قيل: هذا يدل على أنه إنما سقط ذلك عنه لحق السيد، فلو أذن له سيده وأسقط حقه هل يستقر عليه الوجوب لزوال العلة المسقطه له؟ قيل اختلف أصحابنا في ذلك ولم يختلفوا في أن الحج لا يجب عليه بإسقاط السيد حقه¹¹.

• المثال الثاني: إعمال مفهوم المخالفة:

يعد مفهوم المخالفة (دليل الخطاب) من أهم أصول الإمام مالك التي يعتمد عليها في بيان المسكوت عنه من النص، وقد اعتمده الإمام المازري، كما غيره من الأدلة، في شرح وبيان دلالات النصوص الحديثية.

ومن ذلك إعماله في سياق شرحه لمسألة قضاء الصلاة لمن تركها متعمدا حتى خرج وقتها. قال رحمه الله تعالى: "وأما من ترك الصلاة متعمدا حتى خرجت أوقاتها، فالمعروف من مذاهب الفقهاء أنه يقضي، وشذ بعض الناس وقال: لا يقضي، ويحتج بدليل الخطاب في قوله (من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها)، دليله أن العامد بخلاف ذلك، فإن لم نقل بدليل الخطاب سقط احتجاجه، وإن قلنا بإثباته قلنا: ليس هذا هنا في الحديث من دليل الخطاب، بل هو من التنبيه بالأدنى على الأعلى، لأنه إذا وجب القضاء على الناسي مع سقوط الإثم فأحرى أن يجب على العامد. والخلاف في القضاء في العمد كالخلاف في الكفارة في قتل العمد، والخلاف فيهما انبنى على الخلاف: هل ما في الحديث المتقدم والآية المتقدمة من دليل الخطاب أم من مفهوم الخطاب؟"¹².

أبو العباس القرطبي (ت 656هـ) وجهوده في خدمة الحديث النبوي من خلال شرحه على صحيح الإمام مسلم

• د. إدريس الخرشافي

كلية الشريعة بفاس

تزخر ربوع بلاد الغرب الإسلامي عامة، وحاضرة «قرطبة» على وجه الخصوص بالجم الغفير من الأعلام الذين أثروا دروس العلم بها، وأغنوا عطاءها الحضاري والفكري بصفة عامة، مما جعلها تتبوأ مكانة سامية رفيعة على مدار التاريخ قديمه وحديثه..

ويريد كاتب هاته السطور انطلاقا من هذا المنبر العلمي أن يُجلي قيمة عَلم بارز من أعلام المدرسة المغربية في اللغة والدراسات الحديثية والفقهية.

ويتعلق الأمر بشخصية العالم العَلم أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي ثم القرطبي المالكي الفقيه المتوفى عام 656هـ.

وتتجه محاولتي هاته إلى الإفادة مما كتبه السابقون في هذا الموضوع، والعمل على الزيادة عليه بما لم أسبق إليه. وذلك من خلال رصد ومتابعة المضامين العلمية لشرح أبي العباس القرطبي على صحيح مسلم الموسوم بـ: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» هذه المضامين التي لا تخلو من نظرات فقهية سديدة، واختيارات علمية رشيدة دالة على رسوخ قدم صاحبها في العلم والنظر والتصنيف.

ويأتي هذا البحث الذي يروم الكشف عن معالم الصنعة الحديثية والفقهية لدى علم من أعلام المدرسة المغربية في خدمة الحديث النبوي في وقت أنعم الله فيه على المغاربة بإخراج: «منصة محمد السادس للحديث النبوي» بأمر صاحب الجلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتأييد، لتبرز خصوصيات الشرط المغربي في الرواية والتحقيق والنظر..

كما يأتي هذا البحث ليسهم في إثراء المادة العلمية لهذا العدد من أعداد مجلة: «دعوة الحق» الغراء. وهذا البحث في هذا الموضوع بالذات يتغنى الكشف عن معالم صنعتي الحديث والفقه عند الإمام أبي العباس القرطبي - رحمه الله - فضلا عن إبراز اختياراته في المسائل الفقهية المؤسسة على النظر في الحديث النبوي الشريف وذلك من خلال ديوانه العلمي الماتع الذي وسمه بـ: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم».

وقد قدرت أن الوقوف عند ترجمة أبي العباس القرطبي، ومتابعة أطوار حياته العلمية خاصة مما لا جدوى من ورائه في هذا المقام اعتبارا لعدد الدراسات والبحوث التي أقيمت على هذا الأساس والتي وفّت إلى حد كبير بالمطلوب.¹

وأول ما أستهل به بحثي هذا هو فسح المجال لأبي العباس القرطبي ليحدثنا عن خطته المنهجية التي صار إليها في هذا السفر العلمي الهام. قال رحمه الله: «وبعد، فلَمَّا حَصَلَ من تلخيص كتاب مسلم وترتيبه وتبويبه المأمول، وسَهِّلَ إلى حفظه وتحصيله الوصول: رأينا أن نُكَمِّلَ فائدته للطالبين، ونُسَهِّلَ السبيلَ إليه على الباحثين؛ بشرح غريبه، والتَّنْيِيزِ على نُكْتِ من إعرابه، وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه، وإيضاح مُشْكَلَاتِهِ حَسَبَ تبويبه، وعلى مَسَاقِ ترتيبه، فنَجَمَ فيه ما سمعناه من مشايخنا، أو وقَفْنَا عليه في كتب أئمتنا، أو تَفَضَّلَ الكَرِيمُ الوَهَّابُ بفهمه علينا على طريق الاختصار، ما لم يدعُ الكَشْفُ إلى التَّطْوِيلِ والإكثار، حرصًا على التقريب والتسهيل، وعونًا على التفهم والتَّحْصِيلِ، وسمَّيته بـ: المُفْهِم لِمَا أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مُسْلِم. وقد اجتهدتُ في تصحيح ما نَقَلْتُ ورأيت، حَسَبَ وَسْعِي فيما عَلِمْتُ، غيرَ مدَّعٍ عَصَمَةٍ، ولا متبرِّئٍ من زَلَّةٍ، والعصمة من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ووجه الله الكريم لا غيرهُ قَصِدْتُ، وثوابهُ أُرِدْتُ، وهو المسؤولُ في المعونةِ عليه، والانتفاع به؛ إنه طيِّبُ الأسماء، سميعُ الدعاء. فلنشرع فيما ذكرناه، مستعينين بالله تعالى»².

ولنشرع في تقديم منتخبات من نظرات واختيارات أبي العباس القرطبي التي بناها على أساس الأحاديث الصحاح التي خرجها الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري في ديوانه الحديثي النفيس: «المسند الصحيح».

1 - قلت: أذكر من بين البحوث التي اعتنت بالترجمة لأبي العباس القرطبي: صفحات مطوية من حياة أبي العباس القرطبي... لصاحبه: ساعد غلاب. وقد نُشر هذا البحث بمجلة الحكمة للدراسات الإسلامية. المجلد: 1 العدد: 1 الصفحة من 84 إلى 114.

2 - المفهم 1/ 83-84.

1 - دراسته لفقه حديث تأخير النبي ﷺ صلاة العشاء .

أصل هذا المبحث ما حرره المصنف رحمه الله في فقه حديث مخرج في صحيح مسلم، قال الإمام مسلم - رحمه الله - : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ كِلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتْقَارِبَةٌ - قَالُوا جَمِيعًا: عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أُمِّ كُلْثُومِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ. ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوْ قُتِلَ لَوْ قُتِلَ لَوْ أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي». وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «لَوْ أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي»⁴.

وقد انبنى على أساس هذا الحديث المخرج في كتاب مسلم وغيره بحث فقهي يتناول: تحديد وقت صلاة العشاء، ويوجه تأخير النبي ﷺ صلاة العشاء وقتئذ.

وقد كان للإمام أبي العباس القرطبي نظر في هذه المسألة فقال رحمه الله: «.. وهذا يدل: على أن غالب أحواله كان يقدمها رفقا بهم، ولئلا يشق عليهم؛ كما قال في آخر هذا الحديث»⁵.

ثم عزز اختياره بما نقله عن الإمام مالك فقال: قوله: «إنه لو قتلها». يعني: الأفضل، ولهذا وشبهه قال مالك: إن تأخير العشاء أفضل. وقيل عنه: تعجيلها أفضل أخذًا بالتخفيف؛ ولأن التعجيل كان غالب أحوال رسول الله ﷺ فيها⁷.

وحرصا من المصنف رحمه الله على استكمال النظر في الحديث بتتبع رواياته وجمع طرقه على عادة المحققين من أهل الحديث، ساق رواية أخرى للحديث مخرجة في صحيح مسلم ولفظها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَغَلَ عَنْهَا لَيْلَةً فَأَخَّرَهَا حَتَّى رَقَدْنَا فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا، ثُمَّ رَقَدْنَا ثُمَّ اسْتَيْقَظْنَا، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اللَّيْلَةَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ غَيْرُكُمْ»⁸.

3 - «أعتم»: دخل في وقت العتمة، ويطلق أعتم بمعنى آخر لكن الأول هنا أظهر.

4 - صحيح مسلم. كتاب: المساجد. باب وَقْتُ الْعِشَاءِ وَتَأْخِيرُهَا. رقم الحديث: 638.

5 - قلت: يقصد قوله ﷺ: «إِنَّهُ لَوْ قُتِلَ لَوْ أَنَّ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي».

6 - المفهم: 2/ 264.

7 - نفس المصدر السابق، 2/ 264.

8 - رقم الحديث: 639. في كتاب المساجد من صحيح مسلم.

ثم قال رحمه الله شارحا وموجها: «وقوله: «فأخرها حتى رقدنا في المسجد، ثم استيقظنا، ثم رقدنا»: يعني به: نوم الجالس المحتجب⁹ وخطرات السّنات¹⁰، لا نوم الاستغراق، كما قال في الحديث الآخر: كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون حتى تخفق رؤوسهم، ثم يصلون ولا يتوضؤون..»¹¹.

وقد أفضى البحث في روايات هذا الحديث بالمصنف إلى تناول قضية اصطلاحية غاية في الأهمية تتصل بالتسمية الشرعية لصلاة العشاء انطلاقا من إحدى روايات الحديث الأصلي والتي جاء فيها قول رسول الله ﷺ: «لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمُ الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعِشَاءُ وَإِنَّهَا تُعْتَمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ»¹².

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «قلت: يظهر لي أن المقصود من هذا النهي¹³، ومن قوله: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب». ألا نتبع الأعراب في تسميتهم هاتين الصلاتين بذلك؛ لأنهم لم يقتدوا في تسميتها، لا بما جاء في كتاب الله - من تسميتها العشاء -، ولا بما جاء في السنة - من تسميتها بالمغرب¹⁴؛ إذ قد ثبت في غير ما حديث تسميتها: بالمغرب، كما جاء في حديث جبريل وغيره، والله تعالى أعلم»¹⁵.

ولقد كان المصنف رحمه الله تعالى بهذا النظر السديد مستلهما كلامه من كلام العلي العظيم الذي حكى لنا أنه عذب أقواما بسبب تسميتهم المسميات بغير أسمائها الشرعية الأصلية، قال الله عز وجل¹⁶: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكُوتِ هَذَا الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِصَّةٌ يَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتْرِيدُ الْمُعْسِينَ قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْصُونَ﴾.

9 - الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشدّه عليها. وقد يكون الاحتباء باليدّين عوض الثوب. (النهاية في غريب الحديث. باب الحاء مع الباء).

10 - قال ابن عطية: «والسنة بدء النعاس، وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه، وليس يفقد معه كل ذهنه، والنوم هو المستقل الذي يزول معه الذهن..» (المحرر الوجيز، 1/ 306).

11 - المفهم، 2/ 264.

12 - الرواية رقم: 1488 من كتاب المساجد في صحيح مسلم.

13 - النهي عن تسمية العشاء عتبة.

14 - قلت: في هذا الكلام إشارة إلى حديث خرج في الصحيح وجاء فيه تسمية العشاء مغربا ولفظه كما في كتاب البخاري: «عَبْدُ اللَّهِ الْمُزْنِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمُ الْمَغْرِبِ». قَالَ: الْأَعْرَابُ، وَتَقُولُ: هِيَ الْعِشَاءُ». صحيح البخاري كتاب: مواقيت الصلاة. باب مَنْ كَرِهَ أَنْ يُقَالَ لِلْمَغْرِبِ الْعِشَاءُ. رقم الرواية: 563.

15 - المفهم، 2/ 267، 268.

16 - الآيتان 57، 58 من سورة البقرة.

2- الأذان للصلاة الفائتة

أصل اشتغال المصنف رحمه الله بهذه المسألة حديث مخرج في كتاب مسلم وفي سياقه طول بين يروي قصة انتداب النبي ﷺ بلالا في إحدى غزواته ليرقب له ولمن كان معه ﷺ من الصحب الكرام صلاة الصبح، ونام النبي ﷺ ونام من كان برفقته من الصحب الكرام ونام أيضا بلال رضي الله عنه الذي عهد له بمراقبة وقت الصلاة. ولم يستيقظ النبي ﷺ ومن كان برفقته إلا على أصوات الصرد¹⁷.. فعاتب بلالا على ما صدر منه ثم أمره بأن يؤذن للصلاة الفائتة، وهو قوله في الحديث: «... ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَوْمٍ...»¹⁸.

وانبنى على هذه القصة خلاف بين العلماء بين من يقول بمشروعية الأذان للصلاة الفائتة ومن لا يقول به.

وقد جمع أبو العباس القرطبي بين القولين بما أوتي من حنكة وتمرس بالأدلة الشرعية فقال رحمه الله: «وقد تأول بعض أصحابنا الأذان في حديث أبي قتادة بمعنى الإعلام، وهو تكلف، بل الذي يجمع بين الأحاديث أنه إن احتيج إلى الأذان بحيث يجمع متفرقهم فعل، وعلى هذا يحمل حديث أبي هريرة¹⁹، وإن كانوا مجموعين لم يحتج لذلك؛ إذ ليس وقتا راتبا فيدعى إليه الجميع ويعلمونه ويكون شعارا، وقد قدمنا أن هذه فوائد الأذان، وعلى هذا يحمل حديث أبي قتادة²⁰، والله أعلم»²¹.

3- أخذ الزوجة من مال زوجها وهو لا يعلم انطلاقا من قصة هند.

وجه اعتناء أبي العباس القرطبي رحمه الله بهذه المسألة تخريج الإمام مسلم رحمه الله لحديث يتضمن قصة سؤال هند بنت عتبة²² زوج أبي سفيان النبي ﷺ عن حكم أخذها من مال زوجها من غير

17 - رواية الإمام أحمد في مسند أبي قتادة رقمها: 23241 والصدرد نوع من الطيور. قال ابن الأثير: «هو طائر ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم نصفه أبيض ونصفه أسود» (النهاية في غريب الحديث. باب الصاد مع الرءاء) وأصواتها تصل إلى السامعين مع طلوع النهار...

18 - صحيح مسلم. كتاب المساجد. باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها. الرواية رقم: 1594.

19 - قلت: جاء في لفظ حديث أبي هريرة الذي أشار له المصنف: «... ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ...» وهو مخرج في صحيح مسلم، (الحديث رقم: 1592 باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها). وعليه بنى المصنف توجيهه.

20 - في مسلم عن أبي قتادة قال: حَطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - غَدًا. فَانْطَلَيْتِ النَّاسَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى إِهَارَ اللَّيْلُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ. قَالَ: فَنِعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَالَ عَنْ رَأْسِهِ، فَأَنَيْتُهُ فِدْعَمَتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَوْقَظَهُ، حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَأْسِهِ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ... إِلَى أَنْ قَالَ: «... ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ. فَبَيْنَهُ الْأَمْرُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْأَذَانِ لِلْفَائِتَةِ» (الحديث رقم: 1594. باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها).

21 - المفهم 2/ 309.

22 - أي ابن عبد شمس وهي والدة معاوية قتل أبوها بيدر.. وشهدت مع زوجها أبي سفيان أحدا، وحرضت على قتل حمزة عم النبي ﷺ لكونه قتل عمها شيبه وشارك في قتل أبيها عتبة فقتله وحشي بن حرب.. ثم أسلمت هند يوم الفتح، وكانت من عقلاء النساء وكانت

علمه لتسد حاجاتها وحاجات أبنائها. قال الإمام مسلم - رحمه الله - : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةً أَبِي سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يُعْطِينِي مِنَ النِّفْقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بغيرِ عِلْمِهِ. فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ»²³.

قال أبو العباس القرطبي محررا ما تضمنته قصة هند من فقه وفوائد: وفي هذا الحديث أبواب من الفقه:

فمنها: وجوب نفقة الزوجة والأولاد على أبيهم، وإن لأمهم طلب ذلك عند الحاكم، وسماع الدعوى على الغائب، والحكم عليه، وإن كان قريب الغيبة؛ إذا دعت حاجة الوقت إلى ذلك. وهو قول الجمهور. وقال الكوفيون: لا يقضى عليه بشيء.

وفيه دليل: على أن النفقة ليست مقدرة بمقدار مخصوص؛ وإنما ذلك بحسب الكفاية المعتادة، خلافاً لمن ذهب إلى أنها مقدرة.²⁴

ثم استثمر المصنف رحمه الله القصة للتأصيل للدليل «العرف» شرعاً، فقال رحمه الله: «وفيه دليل: على اعتبار العرف في الأحكام الشرعية خلافاً للشافعية وغيرهم من المنكرين له لفظاً، الآخذين به عملاً».

وقد استنبط البخاري منه: جواز حكم الحاكم بعلمه فيما اشتهر وعرف. فقال: باب حكم الحاكم بعلمه إذا لم يخف الظنون والتُّهم، وكان أمراً مشهوراً²⁵....²⁶.

ثم استطرد في شرحه للقصة إلى التأصيل الشرعي لمسألة: «الظفر» فقال رحمه الله: «وفيه دليل: على أن من تعذر عليه أخذ حقه من غريمه، ووصل من مال الغريم إلى شيء؛ كان له أخذه بأي وجه توصل إليه».

قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ثم طلقها في قصة جرت فتزوجها أبو سفيان فأنجبت عنده. وهي القائلة للنبي ﷺ لما شرط على النساء المبايعه ولا يسرقن ولا يزينن: وهل تزني الحرة؟! وماتت هند في خلافة عمر. (الفتح 7/ 141).

23 - صحيح مسلم، كتاب الأقضية. باب قَضِيَّةِ هِنْدٍ. الرواية رقم: 4574.

24 - المفهم 5/ 161.

25 - قلت: في كلام المصنف إشارة إلى ما ترجم به البخاري للقصة في باب من أبواب كتاب الأحكام من جامعه الصحيح إذ قال رحمه الله: «باب مَنْ رَأَى لِلْقَاضِي أَنْ يَحْكُمَ بِعِلْمِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ إِذَا لَمْ يَخَفِ الظُّنُونَ وَالتَّهْمَةَ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هِنْدُ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكَ بِالْمَعْرُوفِ». وَذَلِكَ إِذَا كَانَ أَمْرًا مَشْهُورًا» الترجمة رقم: 14.

26 - المفهم 5/ 161.

واختلف فيما إذا ائتمنه الغريم على مال، فهل يأخذ منه حقه أم لا؟ على قولين. حكاهما الداودي عن مالك. ومشهور مذهبه المنع. وبه قال أبو حنيفة تمسكاً بقوله ﷺ: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)²⁷، وإلى الإجازة ذهب الشافعي، وابن المنذر، بناءً على أن ذلك ليس بخيانة، وإنما هو وصول إلى حق²⁸.

وما لم يصرح المصنف بتسميته وعبر عنه بقوله: «وفيه دليل: على أن من تعذر عليه أخذ حقه من غريمه، ووصل من مال الغريم إلى شيء؛ كان له أخذه بأي وجه توصل إليه» هو الذي اصطاح الفقهاء على تسميته بمسألة: «الظفر»، فقد ترجم الإمام البخاري لرواية من روايات قصة هند في جامعها الصحيح فقال: «باب قِصَاصِ الْمَظْلُومِ إِذَا وَجَدَ مَالَ ظَالِمِهِ. وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ يُقَاصُّهُ وَقَرَأَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَافِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوفِيتُمْ بِهِ﴾»²⁹.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله - ت 852 هـ - : «أي هل يأخذ منه بقدر الذي له ولو بغير حكم حاكم؟ وهي المسألة المعروفة بمسألة (الظفر) وقد جنح المصنف إلى اختياره...»³⁰.

وقال ابن بطال - المالكي شارح البخاري (ت 449 هـ) - : حديث هند دال على جواز أخذ صاحب الحق من مال من لم يوفه أو جحد قدر حقه³¹.

وقال ابن شاس (ت 616 هـ) : «ومن غُصِبَ منه شيء وقدر على استرداده مع الأمن من تحريك فتنة أو سوء عاقبة بأن يعد سارقاً أو نحو ذلك جاز له أخذه»³².

4- هبة الثواب.

ووجه تناول أبي العباس القرطبي لهذه المسألة حديث خرجه الإمام مسلم عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَضَاعَهُ صَاحِبُهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ

27 - قلت: عند أبي داود عن يوسف بن مالهك المكي قال: كُنْتُ أَكْتُبُ لِفُلَانٍ نَفَقَةَ أَتْيَامٍ كَانَ وَلِيَهُمْ فَعَالَطُوهُ بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ فَأَدَّاهُمَا إِلَيْهِمْ فَأَذْرَكْتُ هُمُ مِنْ مَالِهِمْ مِثْلَهَا. قال: قُلْتُ: أَقْبِضِ أَلْفَ الَّذِي ذَهَبُوا بِهِ مِنْكَ. قال: لَا، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَتَمَّنَكَ وَلَا تَخْنَنَّ مِنْ خَانَكَ». رقم الحديث: 3536.

28 - المفهم 5/ 162.

29 - الترجمة رقم: 18 من كتاب المظالم. وهو الذي سباه الحافظ ابن حجر كتاب: «الإشخاص والملازمة». والإشخاص بكسر الهمزة إحضار الغريم من موضع إلى موضع، يقال: شخص بالفتح من بلد إلى بلد وأشخص غيره. والملازمة مفاعلة من اللزوم، والمراد أن يمنع الغريم غريمه من التصرف حتى يعطيه حقه. (راجع الفتح 5/ 71).

30 - الفتح 5/ 108. وترجم البخاري لهذه الرواية بقوله: «باب قِصَاصِ الْمَظْلُومِ إِذَا وَجَدَ مَالَ ظَالِمِهِ. وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: يُقَاصُّهُ، وَقَرَأَ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَافِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوفِيتُمْ بِهِ﴾». كتاب المظالم الترجمة رقم: 18.

31 - الفتح 5/ 108.

32 - ينظر منح الجليل شرح مختصر خليل. لمحمد بن أحمد عيش (المتوفى: 1299 هـ) 18/ 377.

بُرْخَص، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَا تَبْتَعُهُ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ؛ فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»³³.

قال أبو العباس القرطبي - رحمه الله - : «.. واختلف في هذا النهي³⁴ هل يحمل على ظاهره من التحريم؟ ولأنه يفهم من تشبيهه بالكلب التحريم؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أو على الكراهة لأن تشبيهه بالقيء إنما يدل على الاستقذار والعيافة للنفرة الموجودة من ذلك لا أنه يحرم العود في القيء إلا أن يتغير للنجاسة، فحينئذ يحرم لكونه نجاسة لا لكونه قيئاً - والأول في كتاب ابن الموزان وقال به الداودي، والثاني عليه أكثر الناس.

قلت: ويحتاج موضع الخلاف إلى تنقيح، فنقول: أما الصَّدَقَةُ في السَّبِيلِ أو على المسكين أو على ذي الرَّحْمِ إذا وصلت للمتصدق عليه فلا يحل له الرجوع فيها بغير عوض قولاً واحداً؛ لأنه قد أخرجها عن ماله على وجه القربة لله تعالى واستحقها المتصدق عليه وملكها بالصدقة والحوز، فالرجوع فيها أو في بعضها حرام. وأما الرجوع فيها بالشراء الذي لا يُحِطُّ عنه من ثمنها شيء فمكروه؛ لأنه قد استرد عيناً أخرجها لله تعالى.

وإن كان المراد مطلق الهبة فهي مخصوصة؛ إذ يخرج منها الهبة للثواب وهبة أحد الأبوين...»³⁵. ثم انتقل رحمه الله تعالى إلى تأصيل هبة الثواب بما ثبت لديه من أدلة نقلية فقال رحمه الله: «.. والأصل في جواز هبة الثواب ما خرَّجه الدارقطني من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يُثَبَّ منها». قال: رواه كلهم ثقات. والصواب عن ابن عمر عن عمر قوله³⁶. وما خرَّجه مالك عن عمر أنه قال: من وهب هبة لصلة الرَّحْمِ أو على وجه الصَّدَقَةِ أنه لا يرجع فيها، ومن وهب هبة يرى أنه إنما أراد بها الثواب، فهو على هبته يرجع فيها ما لم يُرَضَ منها³⁷.

33 - صحيح مسلم كتاب: الهبات. باب كَرَاهَةِ شِرَاءِ الْإِنْسَانِ مَا تَصَدَّقَ بِهِ مِمَّنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ. رقم الرواية: 4248.

34 - يقصد الحديث المذكور سلفاً.

35 - المفهم 4/ 580-581.

36 - قال الحافظ الدارقطني: «حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّفَّارُ مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ بْنُ الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ وَهَبَ هَبَةً فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ يُثَبَّ مِنْهَا». لَا يَثْبُتُ هَذَا مَرْفُوعاً. وَالصَّوَابُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ مَوْفُوقاً. (الحديث رقم 3013) من كتاب السنن.

37 - قلت: في الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي حدثني مالك عن داود بن الحصين عن أبي غطفان بن طريف المري أن عمر بن الخطاب قال: مَنْ وَهَبَ هَبَةً لَصَلَةٍ رَحِمَ أَوْ عَلَى وَجْهِ صَدَقَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ فِيهَا وَمَنْ وَهَبَ هَبَةً يَرَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَا الثَّوَابَ فَهُوَ عَلَى هَبْتِهِ يَرْجِعُ فِيهَا إِذَا لَمْ يُرَضَ مِنْهَا. قَالَ يَحْيَى: سَمِعْتُ مَالِكاً يَقُولُ الْأَمْرَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِ عِنْدَنَا أَنَّ الْهَبَةَ إِذَا تَغَيَّرَتْ عِنْدَ الْمُوْهُوبِ لَهُ لِلثَّوَابِ بَرِيَادَةٌ أَوْ نَقْصَانٌ فَإِنْ عَلَى الْمُوْهُوبِ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ صَاحِبَهَا قِيَمَتَهَا يَوْمَ قَبْضِهَا». الرواية رقم: 1445. باب القَضَاءِ فِي الْهَبَةِ.

وما خرَّجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال: أَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَةً مِنْ إِبِلِهِ الَّتِي كَانُوا أَصَابُوا بِالْغَابَةِ فَعَوَّضَهُ مِنْهَا بَعْضُ الْعَوَاضِ فَتَسَخَّطَهُ فَسَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا الْمَنْبَرِ يَقُولُ: (إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ يُهْدِي أَحَدَهُمُ الْهَدِيَّةَ فَأَعَوَّضَهُ مِنْهَا بِقَدَرِ مَا عِنْدِي ثُمَّ يَتَسَخَّطُهُ فَيُظِلُّ يَتَسَخَّطُ فِيهِ عَلَيَّ. وَإِيمُ اللَّهِ لَا أَقْبَلُ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ⁽³⁸⁾).

وهذا الحديث⁴⁰ وإن لم يكن إسناده بالقوي يعضده كل ما تقدم، وما حكاه مالك من أن هبة الثواب مجتمع عليها عندهم، وكيف لا تجوز وهي معاوضة تشبه البيع في جميع وجوهه إلا وجهًا واحدًا! وهو أن العوض فيها غير معلوم حالة العقد، وإنما سامح الشرع في هذا القدر لأنهما دخلا في ذلك على وجه المكارمة لا المشاحة، فعفا عن تعيين العوض فيه كما فعل في نكاح التفويض⁴¹.

5- فقه حديث البر الوالدين.

خرج الإمام مسلم رحمه الله في مسنده الصحيح حديثا تضمن قصة تتناول أوجه البر بالوالدين بعد موتهما فقال:

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ⁴² عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ⁴³ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ⁴⁴ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ⁴⁵. فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ:

38 - كره قبول الهدية ممن كان الباعث له عليها طلب الاستكثار، وإنما خص المذكورين فيه بهذه الفضيلة لما عرف فيهم من سخاوة النفس وعلو الهمة وقطع النظر عن الأعواض.

39 - رواه الترمذي ولفظ أحمد عن أبي هريرة إن أعرابيا أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة فعوضه ست بكرات فتسخطه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً وَهِيَ نَاقَتِي أَغْرَفَهَا كَمَا أَغْرَفَ بَعْضُ أَهْلِي ذَهَبَتْ مِنِّي يَوْمَ رَغَابَاتٍ فَعَوَّضْتُهُ سِتَّ بَكَرَاتٍ فَظَلَّ سَاحِطًا. لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ».

40 - يقصد حديث الترمذي المتقدم.

41 - المفهم 4/ 581-582.

42 - «عبد الله» بن دينار العدوي أبو عبد الرحمن المدني مولى بن عمر. خرج حديثه الستة. ت 127هـ.

43 - عبد الله بن عمر بن الخطاب من صغار الصحابة. ولد قبل الهجرة بعشر سنين، وكان إسلامه بمكة مع إسلام أبيه عمر بن الخطاب ولم يكن بلغ يومئذ. عن ابن عمر قال: عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَدَّنِي، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَدَّنِي، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَقِيلَنِي. (الطبقات الكبرى 4/ 133). ثم حضر بعد ذلك المشاهد مع الرسول ﷺ. توفي عام 37 أو بعده بسنة. قال الحافظ الذهبي: «... وَأَيُّنَ مِثْلَ ابْنِ عُمَرَ فِي دِينِهِ، وَوَرَعِهِ، وَعِلْمِهِ، وَتَأْلُفِهِ، وَخَوْفِهِ، مِنْ رَجُلٍ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ الْخِلَافَةُ، قِيَابَاهَا، وَالْقَضَاءُ مِنْ مِثْلِ عُثْمَانَ، فِرْدَهُ، وَنِبَاةَ الشَّامِ لِعَلِّي، فَيَهْرَبُ مِنْهُ؟!» (سير أعلام النبلاء 3/ 235).

44 - عند أبي عوانة في مستخرجه: «فأمر له ابن عمر بحمار له كان يستعقب له ويركبه..» (الرواية رقم: 11136).

45 - عند مسلم في موطن آخر: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَرَوِّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ فَيَبْنُو هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِي فَقَالَ: أَلَسْتُ أَبْنُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ وَقَالَ: أَرَكِبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ - قَالَ - أَشَدُّ بِهَا رَأْسَكَ...» (رقم الرواية: 6679).

فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ⁴⁶. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا⁴⁷ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلَّةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»⁴⁸»⁴⁹.

قال أبو العباس القرطبي مستمداً من الحديث دلالاته: «وعقوق الوالدين: مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما موافقتهما على أغراضهما الجائزة لهما، وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباحات في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوبات.

وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوباً إليه، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيداً في نديته، والصحيح الأول؛ لأن الله تعالى قد قرن طاعتهما، والإحسان إليهما بعبادته وتوحيده فقال: ﴿وَفَضَى رَبُّنَا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ في غير ما موضع. ومن طاعتهما والبر بهما حديث عن أبي أسيد مَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٍ أَبْرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ. الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تَوْصِلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا»⁵⁰.

وبعد فهذه منتخبات نقلية جسدت معالم صنعتي الحديث والفقه عند الإمام أبي العباس القرطبي - رحمه الله - فضلاً عن إبراز اختياراته في المسائل الفقهية المؤسسة على النظر في الحديث النبوي الشريف واستمداد الأحكام الشرعية منه وذلك من خلال ديوانه العلمي الماتع الذي وسمه بـ: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم». وغيرها كثير مما نثره أبو العباس القرطبي في شرحه النافع على المسند الصحيح للإمام مسلم رحمه الله. وحسبي منها قول من قال:

46 - عند أبي عوانة في الموطن المذكور: «فقال له بعض من مع ابن عمر: إنما يكفي هذا بدرهمين...».

47 - قوله: «كان ودًّا» بضم الواو وكسرها وتشديد الدال؛ أي صديقاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والود في الأصل مصدر بمعنى المودة والمحبة ثم استعير لصاحب المودة من إطلاق المصدر وإرادة الوصف.

48 - وقوله: «إن أبر البر، صلة الرجل أهل وداً» هو مما تقدم، والصلة واللفظ والتحفي أحد معاني البر على ما تقدم. ومن أبر البر الوفاء لمن يلزم بره بصلة من كان يره. هو كما قال - عليه السلام - في خبر خلية خديجة: «إن حسن العهد من الإيمان». وفي الرواية الأخرى: «أن يصل وداً أبيه»، [بضم الواو] أي وداه. (إكمال المعلم 16/8).

49 - باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما. رقم الرواية: 6677، قال النووي: «وفي رواية: إن من أبر البر صلة الرجل أهل وداً أبيه بعد أن تولى. الوُدُّ هُنَا مَضْمُونُ الْوَاوِ، وَفِي هَذَا فَضِيلُ صَلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ وَإِكْرَامُهُمْ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِبَرِّ الْأَبِ وَإِكْرَامِهِ لِكَيْلَوْهُ بِسَبَبِهِ وَتَلْتَحِقُ بِهِ أَصْدِقَاءُ الْأُمِّ وَالْأَجْدَادُ وَالْمَشَايخُ وَالزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، وَقَدْ سَبَقَتْ الْأَحَادِيثُ فِي إِكْرَامِهِ ﷺ خَلَائِلُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قَوْلُهُ: (كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ)، مَعْنَاهُ: كَانَ يَسْتَصْحِبُ حِمَارًا لِيَسْتَرِيحَ عَلَيْهِ إِذَا صَجَرَ مِنْ رُكُوبِ الْبَعِيرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (شرح مسلم 16/109-110).

50 - رواه الحافظ أبو داود، باب في برِّ الوالدين. (رقم: 5144)، والنقل من المفهم 6/520.

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يَقَالُ لَهُ قَلِيلٌ⁵¹.

وهي على قلتها تبرز أوجها ناصعة من جهود أبي العباس القرطبي في خدمة كتب الحديث النبوي عامة وكتاب الإمام مسلم بصفة خاصة.

وبوسع الناظر والمتأمل في ديوانه هذا أن يقف على أعداد وافرة من النصوص التي تعكس دقة فقه المصنف وبراعته في استنطاق الأدلة والبناء عليها. لكن حسبنا ما قدمنا في هذا المقام، وقديما قيل: "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق"⁵².

51 - الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيمن المستعصمي (ت710هـ).

52 - نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. 24/3.

لمحة عن تاريخ المُحدِّثين بالمغرب وبيوتات الحديث فيه في القرن الحالي

• ذ. توفيق الغلبزوري

رئيس المجلس العلمي المحلي بالمضيق - الفنيدق

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته وهداه، وبعد: فإنه قد شاع وذاع أن المغرب الأقصى بلاد فقه وفروع وشروط، وليست بلاد حديث وسنن وآثار، وتناقل الناس ذلك، وجرى على ألسنة وأقلام كثير من أهل العلم، وتوارثه الخلف عن السلف؛ حتى قال الحافظ شمس الدين الذهبي الدمشقي وهو من هو في سعة المعرفة والإحاطة والاطلاع في كتابه: «الأمصار ذوات الآثار»: «وغالب مدائن المغرب، فالحديث بها قليل، وبها المسائل»¹، ولعل مقصود الذهبي القرن الأول في المغرب والأندلس بسبب انقطاع أسانيد الصحابة والتابعين عنه لبُعد الشُّقَّة، أما بَعْدَ تتابع رحلات الحج التي صارت فيما بعد رحلات علمية، والتي كان مقصدها أتباع التابعين كمالك وغيره خلال القرن الثاني والثالث كرحلة يحيى بن يحيى الليثي المصمودي، وقرعوس بن العباس بن قرعوس، والغازي بن قيس، وبقي بن مخلد ومحمد بن وضاح القرطبيين وأضرابهم؛ فلم يعد الحديث وعلومه في المغرب قليلا كما قال الذهبي؛ بل صار كثيرا كثرة ظاهرة فيمن نبغ من جهابذة الحفاظ والنقاد الذين بَزَّ بعضهم حفاظ المشرق ومحدثيه أنفسهم.

كل ما في الأمر أن علم الحديث بالمغرب كان يتفاوت الاهتمام به ونبوغ رجاله قلة وكثرة حسب العصور، فتارة يخبو، وتارة يعلو، وتارة يتأخر ويتراجع، وتارة أخرى يزدهر ويسطع، كما يتبيّن في هذا البحث.

1 - الأمصار ذوات الآثار، للذهبي، ص: 56، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط. دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 1405هـ / 1985م.

ولا أدري كيف انتشرت هذه الفرية انتشار النار في الهشيم، ورددها كثيرون؟ مع وضوح بطلانها وتهافتها، أوليس أول كتاب دخل المغرب هو كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس وهو كتاب حديث وسنة قبل كل شيء؟

ودفعا لهذه الفرية، ودرءا لهذه التهمة الباطلة، كتبنا هذا المقال الذي قام على مقدمة تبين دافع البحث وهدفه، ومبحثين: الأول: أفرد لذكر لمحة من تاريخ علم الحديث بالأندلس والمغرب باعتبارهما بلدا واحدا، والثاني: خُصص لبيوتات الحديث في المغرب في القرن الحالي، ليتضح الصبح لذي عينين: بأن المغرب دار حديث وما يزال كما هو دار فقه وما يزال، وأن علماءه قد جمعوا بين الصناعتين، وسلكوا سبيل التكامل بين العِلْمَيْن: علم الفقه، وعلم الحديث؛ إذ لا ثقة في دراية من غير رواية، ولا فهم لرواية من غير فقه ودراية.

المبحث الأول: لمحة من تاريخ علم الحديث بالأندلس والمغرب

إن «المغرب» إذا أطلق أريد به المغرب بعدوتيه الأندلس والمغرب الأقصى، لكن المعروف عند الباحثين والدارسين أن تأثير الأندلس الفقهي والفكري في المغرب أبين من تأثير الأندلس بالمغرب، ومع ذلك فهما يعدان من الناحية العلمية قطرا واحدا، وإذا أمكن فصلهما سياسيا في بعض الحقب، فمن العسير فصلهما علميا وفكريا، لأن بين علمائهما من التداخل والترابط والاشتراك في الشيوخ، والمذهب، والتفكير، والمنهج، ما يتعذر معه فصلهما.

وقد قال أبو الحسن ابن القطان الكتّامي الفاسي وهو يتحدث عن يوسف بن عدي الكوفي نزيل مصر: «روى عنه من أهل بلدنا: بقي وابن وضاح»⁽²⁾.

فأنت ترى أن الحافظ ابن القطان المغربي الكتّامي الفاسي القح ينسب محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي الصريح بأنه من أهل بلده المغرب؛ لأنه يرى الأندلس والمغرب بلدا واحدا.

أ - علم الحديث بالأندلس:

وقبل ذكر وضعية علم الحديث بالمغرب نقول: لم تكن وضعية الحديث بعدوة الأندلس، قبل ظهور مدرسة الحديث مرضية، فلم يعرف الحديث - قبل بقي بن مخلد وابن وضاح - علما مستقلا له أسسه وقواعده ومناهجه التي يحويها علم الحديث رواية ودراية⁽³⁾ من نقد الأسانيد، وجمع الروايات، والمقارنة بينها، ومعرفة العلل، وأسماء الرجال، ومعرفة علم الجرح والتعديل، ومعرفة علم مختلف

2 - علم علل الحديث من خلال كتاب «بيان الوهم والإيهام»، لشيخنا الدكتور إبراهيم بن الصديق، 1/ 13.

3 - انظر محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس، لأستاذنا الدكتور نوري معمر، ص: 30.

الحديث، وناسخه ومنسوخه، واستنباط الأحكام والفوائد، والقواعد منه وفقهه، إلى غير ذلك من مباحث هذا العلم، فلم يكن ذلك من شأن أهل الأندلس آنذاك ولا كانوا يدرسون، وكان المعروف من الحديث غالبا لا يعدو موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه وتحقيق سماعاته، بقصد الفتيا والتفقه على مقتضاه.

يؤيد ذلك ما نقله ابن خير عن الحافظ المحدث أبي محمد بن يربوع الإشبيلي المتوفى سنة 522هـ حيث قال: «وهؤلاء القرطبيون... كانوا بمعزل عن معرفة الصحيح - أي الحديث الصحيح - لأنه قد ضرب بينهم وبين الصناعة - أي الصناعة الحديثية - بأسداد، فهم على بعد شديد من السداد»⁽⁴⁾.

ولكن ليس معنى ذلك، أن المغرب والأندلس خلوا آنذاك مطلقا من المحدثين، فقد دخل إليه محدثون كبار، أمثال معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي⁽⁵⁾، المتوفى سنة 158هـ، راوية حديث أهل الشام، الذي دخل الأندلس سنة 123هـ، قادما إليها من حمص، ومن أهل الأندلس: المحدث الكبير داود بن جعفر بن الصغير القرطبي⁽⁶⁾ الذي أملى على أحد تلاميذه ثلاثة آلاف حديث أو أكثر، وصعصعة بن سلام الدمشقي صاحب الإمام الأوزاعي المتوفى سنة 192هـ.

وأبو محمد مصعب بن عمران، راوية الشاميين والمدنيين، الذي كان قاضيا بقرطبة للأمير هشام بن عبد الرحمن، وكان لا يقلد مذهبا، ويقضي ما رآه صوابا⁽⁷⁾.

إلا أن هؤلاء المحدثين كانوا قلة، ولم يكن لهم ظهور، ولم يخلفوا أثرا كبيرا، لا من حيث بناء مدرسة حديثية ذات خطر، ولا من حيث التصنيف والتأليف.

ويؤيده أيضا قول الخشني: سأل يحيى بن معين المتوفى سنة 233هـ محمد بن وضاح القرطبي: هل جمعتم حديث معاوية بن صالح؟ فقال ابن وضاح: لا، قال ابن معين: وما منعكم من ذلك؟ قلت: قدم بلدا لم يكن أهله يومئذ أهل علم، قال ابن معين: ضيعتم والله علما عظيما⁽⁸⁾.

4 - فهرسة ابن خير، ص: 107.

5 - هو معاوية بن صالح بن عثمان بن سعيد بن سعد الحضرمي الحمصي المتوفى سنة 158هـ، كان فقيها، راوية عن الشاميين، استقضاه الإمام عبد الرحمن بن معاوية بقرطبة، وسمع من سفيان الثوري، والليث بن سعد، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، 2/ 838، رقم 1443.

6 - مولى تيم، من أهل قرطبة، سمع من مالك، وسفيان بن عيينة، ومعاوية بن صالح، وعبد الله بن وهب، وغيرهم، وروى عن ابن وضاح وروى عنه، ولي قضاء قلنبيرة، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 257، رقم 257، رقم 433.

7 - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، 2/ 831، رقم: 1430.

8 - قضاة قرطبة للخشني، ص: 53.

ومن الواضح البين؛ أن الذي يعنيه ابن وضاح بالعلم هنا، هو علم الحديث بمعناه الواسع، المتعارف عليه عند المحدثين وهو المقصود بالعلم يومئذ إذا أطلق.

ويؤيده كذلك ما قال محمد بن عبد الملك بن أيمن محدث الأندلس المتوفى سنة 330هـ بعد عودته من المشرق، وقد عرف قدر معاوية بن صالح، ومنزلته في علم الحديث: «فلما انصرفت إلى الأندلس، طلبت أمهاته، وكتبه، فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم أهلها»⁽⁹⁾. ولم تكن الهمم ساقطة عن العلم عامة، وإنما عن الحديث خاصة، وهو الذي عنه ابن أيمن.

ويؤيده أن خالد بن سعد الحافظ القرطبي المتوفى سنة 352هـ الذي قال فيه الحكم المستنصر: «إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد»، والذي عاش في منتصف القرن الرابع أي في النصف الأول منه بعد بدء انتشار الحديث والرواية بالأندلس، قال فيه الحافظ ابن مفرج: «كان أعور بين عُميان» أي أنه كما قال ابن الفرضي: «كان أمثل أهل وقته إذ لم يكن عند أكثر رجالنا المتقدمين تقدم في معرفة الحديث»⁽¹⁰⁾.

هكذا كان حال علم الحديث والسنة بالأندلس إلى حين عودة بقي بن مخلد 276هـ وابن وضاح 287هـ من رحلتهم المشرقية، فتفجرت ينابيع الحديث وعلومه بهذا الصقع، وأصبح هذا المصر بلاد حديث وأثر، بعد أن كانت دار فقه وفروع ورأي ونظر.

قال الحافظ ابن الفرضي: «وبمحمد بن وضاح، وبقي مخلد صارت الأندلس دار حديث»⁽¹¹⁾.

ومن يومئذ برزت مدرسة المحدثين إلى الوجود، قطب رحاها الأثر، تدور معه حيث دار. وفي ذلك يقول ابن حيان عن بقي: «بحر علم عم الأندلس منفعته، وسبل لأهلها ملاءة الحديث، وقد كانت لديهم ضيقة»⁽¹²⁾، وعن نفسه يقول بقي: «غرس لهم بالأندلس غرسا لا يقلع إلا بخروج الدجال»⁽¹³⁾.

وقد أثمر هذا الغرس بالأندلس وأينع، وتكلم فأسمع، فظهر جيل من المحدثين والحفاظ الكبار كقاسم بن أصبغ البياني القرطبي المتوفى سنة 340هـ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي المتوفى سنة 330هـ، والحافظ أبي عمر أحمد بن خالد الجبّاب القرطبي المتوفى سنة 322هـ، وثابت بن حزم السرقسطي المتوفى سنة 320هـ صاحب كتاب «الدلائل في غريب الحديث».

9 - المصدر السابق، ص: 54.

10 - تاريخ علماء الأندلس، 1/ 155.

11 - تاريخ علماء الأندلس، 2/ 652 رقم الترجمة: 1134.

12 - المقتبس، ص: 247.

13 - سير أعلام النبلاء 25/ 285.

وجاء بعد هذه الطبقة: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي المتوفى سنة 392هـ راوي البخاري، وأبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس المتوفى سنة 402هـ، وحافظ الأندلس الكبير الإمام أبو الوليد بن الفريسي المتوفى سنة 403هـ، والحافظ المقرئ أبو عمر الطلمنكي المتوفى سنة 429هـ. ثم انتهى علم الطبقتين إلى الحافظين اللذين طُبِّقَت شهرتهما الآفاق ابن عبد البر المتوفى سنة 463هـ وابن حزم المتوفى سنة 456هـ.

ثم جاء بعدهما من تلامذتهما. ثم تلت هؤلاء طبقة أخرى اشتهرت بالإتقان التام، والضبط الكامل، مع التخصص والانصراف كلية إلى علم الحديث وعلمه، والبحث في رجاله ونقلته، وعلى رأس هؤلاء الحافظان: أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الجياني الغساني المتوفى سنة 498هـ، وأبو علي الحسين بن محمد بن فيرة الصديقي؛ الإمام الحافظ المتوفى سنة 514هـ صاحب أصح نسخة موجودة الآن من صحيح البخاري.

فالحافظان الجياني والصديقي يعدان أستاذي جيل عليهما عول من بعدهما، وإليهما كانت الرحلة لسماع الحديث، والتبحر في علومه، وقد رجعت أسانيد المغاربة ومعظم المشاركة إليهما⁽¹⁴⁾.

ب - علم الحديث بالمغرب الأقصى:

إن من الحق القول: إنه لولا الأندلس لما كان للمغرب الأقصى حظ وافر في الحديث الشريف وعلومه، ولعل هذا من وراء الكلمة المعروفة المجحفة: «لولا عياض ما ذكر المغرب»، وفي هذه الكلمة بعض إحجاف، فليس الأمر هكذا بهذه الصورة، وإنما المقصود أن الغالب على المغاربة كان الفقه وفروعه، والمذهب المالكي ومسائله، وعلى هذا مضت الدول والإمارات بمغربنا: إمارة بني صالح بن كور بالريف التي تأسست عام 91هـ، وهي أول إمارة مالكية سنية عرفها المغرب⁽¹⁵⁾. والدولة الإدريسية التي قامت عام 172هـ على ما ذهب إليه بعض الدارسين⁽¹⁶⁾، أما دولة المرابطين التي قامت عام 448هـ فهي التي مكنت لفقه الفروع تمكينا كبيرا، وأهمل فيها الفقهاء - إلا في النادر - الاشتغال بعلوم القرآن والحديث، وقد بين المؤرخ المغربي عبد الواحد المراكشي ذلك أوضح بيان حيث قال متحدثا عن عهد علي بن يوسف المرابطي: «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع، أعني فروع مذهب مالك، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها، ونبذ

14 - الجرح والتعديل في المدرسة المغربية للحديث، لشيخنا الدكتور إبراهيم بن الصديق، 87/1.

15 - انظر بسط ذلك في كتابنا: المنار المنيف في التعريف بعلماء الريف، الصادر عن مطبعة الشويخ بتطوان.

16 - انظر: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، للأستاذ محمد بن حسن شحيلي، ص: 55.

ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء»⁽¹⁷⁾.

هكذا استمر الحال في المغرب الأقصى إلى أن قامت دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت عام 515هـ فتبنا الدعوة إلى تحكيم الحديث والعناية به والإعراض عن الفقه المجرد، وغلوا في هذا الباب إلى أن أحرقوا كتب الفروع المالكية في الميادين العامة، ولا سيما زمن يعقوب المنصور، الذي انتشر لأهل الحديث في عهده «صيت»، وقامت لهم سوق، وعظمت مكانتهم منه ومن الناس» كما يقول المراكشي⁽¹⁸⁾.

فازدهرت علوم الحديث وفنونه، وظهر جهابذة الحديث وحفاظه، خاصة محدث المغرب الكبير، والناقد الخطير، أبا الحسن ابن القطان الكتامي الفاسي المتوفى سنة 628هـ مزوار الطلبة وشيخ الجماعة، صاحب الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الحديث «بيان الوهم والإيهام»، وكذا الحافظ أبا إسحاق ابن هارون المرادي الفاسي المعروف بابن الكماد والمتوفى سنة 663هـ، الذي كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما إذا ذكرنا الحافظ الناقد ابن دحية السبتي المتوفى 689هـ فحدث عن البحر ولا حرج، فقد ملأ سبته ومراكش والمغرب حديثا ورواية ونقدا، وهو الذي صنف للملك المعظم ملك إربل مظفر الدين بن زين الدين التركماني، كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» المطبوع بآخره؛ لما وجدته يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا كبيرا، ولهُ بنى الملك الكامل ملك مصر بالقاهرة دار الحديث الكاملية وعهد إليه برئاستها وتدريس الحديث النبوي بها، وصنف التواليف النفيسة الفريدة في الحديث النبوي منها: «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات»، و«الابتهاج في أحاديث المعراج»، و«نهاية السؤل في خصائص الرسول»، و«أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين»، و«شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم»، وغيرها¹⁹ وجلها مطبوع الآن.

ونعود إلى من نبغ من جهابذة المحدثين الحفاظ في عصر الموحدين: فنجد الحافظ الناقد ابن القطان الكتامي الفاسي السابق التنويه به، وتلميذه أبا عبد الله محمد بن أبي يحيى الشهير بابن المواق، المتوفى سنة 642هـ؛ الذي انتقد شيخه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» بكتابه «المآخذ الحفال السامية، عن مآخذ الإهمال، في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال، وما انضاف إليه

17 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، ص: 254.

18 - المصدر السابق، ص: 400.

19 - انظر: نفح الطيب 2/ 104، وتذكرة الحفاظ للذهبي 4/ 1421.

من تنمة وإكمال»، وأبا الحجاج يوسف بن عمران المزدغي الفاسي المتوفى سنة 655هـ، الذي شرح أحكام عبد الحق الإشبيلي، وسمى شرحه «أنوار الأفهام في شرح الأحكام»⁽²⁰⁾. هؤلاء الذين ذكرناهم وغيرهم من تلاميذهم هم الذين يرجع إليهم الفضل في إحياء هذه العلوم الحديثية بالمغرب حتى نالوا إعجاب وثناء علماء الحديث مشرقا ومغربا⁽²¹⁾.

ولكن وجهة الموحدين هذه نحو الحديث لم تستمر طويلا، ولم تنجح النجاح المأمول لها، بسبب غلوهم، وحملهم للناس بالقوة والإكراه والإلزام على ما أرادوا من تحويلهم عن المذهب المالكي المتوارث إلى المذهب الظاهري الحزمي⁽²²⁾، ولتلفيقهم وخلطهم في العقائد للنحل والمذاهب المتعددة من تشيع وخارجية في التكفير، ودعوى المهدوية والعصمة، مما نفر منهم علماء المغرب، الذين هم على عقيدة أهل السنة والجماعة، فانفضوا من حولهم، وهجروا دعوتهم.

وبعد دولة الموحدين لم يبرز من جهاذة الحفاظ النقاد بارز، ولم ينبغ نابغ، ولا عرف رائد ذو خطر؛ فيما نعلم، حتى جاءت الدولة العلوية الشريفة، فلما كان عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي المتوفى سنة 1204هـ؛ جدد لعلم الحديث ذكرا، ولنهضته انتشارا، وأدخل إلى المغرب الأقصى رحمه الله لأول مرة مسانيد الأئمة أبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي⁽²³⁾، وفي هذا العصر ظهر محدث كبير جدد بعض هذه المعالم، ونفض الغبار عن تلك المغانم، ألا وهو الشريف الحافظ المحدث الناقد أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الحسيني الفاسي الآتي ذكره المتوفى سنة 1183هـ، وهذا لا يعني أنه على عهد الدول المتعاقبة في المغرب المرينية والسعدية والوطاسية عُدِمَ المحدثون أو من يشتغل بالحديث، وإنما نقصد الحفاظ الكبار الجهاذة الخناذيد.

المبحث الثاني: بيوتات الحديث بالمغرب في القرن الحالي⁽²⁴⁾

وقد ظهرت في المغرب أسر وبيوتات نبغت في الحديث النبوي الشريف نبوغا كبيرا، ورسخت قدمها فيه رسوخا عظيما، فصارت فيها وراثته هذا العلم النبوي؛ يرثه الخلف عن السلف من الأبناء

20 - جذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناشي، ص: 138.

21 - انظر مقال: «ملاح من تاريخ علم الحديث بالمغرب»، لشيخنا العلامة المحقق محمد أبي خبزة التيطاوي الحسني، (مخطوط بخط يده). وقد نشر بجريدة «البلاد» بالرياض، العدد: 15901، السنة: 69 - الخميس 4 من ذي القعدة 1420هـ.

22 - انظر كتابنا: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، فصل: (من ظاهرة الفكرة إلى ظاهرة الدولة)، ص: 615 وما بعدها، ط دار ابن حزم، الرياض، ط 1، 1427هـ - 2006م.

23 - الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، مقدمة محمد الرشيد ملين، وانظر: ملاح من تاريخ علم الحديث بالمغرب، لمحمد أبي خبزة.

24 - اعتمدنا في كثير من مادة هذا المبحث على مقال شيخنا محمد أبي خبزة الموسوم «بملاح من تاريخ علم الحديث بالمغرب» الآنف ذكره، مع تصرف فيه.

والأحفاد، حتى عُرفت بالحديث وعُرف بها. وقد آثرنا أن نصطفي من هذه الأسر من هذا العصر الأخير للدلالة على المراد والمقصود من هذا البحث؛ وهو الرد على شبهة أن المغرب دار فقه وفروع وليس بدار حديث وسنن. فمن هذه البيوتات والأسر:

• الأسرة العراقية:

وهذه الأسرة لم يُعرف في دوحتها الفينانة على وفرة بلابلها في مختلف العلوم إلا هذا الهزار المطرب في علوم الحديث وهو أبو العلاء إدريس العراقي المذكور آنفا رحمه الله، والذي ظهر في عصر النهضة الحديثة على عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي رحمه الله، فهذا الرجل قيل فيه: آخر من خدم الحديث على طريقة حفاظه؛ بل ذهب بعضهم إلى أنه أحفظ من ابن حجر، ولقبه بعضهم بـ «سيوطي زمانه»⁽²⁵⁾، وحلاه شيخه بالإجازة مرتضى الزبيدي المصري في معجمه، لما ترجم له بـ «حافظ العصر» وقال عنه: «لم يكن في وقته من يدانيه في هذا الفن (يعني علم الحديث)»⁽²⁶⁾.

ويقال إن شيخه: أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي المتوفى سنة 1156هـ، سألته عن حديث في درسه «فذكر له على البديهة ستة طرق، فقال له شيخه: لله درك! لقد تعب ابن حجر ولم يخرج له إلا طريقين»⁽²⁷⁾. والمقصود أن هذا الرجل تخرج بهذا العلم فنال منه ما رجا، وما بقي من مؤلفاته تشهد بعلمه كعبه، وجودة حفظه، وقد توجه إلى كتب الرواية والحديث الباقية بخزائن فاس الخاصة والعامة، فنفض عنها الغبار، وترددت بعد أزمان في مجالس علمه أسماء: تاريخ بغداد للخطيب، والكمال لابن عدي، وقد قام باختصارها، كما وضع تعاليق وتخاريج على الشفا، وشمائل الترمذي، والشهاب للقضاعي، في ثلاثين كراسا، وشرح الثلث الأخير من مشارق الأنوار للصغاني بأمر من السلطان محمد بن عبد الله العلوي - رحمه الله - شرحا سماه: «تكميل المباني وتوضيح المعاني لما أغفله شارح الصغاني»، كما شرح كذلك «إحياء الميت في فضائل أهل البيت»، واستدرك على الجامع الكبير للسيوطي نحو عشرة آلاف حديث كما قال عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس، ولو جردت لكونت مجلدا⁽²⁸⁾.

والغريب أن حافظ العصر هذا على فضله ونفاسته تواليفه، لم يحظ بإجازاته إلا أهل البوادي دون أهل الحواضر، وقد اطلع عبد الحي الكتاني على إجازات كثيرة منه لهم، فاستغرب لهذا الأمر، وعلق

25 - فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني، 2/ 819. وانظر الحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي لأحمد العمراني، 479/1.

26 - فهرس الفهارس، 2/ 820. وانظر: الحركة الفقهية للعمراني، 1/ 483.

27 - فهرس الفهارس، 2/ 819؛ وسلوة الأنفاس، 1/ 142.

28 - الملامح، لأبي خبزة، وانظر: الحركة الفقهية، للعمراني، 1/ 485-486.

على ذلك بقوله: «وهذا عجيب! كأن الناس كانوا لا يظنون أن ما كان عنده - أي الحديث - علم، على أنه العلم الثمين الذي إذا نادى المنادي يوم القيامة: أين العلماء؟ لم يجبه إلا هو وأمثاله، من سلك مسلكه»⁽²⁹⁾، كما لم يطبع إلى الآن إلا قليل من مؤلفاته، وكثير منها موجود مخطوط.

وبعد قرنين من وفاة المحدث العراقي، وعلى مشارف القرن الماضي، ظهر أفراد من البيت القادري والفهري والكتاني والصدريقي الغماري؛ كان من بينهم من يُذكرُ بمن مضي من الحفاظ والنقاد الفحول.

* الأسرة الفهرية:

وقد نبغ منها في الحديث وعلومه العلامة المحدث المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي الفهري المتوفى سنة 1383هـ، وكان في أبحاثه أصالة وجدة، فلا يعرف قبله بقرون من حرر القول فيما وقع له من مسلسلات، رواها وجمعها في ديوان سماه «الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات»، طبع مجلده الأول، وفيه ترى نفساً جديداً في النقد والترجيح، ونزوعاً إلى الاجتهاد والتجديد، كما ألف معجم شيوخه الذي سماه «رياض الجنة في تراجم من لقيت أو كاتبني بالشرق والمغرب» وهو أعظمها، طبع في جزأين متوسطتين، تقف فيها على تحريرات قيمة، وإشارات جيدة؛ بعد العهد بمثلها، وللرجل مؤلفات وتقائيد تنم عن روح علمية، واستقلال في الفهم والتصرف، ومما يذكر له في هذا الصدد ويشكر، أنه ألف «الأربعين البلدانية»، ولعلها الوحيدة في المغرب بعد الأربعين البلدانية لابن رشيد الفهري السبتي، وقد طبعت بتطوان باسم «استنزال السكينة الرحمانية بالتحديث بالأربعين البلدانية»، وهي عبارة عن أربعين حديثاً مختلفة، رواها عن أربعين شيخاً من أربعين بلداً، بأسانيده عنهم، بعد التعريف بكل منهم باختصار، والحكم على الحديث بعده⁽³⁰⁾، وصنف كتاباً فريداً وطريفاً في بابيه سماه: «الإسعاد بمهمات الإسناد».

* الأسرة الكتانية:

اشتهر منها في علوم الحديث أربعة رجال:

أولهم: المحدث المسند الرحالة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة 1345هـ وله عناية كبيرة بعلم الحديث، وله مؤلفات في ذلك بما ينيف عن ستين كتاباً: كـ «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» وهو مطبوع، وله «رسالة مسلسلات» مخطوطة، أخرجها مطبوعة منشورة بآخره أخونا وزميلنا الدكتور بدر العمراني الطنجي، وأشهر مصنفاته في متعلقات هذا الفن «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب

29 - فهرس الفهارس، 2/ 823، والحركة الفقهية، للعمراني، 1/ 480.

30 - انظر: الملامح لأبي خبزة، وسل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، لعبد السلام بن سودة، ص 190، وإتحاف المطالع، له، 2/ 581.

السنة المشرفة“ وقد طبع مرارا، وعلق عليه تلميذه شيخ مشايخنا أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري في ”الأمالي المستظرفة“، ومن رسائله الطريفة في الحديث كذلك: ”الدعامة لمعرفة أحكام العمامة“، و”تعجيل البشارة للعامل بالاستخارة“، و”إسعاف الراغب السابق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق“، و”نيل المنى وغاية السؤل بذكر معراج النبي المختار الرسول“، و”الأقاويل المفصلة لبيان حال الابتداء بالبسملة“، و”الرسالة المختصرة فيما لا يسع المُحدِّث جهله من الكتب التي لها تعلق وارتباط بالسنة المطهرة“⁽³¹⁾، وغيرها من الكتب والرسائل.

ثانيهم: الشيخ محمد المنتصر الكتاني المتوفى سنة 1371هـ، من الأسرة الكتانية، الذي اشتهر بعنايته بالحديث كذلك، وقد درّس علوم الحديث بجامعة دمشق وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد كان مطلعاً على الأسانيد، حافظاً لتراجم رجالها وأحوالهم، وقد جمع الشيخ المنتصر أحاديث لطلاب الحديث بالجامعة السورية في مسائل عصرية واجتماعية عامة، لم تطبع بعد، وكتاب نفيس سماه «معجم فقه ابن حزم الظاهري»، وقد طبع وأثنى عليه فقيه العصر الكبير الأستاذ مصطفى الزرقاء في تقديمه له⁽³²⁾، و«تخريج أحاديث كتاب «تحفة الفقهاء» في فقه الحنفية لأبي الليث السمرقندي بالاشتراك مع الدكتور وهبة الزحيلي، طبع في مجلدين، و«شرح وتخرّيج مسند الإمام أحمد» أتم عُشره في ستة عشر جزءاً، و«معجم فقه السلف» مطبوع في تسعة أجزاء، و«المستدرک على نظم المتناثر في الحديث المتواتر» ضَمَّنَه ألف حديث، و«مسند الإمام بقي بن مخلد الأندلسي» جمعه من بعض كتب الحديث، و«مسند الإمام ابن حزم الأندلسي» جمع كذلك⁽³³⁾.

وأما الشيخ محمد الناصر الكتاني المتوفى سنة 1394هـ، فقد كان علامة محدثاً مطلعاً، وحصل على إجازات في الرواية والإسناد من محدثين في المشرق والمغرب، كان أستاذاً بمعهد مولاي المهدي ومدرسا بالمسجد الأعظم وزاوية سيدي ابن ريسون بتطوان ما بين أعوام 1360هـ و1364هـ، ثم صار أستاذاً للحديث بدار الحديث الحسنية بالرباط من أول إنشائها سنة 1384هـ، وبكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط كذلك، ومن أهم كتبه في الحديث التي طبعت بعد وفاته، كتاب سماه «عيون الآثار فيما تواتر من الأحاديث والأخبار»، وهو تذييل واستدراك على كتاب «نظم المتناثر» لجده محمد

31 - انظر ترجمته في: فهرس الفهارس 1/ 515، ومعجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 1/ 64، وسل النصال ص 43، ومقدمة الرسالة المستظرفة، والأعلام للزركلي 6/ 72.

32 - انظر: الملامح لمحمد أبي خبزة.

33 - انظر: ترجمته بقلم حفيده محمد حمزة الكتاني في منتدى السادة الكتانيين على الشبكة العنكبوتية.

بن جعفر الكتاني، وقد جمعه وطبعه ابنه أسامة الكتاني، وذكرت في ترجمته تصانيف أخرى له؛ منها: «قيد الأوابد في فنون العلم والفوائد»، و«الأحاديث المختارة من مسند الإمام أحمد» وغيرها⁽³⁴⁾.

أما إمام الأسرة الكتانية في الحديث بحق فهو الشيخ عبد الحي الكتاني المتوفى سنة 1382هـ، المحدث المسند، والمؤرخ النسابة المطلع، صاحب «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات»، وكتاب «التراتب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية»، وغيره من مؤلفات نفيسة في علوم الحديث تجاوزت المائة، وكان بينه وبين الحافظ أحمد بن الصديق الغماري مناقضات وردود، وقد توفي الرجلان رحمهما الله تعالى، والمعاصرة حجاب، وأقوال الأقران في بعضهم البعض تطوى ولا تروى كما يقول أهل الحديث⁽³⁵⁾.

• الأسرة الصديقية التجكانية الغمارية:

أما هذه الأسرة؛ فيقول عنها أحد تلامذة الشيخ أحمد بن الصديق: «هي في نظري أمثل هذه الأسر، وأوفرها حظا من هذا العلم، وأفرادها عدة إلا أن أربعة منهم امتازوا بالعناية بهذا الشأن، وعلى رأسهم عميد الأسرة وأخوهم الأكبر شيخنا أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق، فإن هذا الرجل كان كبير علماء الحديث بالمغرب، لا يوجد من يماثله ولا من ينازعه، فإن الحساد كثيرون، والإنصاف عزيز»⁽³⁶⁾.

والحافظ أحمد بن الصديق الغماري المتوفى بالقاهرة سنة 1380هـ، وعميد الأسرة الصديقية، نبغ في الحديث وأعلن عن نفسه، منذ كان شابا وطالبا بالقاهرة، فقد رد على الخضر الشنقيطي رسالته «إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض» في كتابه المشنوني - كذا - والصواب: المثوي و«البتار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار»، وقد طبع في مجلد وسط، وكان مشايخه في القاهرة يرجعون إليه، ويعتمدون قوله في التصحيح والتضعيف كالشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي الأزهري علامة الديار المصرية المتوفى سنة 1354هـ، والشيخ يوسف الدجوي وغيرهما، كما ألف تأليف في الحديث وعلومه تجاوزت المائة، أكبرها والذي يُذكرنا بالحفاظ والنقاد المتقنين الكبار: «المداوي لعلل الجامع وشرح المناوي» في شرحه (فيض القدير) و(التيسير)، وقد طبع في ستة أسفار، وهو جيد في تعقب أوهام للسيوطي في «الجامع الصغير» والمناوي لولا ما تخلله من شدة في الخطاب أحيانا، ومنها «الهداية إلى تخريج أحاديث البداية»، طبع مع بداية المجتهد في ثمان مجلدات، و«فتح

34 - انظر: الملامح، والمؤسسة العلمية الكتانية على الشبكة العنكبوتية.

35 - انظر: الملامح، والأعلام، للزركلي، 6/ 188.

36 - القائل هو الشيخ محمد بوخيزة التطاوني أحد كبار تلامذة الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في مقاله: «ملاحم من تاريخ علم الحديث بالمغرب» مرجع سابق.

الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب»، طبع في مجلدين، و«تخريج الدلائل لما في رسالة القيرواني من الفروع والمسائل»، ثم اختصره في كتاب سماه «مسالك الدلالة في شرح مسائل الرسالة»، شرح فيه مسائل الرسالة الفقهية تدليلاً وتعليلاً، وقد طُبع في سفر ضخّم مراراً، وغيرها كثير من الأجزاء الحديثية والتخاريج مما ظهر فيه فضله، وعلو كعبه، ورسوخ قدمه في علوم السنة⁽³⁷⁾.

والثاني في هذه الأسرة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، المتوفى بطنجة بتاريخ 19 شعبان 1413هـ/ 11 فبراير 1993م⁽³⁸⁾. رحل إلى مصر وحصل على شهادة العالمية من الأزهر، وكان على معرفة وإطلاع جيد، مع مشاركة حسنة في العلوم العقلية وعلوم الآلة، وكان مرجعاً في علوم الحديث توجه إليه الأسئلة فيه من مختلف الجهات بواسطة مجلات وصحف؛ أوسعها انتشاراً مجلة الإسلام القاهرية الأسبوعية، فقد كانت المجال المفضل للشيخ نشر فيها ردوده وأجوبته لسنوات عديدة، وأغلب مؤلفاته رسائل صغيرة وأكبرها «الفتح المبين بشرح الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين» طبع في مجلد وسط في بيروت. ومنها «الأربعون حديثاً الصديقية في مسائل اجتماعية»، طبع بالقاهرة، و«الأربعين الغمارية في شكر النعم» طبع ببيروت، و«توجيه العناية لتعريف علم الحديث رواية ودراية» طبع بمصر، و«أسانيد الكتب السبعة في الحديث: الصحيحين والسنن الأربعة وموطأ الإمام مالك»، و«فتح الغني الماجد ببيان حجية خبر الواحد» طبع بالدار البيضاء، و«الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة» وغيرها. ومن كتب التخريج: «الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج» خرج فيه أحاديث كتاب المنهاج في الأصول للبيضاوي، وتخريج أحاديث اللمع في أصول الفقه للشيرازي، وكلاهما مطبوع⁽³⁹⁾.

أما ثالث الإخوة الذي اهتبل بعلم الحديث، وكان من رجالته البارزين بالمغرب، فهو الشيخ عبدالعزيز بن الصديق الغماري المتوفى بطنجة سنة 1418هـ، وقد دَرَسَ بالأزهر مع إخوته، ومكث به اثني عشر عاماً، وبعد عودته إلى المغرب أخذ ينشر رسائل صغيرة⁽⁴⁰⁾.

وسطر قلمه مؤلفات في الحديث كثيرة منها «التأسيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس»، و«إتحاف الطلاب بتخريج أحاديث الشهاب»، و«إثبات المزية بإبطال كلام الذهبي في حديث: من عادى لي ولياً»، و«الجواهر المرصوعة في ترتيب أحاديث اللآلئ المصنوعة»، و«رفع العلم بتخريج

37 - نفس المرجع السابق بتصرف.

38 - الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري، جهوده ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن، للدكتورة نسيبة الغلبزوري، ص: 15. أطروحة دكتوراه مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

39 - المرجع السابق، ص: 77، والملاح لأبي خبزة.

40 - الملاح لأبي خبزة.

أحاديث إيقاظ الهمم في شرح الحكم»، و«إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة»، وغيرها كثير⁽⁴¹⁾.

أما رابعهم وأصغرهم سنا الذي انتهت إليه علوم إخوته في هذا الشأن، ولهذا سنقف عنده أكثر من الآخرين؛ إضافة إلى أنني صحبتته وأفدت منه أكثر من أخويه الشيخين عبد الله وعبد العزيز، فهو العلامة المحدث الدكتور إبراهيم بن الصديق الغماري المتوفى بطنجة يوم الخميس 8 صفر 1424هـ الموافق 10 أبريل 2003م. رحل إلى جامع القرويين بفاس، فنهل من حياضه، وجلس إلى كبار علمائه ومحدثيه، ولما تاقت نفسه إلى مزيد من البحث والتحصيل، رحل إلى القاهرة، وقصد جامع الأزهر، فلازم أخاه الحافظ أحمد وعنه أخذ الحديث وفيه تخصص، كما أخذ عن كبار علماء مصر شتى العلوم والفنون كالعلامة محمد الفتوح ومحمد الشوفاني وغيرهم، وبعد وفاة أخيه أحمد عام 1380هـ رحل إلى العراق بحثا عن الشيوخ وعن مزيد من المعرفة والاطلاع.

ثم عاد إلى المغرب، والتحق بكلية الشريعة بفاس سنة 1965م، وحاز على الإجازة منها، ثم عين أستاذا للغة العربية بمدينة القصر الكبير، وبعدها التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط سنة 1966م، فحصل على دبلوم الدراسات العليا، وفي سنة 1985م على دكتوراه الدولة. ثم اشتغل أستاذا للحديث الشريف بكلية أصول الدين بتطوان ودار الحديث الحسنية بالرباط، وقد اشتهر رحمه الله بنظراته الثاقبة، وملاحظاته الدقيقة، وأبحاثه الطريفة في علم الحديث والمصطلح خاصة.

ولقد صنف - رحمه الله - تصانيف في خدمة السنة النبوية، مازال بعضها مخطوطا «كترتيب أحاديث أخبار القضاة لوكيع»، و«طرفة المشتبه فيما أسنده الحافظ البندهي»، و«مسند أبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي»⁽⁴²⁾، وجزء جمع فيه الأحاديث المتكلم فيها في المحلى لابن حزم⁽⁴³⁾، وقد حدثني رحمه الله عن هذا الجزء ببيته بطنجة، ومحاضرات في الحديث ومواضيع أخرى (الجزء الثاني)، وخطب جمعية وعيدية.

أما تأليفه المطبوعة التي هي بين أيدينا، فقد وجدتها تتوزع على ثلاثة علوم هي من أدق فنون الحديث وهي:

41 - انظر: «تعريف المؤتسى بأحوال نفسي»، لعبد العزيز بن الصديق، مخطوط خاص، ورقة رقم: 12، و«إسعاف الإخوان الراغبين»، لابن الحاج السلمي، ص: 428، والحافظ عبد الله بن الصديق الغماري للدكتوراة نسيبة الغلبزوري، ص: 61.

42 - الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري... للدكتوراة نسيبة الغلبزوري، ص: 62. (وقد أخبرت الباحثة بأن شيخها إبراهيم بن الصديق هو الذي أذن لها بإثبات هذه التأليف في ترجمتها له).

43 - حدثني بهذا التأليف في بيته في طنجة لما كنت مشغلا بابن حزم في بحث الدكتوراه، تحت إشرافه.

- أولا: علم الجرح والتعديل، وتاريخ الرجال.

- ثانيا: علم علل الحديث.

- ثالثا: علم مصطلح الحديث.

أولا: في علم الجرح والتعديل، وتاريخ الرجال:

صنف كتابا فريدا طريفا هو كتاب «الجرح والتعديل في المدرسة المغربية للحديث»، وقد طبع في جزأين ضمن كتاب «دعوة الحق» 1421هـ-2001م، وهو رسالته لدبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بإشراف الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، ويعد العلامة المحدث الدكتور إبراهيم بن الصديق ببحته هذا أول من فتح هذا الباب، وفتق ذلكم الجلباب في المغرب الأقصى، وقد ذكر بنفسه في خطبة كتابه هذا أن المغاربة لم يعتنوا برواتهم ومحدثيهم، اعتناءهم برواة ومحدثي المشرق، إذ لم يؤلف لهم في «علم الجرح والتعديل» كتاب خاص بمسائله ولا ديوان واحد يجمع روااتهم، ويوزنون فيه بموازين النقد عند المحدثين، وإنما هو مفرق أشتاتا، وموزع أنحاء، قال رحمه الله: «وهو بحث متعدد الجوانب، لا أعلم أن أحدا تناوله بصفة علمية شاملة، أو أعطى عنه فكرة محددة»⁽⁴⁴⁾. وكتاب: «نماذج من أوهام النقد المشاركة في الرواة المغاربة»، وعنوانه يدل على مضمونه، وأصله مقالان بمجلة دار الحديث الحسنية، العددان الثالث والرابع، ثم طبع مستقلا بدار المصطفى بالقاهرة، طبعة: 1 سنة 1416هـ 1996م. وقد تفضل رحمه الله فأهدى إلي نسخة منه بيته بطنجة.

ومقال «الواقعية في النقد الحديثي عند ابن القطان»، نشر هذا البحث في مجلة القرويين، العدد العاشر، الجزء الثاني، 1416هـ 1996م. ومقال «مذهب الإمام ابن عبد البر في معرفة الرواة»، ومقال «مالك المحدث»، جُمع في كتاب ضمن أعمال ندوة الإمام مالك المنعقدة بفاس في 9-12 جمادى الآخرة 1400هـ، ومقال «المعمر المغربي أبو الدنيا الأشج وحقيقة ادعاء بعض الرواة للتعمير الكثير»، وقد نشر هذا البحث في مجلة «دعوة الحق» العدد: 348، السنة الأربعون، رمضان 1420هـ، دجنبر 1999م، ومقال «فقيه الأندلس عبد الملك بن حبيب في ميزان المحدثين»، نشر هذا البحث في مجلة دار الحديث الحسنية، بالرباط، العدد: 1- السنة: 1- 1399هـ-1979م. ومقال «من رجالات الحديث بالأندلس محمد بن وضاح القرطبي»، نشر هذا البحث في مجلة الاعتصام، الرباط، العدد: 1- السنة: 1، ذو الحجة: 1394هـ يناير 1975م، ومقال «حقيقة محضر أبي الخطاب ابن دحية»، نشر بمجلة كلية أصول الدين، بتطوان، العدد: الأول، صفر 1420هـ ماي 1999م.

ثانيا: علم علل الحديث:

ومن أنفس البحوث العلمية التي صدرت بالمغرب في هذا العلم، والذي دل على تمكن مؤلفه من هذا العلم الدقيق من علوم الحديث: هو الموضوع الذي نال به شيخنا إبراهيم بن الصديق رحمه الله الدكتوراه من دار الحديث بإشراف الدكتور محمد فاروق النبهان، المدير السابق لدار الحديث الحسنية؛ وهو كتاب «علم علل الحديث في المغرب من خلال كتاب: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن بن القطان الفاسي المتوفى سنة 628هـ»، وقد نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية في جزأين عام 1415هـ - 1995م. ومقال «حديث: السلطان ظل الله في الأرض»، نشر بمجلة «دعوة الحق»، العدد: 280 - محرم الحرام وصفر الخير، 1411هـ غشت وشتبر 1990م. ثم جمع ضمن «مقالاته ومحاضراته»، وأحسب أن هذا البحث خير مجال طبق فيه شيخنا إبراهيم قواعد هذا العلم: علم العلل، وذلك بجمع الطرق والروايات الكثيرة، ولَمَّ المخارج المتعددة، مقارنة بينها، ومقسما لمراتبها، ومنتها إلى الحكم على الحديث بأنه: ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومشهور ومستفيض.

ثالثا: علم مصطلح الحديث:

وقد نبغ شيخنا إبراهيم بن الصديق - رحمه الله - في هذا العلم خاصة، وشهد له بذلك غير واحد من العلماء لا سيما في شمال المغرب الأقصى حتى قال بعضهم: إنه لا يتقن غيره، وليس ببعيد، فإن علم الحديث لا يقبل المشاركة كما يقول أهل الحديث، ويحتاج إلى تخصص كامل، وتفرد تام، ومع ذلك فإننا نثبت هنا أن شيخنا إبراهيم لم يكن أجنيا عن غيره من العلوم، بل له فيها أبحاث وإسهامات؛ ليس هذا موضع ذكرها لأن هذا البحث خصص للحديث والمحدثين بالمغرب. ومن كتبه في هذا الفن كتابه المرقون: «محاضرات في علوم الحديث» الذي ألفه لطلبة الدراسات الإسلامية العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط للسنة الجامعية 1981-1982م، ثم درسه بعد لطلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين بتطوان، وعندي نسخة منه، وهو بحاجة إلى من يخرج له للناس مطبوعا منشورا.

وأما مقالاته ومحاضراته في هذا العلم: علم مصطلح الحديث فمنها:

مقال: «محاولة إدراك معنى شرط الشيخين البخاري ومسلم في صحيحهما»، وأصله محاضرة ألقاها رحمه الله بدار الحديث الحسنية، ثم أعيد نشرها في مجلة «دعوة الحق»، العدد 347، السنة الأربعون، رجب - شعبان 1420هـ، ثم ضُمَّتْ كتاب «مقالات ومحاضرات في الحديث الشريف وعلومه» الصادر عن دار البشائر الإسلامية ببغداد. وهذا المقال برع شيخنا إبراهيم في تحريره على نحو لم يسبق إليه، فليراجع.

مقال «علو الإسناد في صحيح مسلم»: وأصله محاضرة أُلقيت في الاحتفال بالذكرى الألفية للإمام مسلم بن الحجاج، ثم ضمنت كتاب «المقالات والمحاضرات».

مقال: «مشروع موسوعة الأحاديث الصحيحة من روافد الحفاظ على الصحيحين»، نشر بمجلة «دعوة الحق»، العدد 366، صفر الخير 1423هـ، أبريل 2002م، وهو آخر ما قرأته من مقالاته رحمه الله. والبحث في أساسه دعوة إلى إنجاز مشروع كبير موضوعه: أن السنة لم يجمعها شخص واحد بل يوجد عند واحد من الرواة ما لا يوجد عند الآخر، فاستيعابها- إذن- يحتاج إلى جمعها من كتب المسانيد، والزوائد وغيرها، بعد النظر في الأحاديث صحة وضعفاً؛ باعتماد تصحيح هؤلاء الحفاظ الأربعة: ابن حزم، وعبد الحق الإشبيلي، وابن القطان الفاسي، والحافظ ابن حجر، في غير الصحيحين: «بالإضافة إلى تتبع ما صححه بعض الأئمة في كتب الخلاف وشروح الأحكام وغيرها من الكتب العامة، وما صححوه من أحاديث معينة في مؤلفات خاصة باعتبار جميع ذلك زوائد على ما في الصحيحين، يكون موسوعة للأحاديث المعمول بها، تكون مرجعاً لكافة المسلمين».

وذكر- رحمه الله- أنه حاول أن يقوم ببعض هذا العمل بمفرده، لكن المرض الذي داهمه منعه من إنجاز هذا المشروع الهام، ومع ذلك اعتبر العمل الفردي في هذا المجال غير مُجَدِّ، ودعا إلى العمل الجماعي من خلال الجامعات والمؤسسات العلمية مستعينة على ذلك بالآلات والحواسيب لتؤدي للمسلمين خدمة جُلَّى.

وقصارى القول: هؤلاء أربعة رجال من الذين برزوا في الحديث وعلومه من علماء الأسرة الصديقية الغمارية والذين أسهموا بحظ وافر في النهضة الحديثية بالمغرب الأقصى في العقود الأخيرة.

وختام البحث: هذه لمحة سريعة عن تاريخ علم الحديث بالمغرب والأندلس، وهذه أسر وبيوتات أربع منتقاة في هذا العصر الأخير؛ أسهمت بسهم وافر في خدمة السنة النبوية وعلومها بالمغرب، إحياء للعمل بها، وإسهاماً في نهضتها، وتجديداً لدراستها، وكشفاً وتحقيقاً لمصادرها ومطائنها؛ وقد حاول هذا البحث إبراز بعض ملامحها ومعالمها؛ دفعا لشبهة أن المغرب دار فقه وليس دار حديث.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

التصنيف في أحاديث الأحكام عند المحدثين المغاربة

السمات والخصائص

• ذ. محمد بنكيران

رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم الفحص أنجرة

تقديم:

يتوخى هذا المقال التعريف بجهود المحدثين المغاربة والأندلسيين بأحاديث الأحكام الشرعية، انطلاقاً من المصنفات التي ألفوها في موضوعها.

وليس المقصود هنا جرد الأعمال ولا تقصي المؤلفات، رغم ما لذلك من الأهمية والفائدة في بعض السياقات والمقامات، وإنما الغرض الأساس هو معرفة سماتها المنهجية، ومميزاتها وخصائصها المختلفة التي تمكن من تقويمها، وتحديد وجوه أهميتها، وآثارها في الدرس الحديثي، وذلك حتى يتسنى مواصلة الجهود في هذا الباب على أساس تصور مستوعب وكامل، باعتبار ذلك المقصود الأعظم من مثل هذه البحوث.

فدرس الجهود على هذا النحو يعتبر في أي علم القاعدة الصحيحة للانطلاق، ويحدد البوصلة الدقيقة للعمل العلمي الذي يراد له أن يكون مثمراً ومفيداً.

وتجدر الإشارة هنا وبالمناسبة إلى أن البحث العلمي يحتاج في حقيقة الأمر وواقعه إلى إدارة راشدة تدبر شؤونه، وتوجه أعماله، وتستثمر العقول والطاقات العاملة فيه في اتجاه الإجابة عن التساؤلات العلمية الوجيهة، وتلبية الانتظارات المعرفية الحقيقية الجديرة بالدرس والنظر.

وما من شك في أن بحوث المتقدمين -ولاسيما في السنة النبوية وعلومها- بالنظر إلى رصانتها ورسوخها وما اشتملت عليه من التطوير والإضافات النوعية تعكس وجود رؤية دقيقة للبحث لدى علمائها، ووضوح مخطط العمل الذي كانت مبادئه تنتقل من جيل إلى جيل ومن إقليم إلى آخر رغم التباعد الجغرافي ومختلف الظروف والصعوبات.

المحدثون والاهتمام بأحاديث الأحكام:

تكتسي أحاديث الأحكام الشرعية أهمية بالغة وكبيرة في المعرفة الإسلامية، وتحتل في المكتبة الحديثية موقعا استثنائيا وفريدا، وذلك بالنظر لكونها الأساس للمنظومة الفقهية والتشريعية والقانونية إلى جانب القرآن الكريم كما هو معلوم، وقد وقع الاهتمام بها من لدن طوائف كثيرة من العلماء منهم على وجه الخصوص المحدثون والفقهاء والأصوليون.

وينبه الباحثون في تاريخ الحديث وتدوينه على أن كتابه ومدونه كان لهم منذ اليوم الأول اهتمام زائد بأحاديث الأحكام الفقهية.

وقد كان مبتدأ ذلك مع الصحابة رضوان الله عليهم الذين اشتملت مدوناتهم على ما هو حكيم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدرجة الأولى، فكان من مضامينها أحكام الديات والعقل وفكك الأسير.. وما شابه.

ويقرر الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) استمرار هذا التوجه خلال المراحل المتعاقبة من خلال حديثه عن تدوين السنة وأعلام المدونين، فيقول: «حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار، لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام، فصنف الإمام مالك الموطأ، وتوخي فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي بالشام، وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بالكوفة، وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم»¹.

وبالبحث فيما ألفه هؤلاء من مصنفات نجد أن موضوعاتها في معظمها في الأحكام التشريعية، بحيث لا تكاد تخرج عن ذلك.

فمعمربن راشد الأزدي من اليمن (ت151هـ) صنف كتاب «الجامع» الذي أكثره أحكام، وأول أبوابه «باب وجوب الاستئذان»².

1 - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: هدي الساري مقدمة فتح الباري، مصر: المكتبة السلفية - 1380 هـ ص: 6.

2 - جامع معمربن راشد مطبوع مع مصنف عبد الرزاق الصنعاني، وهو الجزء العاشر منه. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت - المكتب الإسلامي: 1403 هـ.

ولسعيد بن أبي عروبة بالبصرة (ت156هـ) كتاب: «السنن»، وهو أول من صنف بهذا العنوان الدال على نضج المصطلح، لأن مدلوله يصب في صميم الأحكام الشرعية كما هو معروف.

وسفيان الثوري بالكوفة (ت161هـ) صنف «الجامع في الفقه والحديث»، كما صنف «الفرائض»، الذي هو باب من الأبواب الفقهية، وهو مطبوع.

ولابن أبي زائدة، يحيى بن زكريا الكوفي (ت183هـ) كتاب «السنن».

وللشافعي الإمام محمد بن إدريس (ت204هـ) كتاب «السنن المأثورة».

وفي نفس الفترة ألف أبو نعيم الفضل بن دكين بالكوفة (ت219هـ) كتاب «الصلاة».

وصنف سعيد بن منصور بخراسان (ت227هـ) كتاب «السنن» كذلك.

في كثيرين آخرين لا يتسع المقام لذكرهم.

وكان تاج هذه المؤلفات جميعاً في مجال الأحكام الشرعية كتاب الموطأ الذي ألفه إمام أهل المدينة مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ)، وهو كتاب ملأ الدنيا وقتها وشغل الناس، حتى قال فيه عبد الله بن وهب (ت197هـ): «من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئاً».

وقال عنه الشافعي (ت204هـ): «ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من كتاب مالك»³.

وميزة هذا الكتاب تتمثل في كونه أول كتاب منهجي جامع في فقه الأحكام الشرعية بالاعتماد على الأحاديث الصحيحة، في إطار فهم فقهاء الصحابة ومن بعدهم من علماء المدينة المنورة، فكان أن تجاوز به الإمام مالك من تقدمه من المصنفين فضلاً عما عاصروه، وكان له الفضل في تمهيد السبيل لمصنفي القرن الثالث الهجري - وهو القرن الذهبي للسنة - أن يبلوروا الفكرة، ويطوروا المنهج، وينضجوا العمل، فأنجزوا مصنفات متكاملة في هذا المجال، مثلت أحاديث الأحكام مرتكزها الأساس، فكانت إما تقع ضمن كتاب يجمعها مع غيرها من الأبواب والموضوعات، كما هو الحال في الموسوعات الحديثية الكبرى والمصنفات الجامعة، ككتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري⁴، وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج⁵، وإما تفرد بمؤلفات خاصة ككتب السنن، وأشهرها السنن الأربعة المشهورة.

3 - القاضي عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، المحمدية - مطبعة فضالة، الطبعة الأولى: 1966 - 1970 م، ج2 / 70.

4 - عنوان صحيح الإمام البخاري هو: الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

5 - عنوان صحيح الإمام مسلم هو: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللإشارة فإن أكثر مصنفات السنة النبوية - إذا استثنينا المسانيد والمعاجم وما هو على شاكلتها - مبنية ومرتبة على أبواب الفقه وموضوعات الأحكام.

والفقه حاضر فيها - علاوة على ذلك - على مستويات أخرى غير ذلك، منها تراجم الأبواب، التي تضمنت عند بعض المحدثين استنباطات فقهية صريحة كما هو الشأن عند الإمام البخاري (ت256هـ) الذي قيل في حقه: «فقه البخاري في تراجمه»، وهو ما يعني حضور الملحظ الفقهي لديه بشكل واضح وقوي في أثناء التصنيف للكتاب.

وعلى مستوى التراجم نفسها نلاحظ عند الإمام أبي داود (ت275هـ) مثلاً في سننه استيعاباً جيداً وتاماً للمسائل الفقهية، فهو حينما يضع الكتاب لموضوع ما يجعل تراجم الأبواب متضمنة لكل الجزئيات التي يحتاجها الفقيه في ذلك الكتاب أو الموضوع، حتى وكأنه كتاب من كتب الفقه، والسبب في ذلك أنه ترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم، وذهب إليه ذاهب، كما نص على ذلك العلامة الدهلوي رحمه الله (ت1176هـ).⁶

مصنفات المغاربة المسندة في أحاديث الأحكام:

في غمرة التأليف الحديثي في هذا الباب كان لعلماء المغرب - الذي يعني المغرب والأندلس معاً - اليد الطولى في التصنيف في أحاديث الأحكام والاهتمام بها.

وخط يراعاهم في هذا المجال ومنذ اليوم الأول مؤلفات جلية، كان بعضها مؤلفات موسوعية وشاملة نافسوا بها المشاركة، وواكبوا من خلالها حركة التأليف الحديثي في المشرق التي كانت آنذاك في أوجها وذروتها.

ونذكر فيما يلي - وعلى سبيل التمثيل فقط - نماذج للوقوف على ملامح تلك المؤلفات وسماتها المنهجية والنقدية.

وأول من يمكن البدء به المحدث الكبير بقي بن مخلد، الأندلسي القرطبي، أبو عبد الرحمن (ت276هـ) الذي كان نسيج وحده في الحفظ والتأليف، وكان له الفضل في نشر الحديث بالأندلس، حتى قيل عنه بأنه الذي ملأها حديثاً ورواية.

وقد حلاه العلامة الذهبي بقوله: «الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما»⁷.

6 - في كتابه: الإنصاف بيان أسباب الاختلاف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار النفائس، ط: 2، 1404 هـ، ص: 56.

7 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، ج 13 / 285.

وقال عنه ابن الفريضي: «نشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد»⁸.

وفي بيان علو كعبه في الحديث ورسوخه يقول ابن حزم رحمه الله: «وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه، وجارياً في مضممار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي رحمة الله عليهم»⁹.

ويسترسل في تأكيد ذلك فيقول: «وإذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الأشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي»¹⁰.

له رحمه الله في مجال الأحكام الشرعية كتاب «المسند المصنف» الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند في آن.

وهو كتاب فريد في بابه، ليس يضارعه في مقامه غيره من المصنفات، قال عنه ابن حزم رحمه الله منوها ومقرظاً: «وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير»¹¹.

ونذكر بعد هذا العلم الكبير عالماً آخر هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي (ت 330هـ) الذي وصفه الذهبي في السير بقوله: «الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الأندلس، ومسندها في زمانه»¹².

رحل إلى العراق، وسمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته، وحدث بالمشرق وبالأندلس كما جاء في جذوة المقتبس¹³، وكان بصيراً بالفقه، مفتياً بارعاً، عارفاً بالحديث وطرقه، عالماً به.¹⁴

8 - ابن الفريضي عبد الله بن محمد الأزدي، أبو الوليد: تاريخ علماء الأندلس، أشرف على الطبع: السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، ج 1 / 108، وابن وضاح هو: الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن وضاح المرواني (ت 287هـ).

9 - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: 2، 1987م، ج 2 / 178.

10 - المصدر السابق، ج 2 / 187.

11 - المصدر السابق، ج 2 / 178.

12 - سير أعلام النبلاء، ج 15 / 241.

13 - محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966م، ص 67.

14 - سير أعلام النبلاء، ج 15 / 242.

صنف رحمه الله في الأحكام الشرعية كتاب «السنن» الذي هو اسم على مسمى، خرج على سنن أبي داود، واحتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنفات، كما نص على ذلك من اطلع عليه من القدماء.

واشتهر في هذا المجال وفي نفس الفترة محدث آخر من محدثي الأندلس هو: قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني أبو محمد (ت 340هـ)، وهو ممن انتهى إليه علو الإسناد بها مع الحفاظ والإتقان، وقد قام رحمه الله بتصنيف كتاب «السنن» الذي وصف على لسان ابن حزم بأنه «رفيع»، وبأنه «كتاب حسن» بعبارة الحميدي في الجذوة، صنفه على سنن أبي داود لأنه فاتته السماع منه.¹⁵

وله أيضا كتاب المجتبى على أبواب كتاب المنتقى لابن الجارود، قال عنه ابن حزم: «وهو خير منه انتقاء، وأنقى حديثا، وأعلى سنداً، وأكثر فائدة»¹⁶.

ولأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ): جزء في الأربعة أحاديث التي تتفرع منها السنن، هو من مرويات التجيبي¹⁷، والوادي آشي في برنامجيهما¹⁸.

والداني إمام حافظ، متبحر في الحديث، بارع في علومه، رحمه الله.

وذكر له العلامة الروداني في صلة الخلف «الأربعون الأصول»¹⁹، وليس يعرف هل هو كتاب آخر أم إنه نفس الكتاب.

وللإمام الحافظ الأوحدي ابن حزم القرطبي أبي محمد علي بن أحمد (ت 456هـ) كتاب «مهم السنن»²⁰. هذه أهم النماذج التي لم نورد لها على سبيل الاستقصاء، ولكن ربما تكون كافية إلى حد ما لإعطاء صورة عن مؤلفات المغاربة في مجال الأحكام الشرعية إلى حدود منتصف القرن الخامس الهجري،

15 - المصدر السابق، ج 15 / 473.

16 - رسائل ابن حزم، ج 2 / 179.

17 - القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلسني السبتي: برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا - الدار العربية للكتاب، 1981 م، ص: 235.

18 - محمد بن جابر بن محمد القيسي، أبو عبد الله الوادي آشي الأندلسي: برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، بيروت: دار المغرب الإسلامي، ط: الأولى، 1400هـ - ص: 510.

19 - محمد بن محمد بن سليمان الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق: محمد حجي، بيروت - دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1408هـ، 1988م، ص: 87.

20 - مصطفى بن عبد الله، الشهير بـ (حاجي خليفة) وبـ (كاتب جلي): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح وطبع: محمد شرف الدين بالتقايا، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، إسطنبول: وكالة المعارف - 1941م، ج 2: 1914م.

وهي الفترة التي تعد الحد الفاصل بين مرحلتين فارقتين في تاريخ التصنيف الحديثي، هما مرحلة تصنيف الكتب المسندة التي يعزى إليها الحديث، ومرحلة تصنيف الكتب غير المسندة التي ألفت بعدها، والتي لا يقبل العزو إليها.

والذي يتبين من هذه القائمة المختصرة أن المحدثين المغاربة كانوا حاضرين منذ اليوم الأول وبوصف الريادة والسبق ومزاحمة المشاركة، من غير تأخر عن مرتبتهم زمانا ومضمونا وحجما وقدرًا. فالتأليف وجد منهم منذ الفترات الأولى، واكتست كثير من مؤلفاتهم طابع السعة والضخامة، الذي يجعل أحاديث الأحكام مشمولة بال العناية والاهتمام.

وصاحب هذه الخصائص والميزات أمر آخر، يتمثل فيما تميز به كثير من هؤلاء المصنفين من تمكن كبير في علم الحديث، وأهلية تامة للنقد والتمحيص، جعلت مؤلفاتهم في الدرجة العليا من الأحكام والإتقان، بحسب وصف النقاد كما سبق.

التصنيف في أحاديث الأحكام في المرحلة الموالية؛

يبدو من خلال النظر في المؤلفات التي صنف في موضوع الأحكام في المرحلة التي تلت المرحلة السابقة، أن نهر العطاء والإبداع لم يتوقف في هذه البلاد عن التدفق والجريان، وأن قرائح المغاربة استمرت في الإنتاج الجيد والنوعي على عاداتهم في ذلك.

ونذكر من النماذج في هذا السياق وعلى غرار ما سبق من الاختصار، الكتاب الذي ألفه المحدث الحافظ أبو عمر بن عياد يوسف بن عبد الله بن سعيد بن أبي زيد الربيعي الأندلسي (ت 575 هـ) في صميم الأحكام الشرعية، وهو كتاب: «الأربعون حديثا في العبادات»²¹.

وألف أبو الوليد سعد السعود بن عفير الأندلسي (ت 588 هـ) في السنن كتاب «السييل». وأبو الوليد هذا محدث حافظ سني فاضل مثابر على اقتفاء الآثار النبوية، على وصف ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة)²².

ومن المؤلفات كذلك، ما ألفه الشيخ محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائفي الشهير بابن عربي (ت 638 هـ)، وهو كتاب «جامع الأحكام في معرفة الحلال والحرام»²³، وهو على أبواب، كلها

21 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، ج 4 / 107.

22 - محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة، وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2012 م، ج 2 / 21.

23 - كشف الظنون، ج 1 / 533.

في الأحاديث المسندة، وذلك على الرغم من أنه متأخر من حيث الزمن عن مرحلة التأليف على هذه الشاكلة كما سبق.

وممن ألف في هذا المجال كذلك، العلامة أبو حجة أحمد بن محمد القيسي القرطبي (ت 643هـ)، الذي صنف كتابا في الأحكام الشرعية، جمع فيه ما اجتمع عليه منها صحيحا البخاري ومسلم، وسماه: «منهج العباد»²⁴

ومما ينبغي أن يذكر هنا على سبيل الإشادة والتنويه، أن التأليف في أحاديث الأحكام استمر بعد ذلك عصورا طويلة ولم يعرف الانقطاع حتى في العصور المتأخرة.

ومن الأدلة على ذلك، الكتاب الذي ألفه العلامة محمد بن محمد بن سليمان الروداني، (ت 1094هـ)، بعنوان: «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد».

وهو كتاب يحتوي على خلاصة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتماد على ثلاثة كتب هي: كتاب جامع الأصول لابن الأثير، وكتاب مجمع الزوائد للهيثمي، وكتاب التجريد للصباح والسنن لرزين، ورتبه على الأبواب الفقهية.

وبما أن مصادر هذه المؤلفات كثيرة، فإن كتاب الروداني هذا يكون قد اشتمل على أربعة عشر مصدرا في المجموع.

ثم استمر التصنيف والاهتمام إلى العصر الحاضر، حيث قام الحافظ الجيهذ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله بتأليف كتاب في صلب الأحاديث الحكمية، سماه «مسالك الدلالة على مسائل الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني، جمع فيه أدلة المسائل الفقهية في الكتاب من الحديث النبوي، وهو مطبوع ومتداول. وله غير ذلك من المؤلفات في هذا المجال، كما لغيره كذلك مصنفات لا يتسع المقام لذكرها بله استقصاءها، والمهم هو أن ذلك يدل على تميز المغاربة بالريادة والفرادة والإحكام في عموم إسهاماتهم وعطاءاتهم، وهذا في طليعتها.

تطور التأليف في أحاديث الأحكام وموقع المصنفات المغربية؛

كان للعوامل المنهجية المعتمدة عند المحدثين وما لها من علاقة بمسارات العلم وحاجات المجتمع، أثر كبير على تغير منحى التأليف في أحاديث الأحكام، بحيث تغيرت أنماط التصنيف فيه وأشكاله وطرائقه.

وما حدث، هو أنه ابتداء من القرن الرابع الهجري، ازداد التركيز على أحاديث الأحكام بطريقة تمثلت في محاولات تجريد الأحاديث التي في تلك المصنفات من الإسناد، ووضعها في كتب ومؤلفات بعناوين ومقاصد مختلفة، لكن أغلبها يدور حول أحاديث الأحكام لتعلقها بتلك الأصول التي هي كذلك.

وقد كان رائد هذا الاتجاه، الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي المصري (ت353هـ)، الذي ألف كتابه «الصحيح المنتقى» أو «السنن الصحاح المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وجعله أبواباً في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام، وضمنه ما صح عنده من السنن المأثورة، وقال: «وما ذكرته في كتابي هذا مجملاً، فهو مما أجمعوا على صحته»²⁵.

وقد احتل هذا الكتاب قيمة كبيرة عند العلماء، حتى قال عنه أبو الوليد بن الفريسي: «من كان عنده مصنف ابن السكن لم يبق عليه من الحديث كبير شيء».

وجعله ابن حزم الثاني في الرتبة بعد الصحيحين، فقال: «أولى الكتب بالتعظيم صحيح البخاري ومسلم، وصحيح ابن السكن...»²⁶.

وربما كان هذا الإعجاب هو ما دفعه إلى أن ينسج على منواله كتابه «الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحابها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها»، وهو في نفس هذا السياق، لكنه مفقود للأسف الشديد.

ثم تلاه الحافظ أبو محمد البغوي (ت516هـ)، فألف «مصايح السنة» على نفس المنوال السابق، أي إيراد الأحاديث من المصادر المشهورة بعنايتها بأحاديث الأحكام بحذف الأسانيد، وقسمها إلى صحاح وحسان، مريداً بالصحاح: ما أخرجه الشيخان أو أحدهما، وبالحسان: ما أخرجه أرباب السنن الأربعة مع الدارمي أو بعضهم..

وقد اعتنى بالكتاب الخطيب التبريزي (ت737هـ)، فوضع عليه (مشكاة المصابيح)، الذي قام فيه بتخريج أحاديثه وعزوها إلى مصنفها.

وبعد البغوي قام أحد محدثي الأندلس، وهو رزين بن معاوية العبدري السرقسطي المالكي (ت535هـ) بتصنيف كتاب: «التجريد للصحاح والسنن»، جرد فيه أحاديث الأصول الستة، وهي: الصحيحان، والموطأ، والسنن الثلاثة عدا ابن ماجه، ورتبها على أبواب البخاري.

25 - محمد بن جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية: 1421هـ-2000م، ص: 25.

26 - سير أعلام النبلاء، ج 18 / 202.

وكان هذا العالم إماماً كبيراً ومحدثاً شهيراً، كما وصفه الذهبي في السير.²⁷

وعلى الرغم مما اعترى كتابه من الهنات التي نبه عليها الذهبي بقوله: «أدخل كتابه زيادات واهية، لو تنزه عنها لأجاد»²⁸، فإنه كان معتمد العلامة ابن الأثير في تأليف كتابه الكبير «جامع الأصول في أحاديث الرسول».

وقد نوه الحافظ ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) برزين وبكتابه، فقال: «رزين بن معاوية صاحب تجريد الصحاح، وهو من أعلم أهل زمانه بالسنن والآثار، وهو من المالكية، اختصر تفسير ابن جرير الطبري، وعلى كتابه «التجريد» اعتمد صاحب كتاب جامع الأصول وهدبه»²⁹.

وهذا الأمر مأخوذ من كلام ابن الأثير نفسه في المقدمة، فهو الذي نص على هذا تنصيها فقال: «لما وقفت على هذه الكتب، ورأيتها في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل، ورأيت كتاب «رزين» هو أكبرها وأعمها، حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي أمهات كتب الحديث، وأشهرها في أيدي الناس، وبأحاديثها أخذ العلماء، واستدل الفقهاء، وأثبتوا الأحكام، وشادوا مباني الإسلام، ومصنفوها أشهر علماء الحديث، وأكثرهم حفظاً، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب، وإليه المتهي، وعندهم الموقف.. فحينئذ أحببت أن أشتغل بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح وأعنتني بأمره، ولو بقراءته ونسخه، فلما تتبعته وجدته - على ما قد تعب فيه - قد أودع أحاديث في أبواب، غير تلك الأبواب أولى بها، وكرر فيه أحاديث كثيرة، وترك أكثر منها، ثم إنني جمعت بين كتابه وبين الأصول الستة التي ضمنها كتابه، فرأيت فيها أحاديث كثيرة لم يذكرها في كتابه، إما للاختصار، أو لغرض وقع له فأهملها، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول التي قرأتها وسمعتها ونقلتها منها، وذلك لاختلاف النسخ والطرق، ورأيت أنه قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري، فذكر بعضها، وحذف بعضها، فناجتني نفسي أن أهدب كتابه، وأرتب أبوابه، وأوطئ مقصده، وأسهل مطلبه، وأضيف إليه ما أسقطه من الأصول، وأتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى، وغير ذلك مما يزيده إيضاحاً وبياناً... فشرعت في الجمع بين هذه الكتب الستة التي أودعها «رزين» رحمه الله كتابه..³⁰

27 - المصدر السابق، ج 20 / 204.

28 - المصدر السابق، ج 20 / 205.

29 - محمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي، ابن الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 447.

30 - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرئوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح: 1389هـ، 1969م، ج 1 / 49.

وكعادة المحدثين فيما يصنفون، كان هذا الذي ألف من قبل هؤلاء نواة تبلورت على أساسها فكرة التأليف في أحاديث الأحكام بحذف الأسانيد، وتمحيص المؤلفات لها خاصة دون غيرها بعد ذلك، بحيث اتخذت وجهات جديدة أكثر رسوخا ونضجا ومتانة.

ريادة المغاربة في تصنيف أحاديث الأحكام بحذف الأسانيد:

من يعرف منهج المحدثين في خدمة السنة النبوية، وتسلسل العمل بينهم جيلا بعد جيل، ومرحلة تلو أخرى في تكامل تام وانسجام، يدرك أن فكرة التأليف في أحاديث الأحكام بحذف الأسانيد لا بد أن تستمر لديهم في أحسن حال، بل وأن تتطور نحو الأفضل والأحسن.

وكذلك كان الأمر، فقد أحس العلماء بعد وجود تلك المؤلفات المشار إليها، أن الحاجة ما زالت قائمة إلى تجريد أحاديث الأحكام الفقهية بشكل خاص، وعلى نحو يسعف الفقهاء بطلبتهم في سهولة ويسر واستيعاب، اعتبارا لكون ما ألف لم يكن كله كذلك.

وما وجد من المحاولات، كان كثير منها متجها إلى غير الأحكام الفقهية، كعمل الشهاب القضاعي (ت454هـ) في المسند، والديلمي (ت509هـ) في فردوس الأخبار بمأثور الخطاب.

ومع أن أحد الفقهاء من أهل إفريقية، وهو أبو القاسم زيدون بن علي السبيبي القيرواني، تنبه إلى ضرورة إفراغ أحاديث الأحكام الفقهية دون غيرها، فقام بذلك في مصنف سماه «الكتاب الجامع في الأحكام»³¹، إلا أن عمله كفقيه غير محدث جاء مشوبا بنقائص، نبه عليها الحافظ أبو محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي (ت581هـ)، حيث قال: «إن أبا القاسم رحمه الله أخذ الأحاديث غثها وسمينها، وصحيحها وسقيمها، فأخرجها بجملتها، ولم يتكلم في شيء من عللها، إلا في الشيء اليسير، والناذر القليل، وقد ترك أحاديث في الأحكام لم يخرجها، إذ لم تكن في تلك الكتب التي أخرج حديثها، وإن كان فيها أحاديث معتلة فقد أخرج أمثالها في الوهن، وتلك الأحاديث التي ترك قد أخرجت منها ما يسر الله عز وجل به، وما كان منها فيه علة فذكرتها، كما فعلت في سائر ما في الكتب من الحديث المعتل مما أخرجته منها، إلا أن تكون العلة لا توهن الحديث لضعفها، وقلة القائلين بها»³².

واسترسل في بيان علل تأليفه، فقال: «وأيضاً فإن أبا القاسم عمد إلى الحديث فأخرجه من كتب كثيرة وترجم عليه بأسماء عديدة، ولم يذكر إلا لفظاً واحداً، ولم يبين لفظ من هو، ولا من انفرد به،

31 - ذكره ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي في كتابه: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، مصر: مكتبة الثقافة الدينية - الطبعة الأولى: 1420هـ - 2000م، ص: 149.

32 - عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، المعروف بابن الخراط: الأحكام الوسطى من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: حمدي السلفي، وصبحي السامرائي، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، - 1416هـ - 1995م، ج 1: 68.

وقل ما يجيء الحديث الواحد في كتب كثيرة، إلا باختلاف في لفظ أو معنى، أو زيادة أو نقصان، ولم يبين هو شيئاً من ذلك، إلا في النزر القليل، أو في الحديث من المئة، أو في أكثر، أو فيما كان من ذلك، وليس الاختلاف في اللفظ مما يقدح في الحديث إذا كان المعنى متفقاً، ولكن الأولى أن ينسب كل كلام إلى قائله، ويعزى كل لفظ إلى الناطق به، وأما ما كان في الحديث من اختلاف معنى أو زيادة أو نقصان، فإنه يحتاج إلى تبين ذلك وتمييزه، وتهذيبه وتحصيله، حتى يعرف صاحب الحكم الزائد والمعنى المختلف، وإنما ترجم رحمه الله على الحديث الواحد بما ترجم عليه من الكتب، لتعرف شهرة الحديث وإخراج الناس له، وعمدت أنا إلى الحديث وأخرجته من كتاب واحد، ولفظ واحد، وكذلك ذكرت الزيادة من كتاب واحد، ولفظ واحد ليعرف صاحب اللفظ، ويتبين صاحب النص، وتقع نسبة الحديث إليه صحيحة»³³.

ثم قال بعد ذلك: «ولم يشتهر بالصحة من الكتب التي أخرج أبو القاسم رحمه الله حديثها، إلا كتاب الإمامين، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبي الحسين مسلم بن الحجاج رحمة الله عليهما، وسائرهما لم يعرف بالصحة، ولا اشتهر بها، وإن كان فيها من الصحيح ما لم يجئ في الكتابين، كما أن فيها من السقيم ما يحتاج إلى الكلام فيه، والتنبيه عليه والتمييز له»³⁴.

فكان هذا هو الداعي في الحقيقة لهذا الإمام الفذ إلى أن يصنف كتابه العظيم «الأحكام الشرعية الوسطى»، ويضيف إليه كتابين آخرين في نفس الموضوع والهدف، وهما:

- الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة.

- والأحكام الشرعية الكبرى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد طارت شهرة الوسطى في الآفاق، وتداولها العلماء، لكونه سار فيها على نهج دقيق، وتتبع واسع كبير، معتمداً على ما عليه العمل من الحديث حتى وإن كان فيه بعض العلة، وإلى هذا أشار في المقدمة بقوله: «ولم أعرض لإخراج الحديث المعتل كله، وإنما أخرجت منه يسيراً مما عمل به، أو بأكثره عند بعض الناس، واعتمد عليه وفزع عند الحاجة إليه»³⁵.

وقد نص العلامة ابن جعفر الكتاني في كتابه (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) على ما كان لهذا الكتاب من الحظوة والمكانة لدى كل من الفقهاء والمحدثين على السواء، فقال:

33 - نفس المصدر، ج 1: 68 - 69.

34 - نفس المصدر، ج 1/ 68.

35 - نفس المصدر، ج 1/ 66.

«وجلالة عبد الحق لا تخفى، فقد اعتمده الحفاظ في التعديل والتجريح، ومدحوه بذلك، كالحافظ ابن حجر وغيره، وأما الفقهاء: كابن عرفة وخليل وابن مرزوق وابن هلال وغيرهم، فاعتمدوه من غير نزاع بينهم، بل اعتمدوا سكوته عن الحديث، لأنه لا يسكت إلا على الصحيح والحسن»³⁶.

وقال العلامة الحجوي الثعالبي في كتابه: (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي): «وعلى كل حال، هو من الطبقة العليا في التصنيف المفيد، وأحكامه من الكتب التي ينبغي طبعها، ولا تغني عنها المصاييح ولا المشكاة، ولا ما ألف بعدهما»³⁷.

وقد وضع عليها الحافظ أبو الحسن ابن القطان (ت 628هـ) كتابه «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام»، الذي قال عنه الذهبي: «وهو يدل على حفظه وقوة فهمه»³⁸.

وقد تعقب كتابه هذا في توهيمه لعبد الحق، تلميذه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن المواق في كتاب «المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال»، في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال، وما انضاف إليه من تميم وإكمال».

فكان الكتاب بحق سببا لنهضة علمية وإشراقة متميزة كبيرة في علم الحديث بشكل عام، وفي أحاديث الأحكام بشكل خاص، سطعت من هذا الصقع الغربي من بلاد المسلمين، وجعلت لعلماء الأندلس والمغرب يدا عظيمة في هذا المجال لا تنكر.

يقول العلامة الدكتور إبراهيم بن الصديق: «ويمكن القول: إن محدثي الأندلس والمغرب هم الذين اتجهوا بهذا العمل وجهته المطلوبة، ووضعوه في مساره الصحيح، فأحدث شيوخ عبد الحق من كبار محدثي الأندلس، وهو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن أبي مروان، ألف (المنتخب المنتقى)، وهو محدث وفقه على طريقة ابن حزم، وهذا الكتاب هو نواة كتاب عبد الحق في الأحكام»³⁹.

وما حدث بعد ذلك هو أن توجه العلماء نحو التأليف في أحاديث الأحكام بحذف الأسانيد، أسفر عن عشرات المصنفات في هذا المجال، لعلماء كبار من الشرق والغرب، لهم انتساب لمختلف المذاهب الفقهية، ولكن الفضل يبقى في النهاية للبادي كما يقولون، وهم محدثو المغرب والأندلس.

36 - الرسالة المستطرفة، ص: 179.

37 - محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، بيروت: دار الكتب، الطبعة: الأولى: 1416هـ - 1995م، ج 2 / 265.

38 - تذكرة الحفاظ، ج 4: 134.

39 - الدكتور إبراهيم بن الصديق: علم العلل في المغرب من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام لابن القطان، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الطبعة الأولى: 1415هـ / 1995م، ج 1: 134.

لكن هل استمر التأليف في أحاديث الأحكام بحذف الأسانيد على نفس المنهج والنسق، الذي رسمه الحفاظ المغاربة، ولا سيما عبد الحق الإشبيلي؟
هذا ما يحتاج إلى بحث ودراسة، والله الموفق.

أعلام الحديث بالمغرب

أحمد بن مبارك السجلماسي الفقيه الأصولي المحدث

• ذ. محمد ناصري

دار الحديث الحسنية - الرباط

بسم الله الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد،
فقد برز في المغرب عدد من المحدثين عبر مر العصور، حافظوا لهذا البلد على وصله برسول الله
صلى الله عليه وسلم وإسناد حديثه، وتوثيق مصادره ومصنفاته. وأسهموا في صيانة الميراث النبوي،
وبذلوا الجهد في إحكام المعنى المفهوم والمنطوق، وحرروا المشكل وكشفوا المعلن، وامتثلوا أخلاق
النبوة في الأقوال والأفعال.

ومن العلماء الذي ضربوا بسهم في علم الحديث رواية ودراية، الفقيه الأصولي المحدث أحمد
ابن مبارك السجلماسي. ورغم شهرته فقيها محررا لمشكلات الفقه وقضاياه، إلى درجة ادعائه مرتبة
الاجتهاد المطلق، ومحققا أصوليا، ومناظرا في علم العقيدة؛ فقد وقع اختياره للتعريف به محدثا من
أعلام الحديث المغاربة، وسنذكر وجه ذلك وأثره، مع استدراكات على من ترجموا له، في التعريف
ببعض ما صنف، أو تسمية بعض رجال إسناده.

تعريفه:

لقد عرفه كل من حقق رسائله، وضبط اسمه ونسبه ونسبته، وسأورد ذلك باختصار؛ فهو أحمد بن
مبارك بن محمد بن علي السجلماسي، اللمطي، البكري، الصديقي المالكي. قال في سلوة الأنفاس:
«أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي¹، البكري الصديقي؛
يتصل نسبه بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد - رحمه الله - في حدود التسعين وألف ببلده

1 - بفتحيتين؛ نسبة إلى لمط: قرية بالمدينة العامرة من سجلماسة، خربت فيما قبل اليوم.

سجل ماسية»². وقال الحضيكي في طبقاته: «أحمد بن المبارك اللمطي السجل ماسي، ثم الفاسي دارا ومدفنا، علامة وقته وحافظ عصره»³. حفظ القرآن في صغره، وأخذ القراءات السبع عن ابن خالته الإمام والعارف أحمد الحبيب اللمطي المشهور، ثم رحل إلى فاس ملتقى العلماء والمسندين، ومأرز العلم وأهله بقصد التحصيل سنة عشر ومائة وألف؛ فأخذ عن عامة شيوخها؛ كأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وسيدي الحاج أحمد الجرّندي، وسيدي محمد المسناوي، وسيدي محمد بن أحمد القسنطيني، وسيدي علي الحريشي، والقاضي أبي عبد الله بُرْدُلة... وغيرهم.

مشاركته في إسناد الحديث ومعرفته بعلمه وفقهه

لقد تم اختيار هذا العلم الشهير بتحقيقاته الفقهية والأصولية والكلامية، والمشتهر برسائله وتقائده النافعة في ذلك، والتي أخفت شخصيته الحديثية.. لأسباب وجيهة، من أهمها:

أولاً: وصفه بالعالم بالحديث، وعلله، عند من ترجم له من أقرانه وتلامذته ومن تتبع أحواله؛ ومن هؤلاء: الحافظ محمد بن جعفر الكتاني صاحب سلوة الأنفاس، قال عنه: «وكان - رحمه الله - شيخاً متبحراً، وإماماً حجة متصدراً، انتهت إليه الرياسة في جميع العلوم، واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم؛ فكان له باع طويل وتبحر في البيان والأصول والحديث، والقراءات والتفسير»⁴. وعرفه تلميذه محمد بن الطيب القادري في نشر المثنائي بقوله: «تبحر في البيان والأصول والحديث والقراءات». وفي معجم المؤلفين: «عالم في البيان، والفقه، والأصول، والحديث، والقراءات، والتفسير»⁵. ثانياً: إسناده للحديث والكلام عن علله، فقد ذكر تلميذه القادري في نشر المثنائي أنه أسند في مجلس خمسين حديثاً بإسناد نفسه وتكلم عما عرض لها من العلل، وهذا لا يكون إلا ممن له معرفة بهذا الشأن، قال رحمه الله: «ورأيت يسرد في درسه بالقرويين سنة ثمان وأربعين خمسين حديثاً بإسناده، وما عرض له من العلل والأجوبة عنها»⁶. وهذا لا يكون إلا من الحافظ والعالم بمدخل العلل والجرح والتعديل وطبقات الرواة.

ثالثاً: وصفه بالحافظ ومعرفته بالطرق، ونتائج أهل الصناعة الحديثية من الحفاظ المخرجين. ففي مجلس من المجالس التي حضرها تلميذه المحدث والحافظ المحقق الشيخ أبو العلاء إدريس العراقي،

2 - سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، (3/ 293).

3 - طبقات الحضيكي، (ص: 120).

4 - نفسه، 3/ 294.

5 - معجم المؤلفين، (2/ 56).

6 - نشر المثنائي 4/ 41.

أظهر ما يفيد حفظه ومعرفته، بالصناعة الحديثية والطرق وأهلها، يقول الكتاني رحمه الله في فهرس الفهارس في ترجمة الحافظ أبي العلاء العراقي: «وكان شيخه العلامة الحافظ المتبحر أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي يبالغ معه في تحقيق بعض مسائل الحديث، وكان يشير إلى الرجوع إليه فيه، كان الشيخ ابن المبارك يدرس كبرى الشيخ السنوسي، فجرى ذكره لبعض الأحاديث، فسأل صاحب الترجمة عمن خرج، فذكر له على البديهة ستة طرق فقال له: لله درك لقد تعب ابن حجر ولم يخرج له إلا طريقين»⁷. وهذا يدل على شدة تفتيش الإمام أحمد بن مبارك على طرق الحديث وتتبع مظانها، فقد ذكر أن الحافظ ابن حجر تعب ولم يتجاوز طريقين، فلولا أنه استقصى ذلك ما قال الذي قاله. وهذه خصال المحدثين النقاد.

رابعاً: إسناده لكتب الحديث، فقد احتفظت فهارس تلامذته بما سمعوه منه من كتب الحديث، وهي طريقة معلومة في نقل علوم الشريعة؛ فلا يستقيم لأحد أن يدعي معرفته بعلم دون أن يكون قد أجيز فيه، إجازة معلومة، وليس مجرد حضور للدرس، وكانوا يحرسون على الإسناد، بالسماع ما أمكن ويجبرون الفوات بالإجازة، وأبو العباس قد أسند كتباً حديثية وسمعها منه حفاظ من تلامذته؛ ومن ذلك:

أ - في فهرسة الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي الفاسي في ذكر ما أخذه عن شيخه أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي: «وقرأت عليه أطراف المقدسي» ويقصد أطراف الكتب الستة التي هذبها أبو الحجاج المزني. وهذا يفيد اهتمامه بالتخريج ومصادره. وذكر الكتاني أن العراقي كان يروي عن ابن المبارك عالياً⁸.

ب - كما كان يقرئ صحيح البخاري زمن الشتاء بضريح سيدي أحمد بن يحيى⁹، ولا يكون هذا إلا لمن كان يسند الصحيح. فقد جاء في فهرسة العلامة المحدث الفقيه التاودي بن سودة أنه أخذ صحيح البخاري عن شيخه أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي، وكان القارئ له، وأجازه وأذن له في إقرائه¹⁰. وفي هذا دليل على كونه مسنداً للصحيح.

ج - سنده إلى الصحيحين وغيرهما

فقد أسند صحيح البخاري عن شيخه الحريشي، إذ قرأه عليه من أوله إلى آخره. كما قرأ عليه صحيح مسلم لكنه لم يكمله¹¹.

7 - فهرس الفهارس، (2/ 819).

8 - نفسه.

9 - سلوة الأنفاس، 2/ 204.

10 - الفهرسة الكبرى.

11 - فهرسة أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي المأخوذة من إجازته للمكودي رحمهم الله، مخطوطة ضمن مجموع يوجد بالخزانة الحسنية، ص 7-8.

وأسنده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القسطنطيني عن أبي عبد الله محمد المقرئ عن علي الأجهوري عن الشيخ بدر الدين القرافي عن الجلال السيوطي بسنده إلى الإمام البخاري. ويرويه أيضا عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد المومن الشريف الحسني عن أبي الحسن علي الشبراملسي عن شيوخه المشهورين؛ كالشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ أحمد بن خليل السبكي، والشيخ علي الحلبي... وغيرهم ممن يتصل سندهم بشيخ الإسلام زكريا الأنصاري والجلال السيوطي ونجم الدين الغيطي¹².

كما ذكر في فهرسته التي كتبها في إجازته لأبي العباس المكودي سنده إلى الإمام البخاري، وهي تمر عن طريق عدد من المسندين المغاربة، الذين بلغ عددهم ثمانية، تنتهي طرقهم إلى ثلاثة من الرواة هم مدار الرواية في زمنهم وإليهم كانت الرحلة، وهم: الشيخ زكريا الأنصاري، والحافظ جلال الدين السيوطي، والشيخ نجم الدين الغيطي¹³. وشيوخه الثمانية هم: أبو عبد الله محمد بن أحمد القسطنطيني، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المومن الشريف الحسني، وأبو عبد الله الموهوب، والشيخ أحمد بن الوائق، والشيخ أحمد بن عبد العظيم، والشيخ محمد بن عبد الهادي، والشيخ أبو الحسن علي الأنصاري السجلماسي، والشيخ التواتي. وكل هؤلاء تراجمهم معلومة مشهورة في فهرس الفهارس وسلوة الأنفاس، وشجرة النور الزكية.

مصنفاته في الحديث

لم يضع أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي إلا مصنفا واحدا في الحديث، هو «الأربعون حديثا في فضل قضاء حاجة المسلم، وقبول عذره، والذب عن عرضه، وبعض أحكام الولاية وما يلزمهم مع الله عز وجل»، وهي جملة من الأحاديث منتقاة من عدد من مصنفات السنة، حذف إسنادها على عادة المصنفين المتأخرين الذين يتخففون من الأسانيد تيسيرا على عامة الناس.

لكنه ملأ رسائله بالأحاديث على طريقة المحدثين، الذين يتقنون الألفاظ ويتحرون الروايات.

توفي الحافظ أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي سنة ست وخمسين ومائة وألف، هكذا كتب صاحبه ومستجيزه أبو العباس المكودي، وقيل: إنه توفي سنة أربع وخمسين¹⁴.

12 - نفسه، ورقة 7. وقد وقع محقق كتاب تحرير مسألة القبول في خطأ، عندما سمي الغيطي بالقبطي، وقد ترجم له في فهرس الفهارس بالغيطي، وهي نسبة إلى غيبة العدة بمصر.

13 - نفسه، ورقة 5.

14 - رسالة تحرير مسألة القبول، تحقيق الدكتور عيادي الحبيب، ص 53-54.

خلاصات واستدراكات؛

لقد كتب الكثيرون عن أبي العباس أحمد اللمطي، فذابت شخصيته الحديثية في الفنون الأخرى التي أتقنها، وأكثر فيها من التأليف. وعلى عادة الأئمة المسندين والعارفين بالحديث وصناعته والمتقنين لبقية العلوم الأصلية، والفرعية، فقد ادعى الاجتهاد المطلق، ونقل عنه أنه كان يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة رأساً، ويظهر ذلك في طريقتة في التأصيل للمسائل التي حررها، وطريقة عزوه لكتب السنة، ومحافظته على نقل المتون بألفاظها، والكلام على مراتبها. بل إن الناظر في بعض رسائله يكاد يلحظ ميلاً إلى اختيارات لا يوافق عليها أحياناً من الناحية المذهبية لاسيما في علم الكلام والفقه، ومنها مسألة المعية، ومسألة القبض والتسوية فيه بين النفل والفرض.

لقد أظهرت فهرسته حرص المغاربة على الإسناد لكتب الحديث، وبذلك فهي وبقية فهراس شيوخه وتلاميذه مادة نفيسة لتوثيق كتب السنة. كما أنها وثائق مهمة ترسم منهج التلقي خلال العصور المتأخرة، وتبرز مكانة حاضرة فاس وبقية الحواضر التي خرجت هؤلاء المسندين والعلماء الربانيين. إن أبا العباس سيدي أحمد اللمطي من خلال شخصيته العلمية، وشخصيته كتاجر وفلاح، لتعطي النموذج الذي يحرص على الاستقلال المالي، والاعتماد على الذات في العيش، والاندماج في المجتمع، إنه يعكس خاصية من خصائص العالم الذي يعيش واقعه، ولا يتعالى عليه.

استدراك

ومما يستدرك على بعض الباحثين هنا في هذه العجالة، خطأ من جعل التأليف الذي ذكره في إجازته لأبي العباس المكودي ليرويه عنه، وهو رسالة في الفرق بين الموازنة عند علماء الحديث والموازنة عند المعتزلة؛ قال رحمه الله: «ومنها رسالة في الفرق بين الموازنة عند علماء الحديث والموازنة عند المعتزلة، وقد خفي ذلك على جماعة من أشياخنا»¹⁵. فقد جعله الدكتور عيادي الحبيب في مقدمة تحقيق رسالة القبول ضمن مصنفاته في الحديث¹⁶. لكن عنوانها يدل على أنه في علم الكلام، لأن الموازنة مصطلح كلامي وهو ثالث ثلاثة في بابه، إلى جوار مصطلح الإحباط ومصطلح التكفير، ويدل عليه ما جاء في كتاب القلائد في تصحيح العقائد للمهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي المتوفى سنة 840هـ: «فصل في الموازنة والإحباط وما يتعلق بها»¹⁷.

والحمد لله رب العالمين.

15 - فهرسة اللمطي، للمكودي، ورقة 11.

16 - تحرير مسألة القبول، لأبي العباس اللمطي، تحقيق الدكتور عيادي الحبيب، مقدمة التحقيق، ص 74.

17 - القلائد في تصحيح العقائد، للمهدي لدين الله، ص: 123.

من رواد المدرسة الحديثية في الأندلس

• دة. زينب أبوعلي

كلية الآداب بالرباط

بدأ ظهور المدرسة الحديثية في الأندلس بدخول المسلمين إليها؛ ذلك أن الرحلات الاستكشافية الأولى التي رامت فتحها، قام بها بعض من تشرب قلبه بالقرآن الكريم والسنة الشريفة. فقد ذكر ابن بشكوال أن أول من استكشف الأندلس موسى بن نصير، كان من التابعين الذين رووا الحديث، وأكثر رواياته كانت عن تميم الداري الصحابي الجليل رضي الله عنه¹.

واختار موسى بن نصير من رجاله من رأى فيه سمات الصلاح، وموهبة القيادة، قال صاحب الاستقصا: «ولما استقرت القواعد لموسى بالمغرب، كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس، فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر، وخلق يسير من العرب، وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، وصعد الجبل المنسوب إليه، المعروف اليوم بجبل طارق، يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة. وذكر عن طارق أنه كان نائما وقت العبور في المركب، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء، حتى مروا به، فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد»².

وهكذا اتفقت الروايات التاريخية على الفتح الكبير الذي حبا الله تعالى به طارق بن زياد، الذي وضع به أسس الدولة الإسلامية في بلاد القوط؛ قال في البيان المغرب: «فنزل طارق جبلا من جبال الأندلس، يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة 92هـ.. فسَمِّي ذلك الجبل باسمه إلى اليوم»³.

1 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان، ص. ب 10، تاريخ الطبع: 1997م، 1 / 286.

2 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (المتوفى: 1315هـ)، المحقق: جعفر الناصري / محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء: بدون تاريخ، (1 / 153).

3 - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو 695هـ)، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1983م، (2 / 6).

وأدخل الفاتحون إلى الأندلس حب العلم والعمل على طلبه، حتى ضرب المثل برسوخها وتقدمها في شتى العلوم والفنون، بدءاً من إقراء القرآن واتساع الرواية الحديثية، والفقه وعلوم اللغة وغير ذلك.. قال المقرئ التلمساني: «الأندلسيون والعلوم والآداب: وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم، فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب، أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالماً على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة... وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونقٌ ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به محاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم. وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى إن الملتزمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم، الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق»⁴.

لقد حفظت الأندلس للحديث والمحدثين المنزلة العلية، فكان للمحدثين مكانة مهيبة في نفوس الناس، وكانت رحلات المحدثين لتحمل الحديث وأدائه جسر اللقاء بين المشرق والمغرب، فحازوا بذلك المكانة الرفيعة عند الأندلسيين، قال المقرئ: «ومن فوائد القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قوله: قال علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها - الحديث» قال: وهذا دعاء منه عليه الصلاة والسلام لحملة علمه، ولا بدّ بفضل الله تعالى من نيل بركته، انتهى.

وإلى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفي بقوله:

أهل الحديث عصابة الحق ... فازوا بدعوة سيّد الخلق

فجوههم زهرٌ منضّرٌ ... لألّاؤها كتألق البرق

يا ليتني معهم فيدركني ... ما أدركوه بها من السبق» انتهى⁵.

وقال غيره واصفاً الأندلسيين: «وأهل الأندلس زهاد وعباد، والغالب عليهم علم الحديث»⁶. يصعب ذكر كل من كان له شأن في الرواية الحديثية في هذا المقال، لكثرة عددهم من جهة، فالأندلس

4 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 1/ 220-221.

5 - المصدر نفسه: 2/ 36.

6 - آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، بدون تاريخ، الصفحة: 503.

- كما أسلفنا - عرفت رواية الحديث مع دخول الفاتحين الأوائل، ولأن المقام لا يحتمل الإطالة من جهة ثانية. لهذا ستتوقف عند من اشتهر منهم بالاعتناء الفريد بوصل أسانيد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونعرف ببعض من غمر ذكره في بطون الكتب التاريخية، وهم:

- صعصعة بن سلامة الشامي (180هـ)؛ يكنى: أبا عبد الله. يروي عن الأوزاعي، وعن سعيد بن عبدالعزيز ونظرائهما من الشاميين. وكانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصدرنا من أيام هشام بن عبد الرحمن. وولي الصلاة بقرطبة، وفي أيامه غرست الشجر في المسجد الجامع. وهو مذهب الأوزاعي والشاميين، ويكرهه مالك وأصحابه.

روى عن صعصعة من أهل الأندلس: عبد الملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب وغيرهما. وقد ذكره عبد الملك في كتاب: طبقات الفقهاء. وتوفي صعصعة (رحمه الله): سنة اثنتين وتسعين ومائة. في أيام الأمير الحكم، ذكره أحمد. وأخبرنا محمد بن أحمد قال: نا أبو سعيد قال: قدم صعصعة بن سلام مصر وكتب عنه. روى عنه من أهلها فيما علمت موسى بن ربيعة الجمحي، وصار إلى الأندلس وكتب عنه فيما يقال. وكان: أول من أدخل الحديث الأنديسي. وتوفي بها: سنة ثمانين ومائة.⁷

- محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري، المعروف: بالأعشى: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. (221هـ)؛ رحل في العام الذي توفي فيه مالك بن أنس، وذلك سنة تسع وسبعين ومائة. فسمع: من سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح الرواسي، ويحيى بن سعيد القطان، وعثمان بن عيسى بن كنانة وغيرهم من العراقيين والمدنيين، وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار. وكان: يذهب في الأشربة مذهب أهل العراق، إذ كان علمه عراقيا، وكان: رجلا عاقلا، سريا جوادا، وكانت فيه دعابة، وأخباره في ذلك كثيرة مشهورة.

روى عنه محمد بن وضاح، وأصبغ بن خليل، ومحمد بن عبد الواحد، وجماعة سواهم. قال أحمد: قال لنا أحمد بن خالد: قال لنا ابن وضاح: مات محمد بن عيسى الأعشى سنة إحدى وعشرين ومائتين. وجدته في موضع آخر لأحمد بن خالد عن غير ابن وضاح، سنة اثنتين وعشرين ومائتين. وهو: عام السيل الكبير.⁸

- يحيى بن يحيى بن كثير (ت234هـ). قال ابن الفريسي: وكثير هو المكنى بأبي عيسى، وهو الداخل إلى الأندلس. وهو: كثير بن وسلاس بن شملل بن منقيا - من أهل قرطبة، أصله من البربر من مضمودة، ويتولى بني ليث، يكنى: أبا محمد.

7 - تاريخ علماء الأندلس، لابن الفريسي (المتوفى: 403هـ)، اعتنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، 1/ 240.

8 - المصدر نفسه: 7/ 2.

سمع من زياد بن عبد الرحمن: موطأ مالك بن أنس، وسمع من يحيى بن مضر، ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع: من مالك بن أنس: الموطأ، غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد.

وسمع بمكة: من سفيان بن عيينة، وبمصر: من الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم وأنس بن عياض.

وقدم الأندلس بعلم كثير، فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار إلى رأييه وقوله. وكان: يفتي برأي مالك بن أنس لا يدع ذلك، إلا في القنوت في الصبح فإنه تركه لرأي الليث.

أخبرنا العباس بن أصبغ قال: نا محمد بن خالد بن وهب، قال: أنا ابن وضاح قال: سمعت يحيى بن يحيى يقول: سمعت الليث بن سعد، يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: إنما كنت رسول الله نحو أربعين يوما يدعو على قوم ويدعو لآخرين، ثم ترك القنوت. (قال): فلي منذ سمعت هذا الحديث من يحيى بن سعيد نحو من أربعين سنة لم أقنت. قال يحيى: ولي أنا منذ سمعت هذا الحديث من الليث بن سعد نحو من أربعين سنة لم أقنت.

وترك يحيى بن يحيى أيضا رأي مالك في القضاء باليمين مع الشاهد، وأخذ بقول الليث في ذلك وإيجاب شهيدين. وكان لا يرى بعثه الحكمين عند تشاجر الزوجين. وكان ذلك مما ينكر عليه. وكان يحيى بن يحيى قد رأى عبد الرحمن بن القاسم دون سماعه من مالك. فنشط للرجوع إلى مالك ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه. فرحل ثانية فألقى مالكا عليلا. فأقام عنده إلى أن توفي (رحمه الله): وحضر جنازته، فسمع من ابن القاسم سماعه من مالك وسأله عن العشرة. وذكر أحمد بن يوسف عن أبي عيسى. وانصرف يحيى بن يحيى إلى الأندلس فكان إمام وقته، وواحد بلده. وكان رجلا عاقلا.

قال محمد بن عمر بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلا يحيى بن يحيى، وكان يحيى ممن اتهم في الهيج فهرب إلى طليطلة، ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم رضي الله عنه أمانا وانصرف إلى قرطبة.

وكان أحمد بن خالد يقول: لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الخطوة، وعظم القدر، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى، وسمع منه مشايخ الأندلس في وقته، وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله بن يحيى.

أخبرني عبد الله بن محمد بن علي، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: رأيت يحيى بن يحيى نازلاً عن دابته ماشياً إلى الجامع وعليه عمامة ورداء متين، وأنا أحسب دابة أبي. قال لي أبو محمد: توفي: يحيى بن يحيى رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. قال أحمد: توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين. وذكر أبو عيسى يحيى بن عبد الله أنه توفي: في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين.⁹

- عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي: يكنى: أبا مروان. (ت238هـ). قال ابن الفريسي: كان بالبصرة، وسكن قرطبة، وقد قيل: إنه من موالى سليم. روى عن صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزيد بن عبد الرحمن.

ورحل فسمع من عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن المنذر الجذامي، وأصبغ بن الفرج، وأسد بن موسى، وجماعة سواهم كثير. وانصرف إلى الأندلس وقد جمع علماً عظيماً. وكان: مشاوراً مع يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان. وكان: حافظاً للفقهاء على مذهب المدنيين، نبيلاً فيه، وله مؤلفات في الفقه، والتواريخ، والأدب، كثيرة حسان.

منها: الواضحة. لم يؤلف مثلها؛ والجوامع؛ وكتاب: فضل الصحابة رضي الله عنهم؛ وكتاب: غريب الحديث؛ وكتاب: تفسير الموطأ؛ وكتاب: حروب الإسلام؛ وكتاب: المسجدين؛ وكتاب: سيرة الإمام في الملحدين؛ وكتاب: طبقات الفقهاء والتابعين؛ وكتاب: مصابيح الهدى. وغير ذلك من كتبه المشهورة، ولم يكن لعبد الملك بن حبيب علم بالحديث، ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه، وذكر عنه أنه كان يتساهل، ويحمل على سبيل الإجازة أكثر روايته.

قال أحمد: حدثت عن ابن وضاح، قال: قال لي إبراهيم بن المنذر الجذامي: أتاني صاحبكم الأندلسي عبد الملك بن حبيب بغرارة مملوءة كتباً فقال لي: هذا علمك تجيزه لي؟ فقلت له: نعم؛ ما قرأ علي منه حرفاً ولا قرأته عليه. وأخبرني إسماعيل، قال: نا خالد، قال: نا أحمد بن خالد، قال: نا ابن وضاح، قال: أخبرني ابن أبي مريم، قال: كان ابن حبيب (يعني: عبد الملك) عندنا نازلاً بمصر، وما كنت رأيت أდوم منه على الكتاب. فدخلت عليه في القائلة في شدة الحر وهو جالس على شدة، وعليه طويلة؛ فقلت: ما هذا؟ قلنسوة في مثل هذا؟! فقال: هي تيجاننا: قلت له: فما هذا الكتاب: متى تقرأ هذا؟ فقال: أبا عبد الله، ما يشغل بقراءته: قد أجازها لي الرجل (يعني: أسد بن موسى). فخرجت من عنده فأتيت أسداً، فقلت له: أيها الشيخ؛ تمنعنا القراءة عليك وتجيز لغيرنا؟ قال: أنا لا أرى القراءة فكيف أجز! فأخبرته.

فقال: إنما أخذ مني كتيبي فيكتب منها ليس ذا علي. قال خالد: إقرار أسد بروايتها، ودفعه كتبه إليه لينسخها، هي الإجازة بعينها.

وقد سمعت سعيد بن عثمان الأعناقي يقول: أعطانا يونس بن عبد الأعلى كتبه عن ابن وهب: الموطأ، والجامع؛ فقابلناهما. فقلت له: أصلحك الله؛ كيف نقول في هذا؟ فقال: إن شئتم قولوا: حدثنا، وإن شئتم قولوا: أخبرنا. أخبرنا عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري قال: سألت وهب بن مسرة عن قول ابن وضاح في ابن حبيب، فقال: ما قال لي خيرا ولا شرا، إلا أنه كان يقول لم يسمع من أسد.

وأخبرني إسماعيل قال: أخبرني خالد قال: نا أحمد بن خالد قال: نا ابن وضاح قال: كنت عند الجذامي، فسئل فقيلا له: ابن حبيب سمع التاريخ؟ فقال: حفظ الله أبا مروان فإنه، وإنه!!..

أخبرنا أحمد بن محمد بن الخراز الرجل الصالح قال: نا سعيد بن فحلون قال: سمعت إبراهيم بن قاسم بن هلال يقول: رحم الله عبد الملك بن حبيب، فقد كان ذابا عن قول مالك. وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول: عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس، ويحيى بن يحيى عاقلها، وعيسى بن دينار فقيها. قال أحمد: وذكر أنه سئل ابن الماجشون: من أعلم الرجلين عندك، القروي التنوخي؛ أم الأندلسي السلمي؟ فقال: السلمي مقدمه علينا، أعلم من التنوخي منصرفه عنا. ثم قال للسائل: أفهمت؟ قال: نعم. يعني: سحنونا، وعبد الملك.

وأخبرنا عبيد الله بن محمد، قال: نا عثمان بن عبد الرحمن، قال: نا ابن وضاح قال: سمعت أبا زيد بن أبي الغمر بالفسطاط يقول: لم يقدم إلينا هاهنا أحد أفقه من سحنون؛ إلا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه. يعني: ابن حبيب.

وكان: عبد الملك بن حبيب رحمه الله نحويا، عروضا شاعرا، حافظا للأخبار والأنساب والأشعار؛ طويل اللسان، متصرفا في فنون العلوم.

روى عنه مطرف بن قيس، وبقي بن مخلد، وابن وضاح، ويوسف بن يحيى المغامي، في جماعة، كان المغامي آخرهم موتا.

وتوفي: عبد الملك بن حبيب (رحمه الله) في أول ولاية الأمير محمد رحمه الله: سنة ثمان وثلاثين ومائتين. أخبرني بذلك: أبو محمد الباجي وغيره. ذكره أحمد. وقال لنا أبو الحسن مجاهد عن ابن أصبغ: قال لنا سعيد بن فحلون: مات عبد الملك ابن حبيب يوم السبت لأربع ليال مضين من شهر

رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين. أخبرني بذلك ختنه أبو عبد الله محمد بن قمر الزاهد الفقيه رحمه الله. وكانت علته الحصاة. مات وهو ابن أربع وستين سنة.¹⁰

- بقي بن مخلد: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الرحمن. (ت276هـ) قال ابن الفرضي: سمع من محمد بن عيسى الأعشى، ومن يحيى بن يحيى. ورحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين، منهم: إبراهيم بن محمد الشافعي صاحب ابن عيينة، وأبو المصعب الزهري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، ويحيى ابن عبد الله بن بكير صاحب مالك، وأحمد بن السرح أبو الطاهر، والحارث بن مسكين، وسلمة بن شبيب، وهشام بن عمار، وبكار بن عبد الله، ومحمد بن مصطفى الحمصي، ومحمد بن عبيد بن حساب صاحب حماد بن زيد، ومحمد بن المثنى أبو موسى الزمن، ومحمد بن بشار بندار، وعبد الله بن أبي شيبه، ومحمد بن عبد الله بن نمير، ويحيى بن عبد الحميد الحماني، وأحمد بن محمد بن حنبل، وزهير بن عباد، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وهارون بن عبد الله الحمال، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وأبو ثور صاحب الشافعي، ومحمد بن عمر العدني صاحب ابن عيينة.

وسمع: بإفريقية: من سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف، وغيرهم جماعة. أخبرني: أبو محمد عبد الله بن علي الباجي، عن عبد الله بن يونس راوية بقي بن مخلد: أن عدة الرجال الذين لقيهم بقي وسمع منهم: مائتا رجل وأربع وثمانون رجلا.

أخبرنا سليمان بن أيوب قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: قال لنا ابن أبي خيثمة وذكر بقي بن مخلد: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد. أو كما قال... وبقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثاً ورواية. وأنكر عليه أصحابه الأندلسيون: عبد الله بن خالد، ومحمد بن الحارث، وأبو زيد، ما أدخله من: كتب الاختلاف وغرائب الحديث، وأغروا به السلطان وأخافوه به. ثم إن الله بمنه وفضله أظهره عليهم، وعصمه منهم. فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته. فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس.

ثم تلاه ابن وضاح فصارت الأندلس دار حديث وإسناد؛ وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه.

وكان: مما انفرد به بقي بن مخلد ولم يدخله سواه: (مصنف: أبي بكر بن أبي شيبه رحمه الله، بتمامه)، وكتاب (الفقه: لمحمد بن إدريس الشافعي الكبير، بكماله)، وكتاب (التاريخ: لخليفة بن خياط)، وكتابه (في الطبقات)، وكتاب (سير عمر بن عبد العزيز رحمه الله، للدورقي).

ولبقي بن مخلد: (تفسير القرآن) و(مسند النبي صلى الله عليه وسلم)، ليس لأحد مثله. وكان بقي ورعا، فاضلا، زاهدا. وقيل: إنه كان مجاب الدعوة، وقد ظهرت له إجابات في غير ما شيء. وأخبرني عبد الله بن محمد قال: نا عبد الله بن يونس: أن بقي بن مخلد ولد في شهر رمضان سنة واحد ومائتين؛ ومات رحمه الله ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين.¹¹

- محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن أبي ثعلبة الخشني، صاحب رسول الله، من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. (286هـ)؛

رحل قبل الأربعين ومائتين فحج، ودخل البصرة فوجد أهلها متوافرين فسمع فيها: من محمد بن بشار بNDAR، ومن أبي موسى الزمن، ونصر بن علي الجهضمي؛ وابن بنت أزهر السمان، وغيرهم من أصحاب الحديث. ولقي بها أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني، والعباس بن الفرغ الرياشي، وأبا إسحاق الزيادي، فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الأصمعي وغيره.

ودخل بغداد فسمع بها من غير واحد، وكتب بها كتب أبي عبيد القاسم بن سلام، عن محمد بن وهب المسعري، وأبي عمران موسى بن خاقان. وسمع بمكة من محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني صاحب ابن عتبة، أخذ منه مصنف ابن عيينة.

وسمع بمصر: من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق، ومن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، ومحمد بن عبد الرحيم البرقي، روى عنه المشاهد. وجماعة كثيرة من البصريين والمصريين وغيرهم. وأدخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة، وكثيرا من اللغة، والشعر الجاهلي رواية. وكان: فصيح اللسان، جزل المنطق، ضريا من الإعراب، وكان صارما أنوفا، منقبضا عن السلطان، وأراده الأمير محمد على القضاء، فأبى وقال: أبيت كما أبت السماوات والأرض إباية إشفاق لا إباية عصيان. لي ولد وأنا أحبه، لي ولد وأنا أحبه. فأعفاه الأمير. ولم يكن عند الخشني كبير علم بالفقه، إنما كان الغالب عليه حفظ اللغة، ورواية الحديث. وكان ثقة في ذلك مأمونا.

أخبرنا عبد الله بن محمد الشبلي، قال: قال لي عبد الله بن يونس: مات الخشني (رحمه الله) يوم السبت لأربع بقين من شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائتين. وهو: ابن ثمان وستين سنة.¹²

- محمد بن وضاح بن بزيع مولى الإمام عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه (ت 287هـ)؛ من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد الأشج،

11 - تاريخ علماء الأندلس: 107-109.

12 - المصدر نفسه: 16-17.

ويحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وزونان بن الحسن، وعبد الملك بن حبيب، وعبد الأعلى بن وهب.

ورحل إلى المشرق رحلتين إحداهما: سنة ثمان عشرة ومائتين لقي فيها سعيد بن منصور، وأدم بن أبي إياس العسقلاني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وزهير بن حرب، وإبراهيم بن حسان الإطرابلسي وغيرهم. ولم يكن مذهبه في رحلته هذه طلب الحديث، وإنما كان شأنه الزهد، وطلب العباد، ولو سمع في رحلته هذه لكان أرفع أهل زمانه درجة، وأعلاهم إسنادا. وكانت رحلته هذه قبل رحلة بقي بن مخلد، وقد شارك بقيا في كثير من رجاله... ورحل رحلة ثانية فسمع فيها: من إسماعيل بن أبي أويس...

وسمع بإفريقية: من سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف، وسعيد بن عبدوس، في جماعة كثيرة من البغداديين، والمكيين والشاميين، والمصريين، والقيروانيين: وعدة الرجال الذين سمع منهم في الأمصار خمس وسبعون ومائة رجل، وبمحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث.

وكان: محمد بن وضاح عالما بالحديث، بصيرا بطرقه، متكلم على علله؛ كثير الحكاية عن العباد، ورعا زاهدا، فقيرا. متعففا؛ صابرا على الأسماع، محتسبا في نشر علمه. سمع منه الناس كثيرا، ونفع الله به أهل الأندلس.

قال أحمد: كان أحمد بن خالد لا يقدم على ابن وضاح أحدا ممن أدرك بالأندلس وكان يعظمه جدا، ويصف فضله وعقله وورعه. غير أنه كان ينكر عليه كثرة رده في كثرة من الأحاديث.

قال ابن الفريسي: أخبرنا محمد بن أحمد، قال: نا أحمد بن خالد، قال: قال لنا ابن وضاح: ولدت سنة تسع. يعني: وتسعين ومائة؛ أو سنة مائتين. وأذكر من الهيجا على أشياء، والهيجا سنة اثنتين ومائتين.

أخبرنا العباس بن أصبغ قال: قال لنا عثمان بن عبد الرحمن؛ وكان من أعلم الناس بأمر ابن وضاح - توفي محمد بن وضاح (رحمه الله): ليلة السبت لأربع بقين من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين. وذكر أنه ولد سنة تسع وتسعين في أولها، أو في آخرها. وكان: لا يثبت حقيقة ذلك، ودفن في مقبرة أم سلمة.¹³

- عبد السلام بن محمد بن عقبة (300هـ). من أهل بجانة، أصله من جيان. له رحلة إلى المشرق. سمع فيها من محمد بن علي الصائغ، ويحيى بن أيوب العلاف، وغيرهما.

وكان علم الحديث أغلب عليه من المسائل والرأي. وتوفي قريبا من سنة ثلاث مائة. من كتاب محمد بن أحمد بخطه.¹⁴

- قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفي (302هـ): من أهل سرقسطة؛ يكنى: أبا محمد. رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن عمرو البزار، وسمع بمكة: من عبد الله بن علي الجارود، ومحمد بن علي الجوهري، وغيرهما. وعني بجمع الحديث، واللغة هو وأبوه، فأدخلا الأندلس علما كثيرا، ويقال إنهما أول من أدخل إلينا كتاب العين. وألف قاسم كتابا في شرح الحديث، سماه كتاب الدلائل؛ بلغ فيه الغاية من الإتقان؛ ومات قبل إكماله فأكماله أبوه ثابت بعده.

أخبرني العباس بن عمرو الوراق، قال: سمعت إسماعيل بن القاسم البغدادي، يقول: كتبت كتاب الدلائل، وما أعلم وضعا بالأندلس مثله. فتعصب؛ ولو قال إسماعيل: إنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد. وكان: قاسم عالما بالحديث والفقه، متقدما في معرفة الغريب، والنحو، والشعر، وكان مع ذلك ورعا ناسكا. وأريد على أن يلي القضاء بسرقسطة فامتنع من ذلك، وأراد أبوه إكراهه عليه فسأله أن يتركه يتراءى في أمره ثلاثة أيام يستخير الله فيها. فمات في هذه الثلاثة أيام. فيروون أنه دعا لنفسه بالموت، فقبضه الله أجل محمود. وكان يقال: إنه مجاب الدعوة، أخبرني بهذا الخبر العباس بن عمرو، وهو عند أهل سرقسطة مستفيض.

وقرأت بخط المستنصر بالله رحمه الله: توفي: قاسم بن ثابت (رحمه الله): سنة اثنتين وثلاث مائة بسرقسطة. وكان: عالما، زاهدا، خيرا. وقال ابنه ثابت بن قاسم: ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين، وتوفي: في سرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاث مائة.¹⁵

- محمد بن إبراهيم بن حيون: من أهل وادي الحجارة؛ يكنى: أبا عبد الله. (ت 305هـ). سمع: من أبي عبد الله الخشني، وابن وضاح، وعبد الله بن مسرة، ومحمد بن عبد الله الغازي وجماعة من نظرائهما بالأندلس.

ورحل إلى المشرق فتردد هناك نحو خمس عشرة سنة. سمع بصنعاء من أبي يعقوب الدبري، وعبيد الله بن محمد الكشوري وغيرهما. وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز، وأبي مسلم الكشي،

14 - تاريخ علماء الأندلس: 1/ 329.

15 - تاريخ علماء الأندلس: 1/ 402-403، وبغية الملتبس للضبني: 1/ 449.

ومحمد بن علي بن زيد الصائغ، وأبي علي محمد بن عيسى العباسي. ودخل بغداد فسمع بها: من جماعة من أصحاب الحديث.

وسمع بمصر: من عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري، وإبراهيم بن يعقوب الجوزاني وإبراهيم بن موسى بن جميل. وسمع: من أبي بكر بن أحمد بن محمد بن الوليد المري. وسمع بالقيروان من جماعة. وسمع بها من تميم بن محمد التميمي وغيره.

قال ابن الفريسي: وكان إماما في الحديث، عالما به، حافظا لعله، بصيرا بطرقه؛ لم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه. قال لي: عبد الله بن محمد الثغري، قال لي: وهب بن مسرة الحجاري: محمد بن حيون الحجاري صاحب حديث، ضابط متفنن، حسن التوجيه له. صدوق لم يذهب مذهب مالك. روى عنه محمد بن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وسعيد بن جابر الإشبيلي، وهب بن مسرة الحجاري، وأحمد بن سعيد بن حزم، وخالد بن سعد.

أخبرني إسماعيل قال: سمعت خالد يقول: لو أن الصدوق إنسان لكان ابن حيون. وقال ابن حارث: كان ابن حيون يزن بالتشيع لشيء كان يظهر منه في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ووقفت عليه محمد بن عبد الملك بن أيمن فعرفه. والله أعلم بنيته ومجازيه عنها. وكان: ابن حيون شاعرا، وكان أعور. توفي بقرطبة: يوم الاثنين في عقب ذي القعدة سنة خمس وثلاث مائة. ذكر تاريخ وفاته: ابن حارث.¹⁶

- محمد بن عبيد الجزيري: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. (ت 305هـ).

رحل إلى العراق فسمع بها من قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، وموسى بن هارون الحمال، وعلان بن الحسن، وغيرهم من أئمة الحديث. وكان الحديث أغلب عليه والرواية. ولم يكن له كبير حظ من الفقه. وكان أحمد بن زياد يشاوره في الأحكام، واستشهد في غزاة القائد ابن أبي عبدة سنة خمس وثلاث مائة.

ذكره خالد بن حارث وقال: رأيت سماعه مثبتا في كتب أهل القيروان، قد سمعوا منه وحدثوا عنه. وقال لي إسماعيل: محمد بن عبيد الجزيري روى عنه ابن أبي دليم. يعني: محمد بن عبد الله. وكان: رجلا نبلا غني بالعلم وتقييد السنن.¹⁷

16 - تاريخ علماء الأندلس: 28-29.

17 - المصدر نفسه: 29.

- محمد بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك (ت306هـ): من أهل قرطبة، روى عن بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح وأصبغ بن خليل، والخشني، وابن القزاز.

وكان: عالما بالحديث، حافظا للرأي، بصيرا بالنحو والغريب، بليغا متفنا في ضروب من العلوم، حسن الخط ضابطا. قال لنا محمد بن أحمد بن أبي دليم أرانا قاسم بن أصبغ مولد أخيه محمد بخط يده. فكان ولد محمد بن أصبغ ليلة الأربعاء لأربعة أيام مضت من شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين ومائتين. قال: قال لنا محمد بن محمد، عن قاسم: وتوفي محمد بن أصبغ بعد وصول بدر بن أحمد بأيام في غزاته سنة ست وثلاث مائة. وقد حدث عنه أخوه قاسم بن أصبغ (رحمه الله).¹⁸

- قاسم بن مسعدة البكري (ت317هـ): قال ابن الفريسي: من أهل وادي الحجارة؛ يكنى أبا محمد. رحل فسمع بمصر: من أحمد بن شعيب النسائي، وأبي يعقوب المنجنيقي، ومالك بن علي القفصي، وجماعة سواهم. وكان: له بصر بالحديث وتمييز بالرجال. أخبرني عبد الله بن محمد بن قاسم الثغري، قال: نا تميم بن محمد التميمي بالقيروان، عن أبيه قال: جاءني قاسم بن مسعدة لسمع مني فرأيت عنده علما بالحديث، وتمييزا للرجال فأخذت عنه، ثم خرج إلى الأندلس فبلغني أنه استشهد بها، وكان: جماعة من شيوخنا يثنون على قاسم بن مسعدة ويصفونه بفهم الحديث والتقدم فيه. منهم سعيد بن عثمان الأعناق. وكان محمد بن قاسم يثني على قاسم بن مسعدة، وكان قد اجتمع به عند النسائي وغيره. حدث عنه خالد وقال: وتوفي رحمه الله: سنة سبع عشرة وثلاث مائة.¹⁹

- محمد بن فطيس بن واصل الغافقي: من أهل البيرة؛ يكنى: أبا عبد الله. (ت319هـ).

قال ابن الفريسي: روى بالأندلس، عن محمد بن أحمد العتيبي، وأبان بن عيسى بن دينار، ويحيى بن إبراهيم بن مزين، وعبد الله بن خالد، وعبد الرحمن بن إبراهيم أبي زيد، وأصبغ بن خليل، وأبي زيد الجزيري، ومحمد بن وضاح، ويوسف بن يحيى المغامي، وغيرهم من نظرائهم.

ورحل إلى المشرق سنة سبع وخمسين ومائتين وتردد هناك. فسمع بمصر: من يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وإسماعيل بن يحيى المزني، ومحمد بن أصبغ بن الفرّج، وأبي عبيد الله بن أخي ابن وهب، وبحر بن نصر، ونصر بن مرزوق، وإبراهيم بن مرزوق، وبكار بن قتيبة القاضي، ويزيد بن سنان البصري، وعلي بن زيد الفرائضي وأحمد بن شيبان الرملي.

18 - تاريخ علماء الأندلس: 30/2.

19 - المصدر نفسه: 404/1.

وسمع بمكة: من أبي بكر عبد الله بن حمزة القرشي، ومحمد بن إسحاق السجستاني، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، وأبي يحيى بن أبي مسرة، ومحمد بن إدريس وراق الحميدي، وأبي علي الحسن بن إبراهيم البياضي البغدادي، وأحمد بن يحيى الكوفي المعروف بالصوفي.

وسمع بطرابلس من أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي، وبإفريقية من شخوة بن عيسى القاضي صاحب علي بن زياد، ومن أبي زكرياء يحيى بن عون، وإبراهيم بن غياث الخولاني، وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد، وجماعة سواهم من أئمة الحديث، وأعلام الرواية.

قال لي محمد بن أحمد الإلبيري: سمعت محمد بن فطيس يقول: لقيت في رحلتي نحو من مائتي شيخ، ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

وكان محمد بن فطيس نبيلًا، ضابطًا لكتبه، ثقة في روايته، صدوقًا في حديثه. وكانت الرحلة إليه بالبيرة، وإلى أحمد بن منصور. ثم مات أحمد بن منصور، فانفرد بعلو الدرجة، ورياسة الإسناد.

وكان: يقصد إليه للسمع منه بقرطبة وغيرها. وقد حدثنا عنه غير واحد.

وتوفي محمد بن فطيس (رحمه الله): بحاضرة البيرة في شوال سنة تسع عشرة وثلاث مائة. أخبرني بذلك أبو محمد الباجي، وسهل بن إبراهيم، وغير واحد من أهل البيرة. وقال لي سهل: توفي وهو ابن تسعين سنة.²⁰

- أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج (336هـ)، قرطبي. يكنى بأبي القاسم. ومفرج هذا، مولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فيما قاله ابنه محمد لابن الفرضي. وقال القيسي: إنه مولى عبد الرحمن بن معاوية. قال: وكان معدودا في فقهاء قرطبة ورواتها. صالحا نبيها مسمتا. روى عن محمد بن وضاح، وعبيد الله، وطاهر، وأبي صالح، والأعناق، ونظرائهم. قال ابن الفرضي: لا أعلم حدث عنه إلا ابنه، أبو عبد الله رحمه الله. وتوفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.²¹

- قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء، مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله (ت 340هـ). قال ابن الفرضي: من أهل قرطبة؛ يكنى: ويعرف بالبياني.

سمع بقرطبة: من بقي بن مخلد، وأبي عبد الله الخشني، ومحمد بن وضاح، ومطرف بن قيس، وأصبغ بن خليل، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وعبد الله بن قاسم بن هلال، وعبد الله بن مسرة، ومحمد بن عبد الله الغازي.

20 - تاريخ علماء الأندلس: 2/ 42-43.

21 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 6/ 143.

ورحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن زكرياء بن أبي عبد الأعلى سنة أربع وسبعين ومائتين في إمارة المنذر رحمه الله.

فسمع بمكة: من محمد بن إسماعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز، وعبد الله بن أبي مسرة؛ ودخل العراق، فلقي من أهل الكوفة: إبراهيم بن أبي العنبر قاضيها، وإبراهيم بن عبد الله العباسي القصار، حدثهم عن وكيع. وسمع ببغداد: من إسماعيل بن إسحاق قاضي القضاة، وأحمد بن محمد البرني القاضي، وأحمد بن زهير بن أبي خيثمة، كتب عنه: تاريخه، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن يونس الكديمي، ومحمد بن شاذان الجوهري، والحاتر بن أبي أسامة التميمي وجعفر بن محمد الطيالسي، وجعفر بن محمد بن شاعر الصائغ، وزكرياء بن يحيى الناقد، ومضر بن محمد بن الأسدي الكوفي، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة. سمع منه كثيرا من كتبه... وانصرف قاسم بن أصبغ إلى الأندلس بعلم كثير، ومال الناس إليه في تاريخ أحمد بن زهير، وكتب ابن قتيبة، وكانت الموردة عليه في هذه الكتب دون صاحبيه محمد بن أيمن، وابن أبي عبد الأعلى. وسمع منه كثيرا من هذه الكتب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد رضي الله عنه قبل ولايته الخلافة؛ ثم سمع منه ولي عهده الحكم رحمه الله وإخوته. وطال عمره فسمع منه الشيوخ، والكهول، والأحداث. وألحق الصغار الكبارى في الأخذ عنه. وكانت الرحلة في الأندلس إليه، وفي المشرق إلى أبي سعيد بن الأعرابي، وكانا متكافيين في السن.

كان: قاسم بن أصبغ بصيرا بالحديث والرجال؛ نبلا في النحو والغريب والشعر. وكان يشاور في الأحكام. وأخبرني محمد بن أبي دليم، قال: أنا قاسم بن أصبغ، مولده مكتوبا بخط أبيه فكان: ولد قاسم بن أصبغ يوم الاثنين وقت العصر في يوم عشرين من ذي الحجة سنة أربع وأربعين ومائتين.

قال ابن الفرضي: قال لنا محمد: وتوفي (رحمه الله): ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة أربعين وثلاث مائة. فكان يوم مات ابن اثنتين وتسعين سنة وخمسة أشهر غير ستة أيام.²²

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا محمد (ت351هـ). قال ابن الفرضي: روى عن أسلم بن عبد العزيز، وعمر بن حفص بن أبي تمام، وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وعثمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن قاسم، وعبد الله بن يونس، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد الخشني، وغيرهم.

وكان نبيلاً في الحديث، ضابطاً لما روى، بصيراً بالإعراب. خبر الكتاب. وأكثر الكتب التي سمعنا فيها من أخيه محمد بخطه: وهو كان المتولي لقراءتها على الشيوخ، وولاه أمير المؤمنين المستنصر بالله رحمه الله قضاء البيرة وبجانة وأحكام الشرطة. وكانت له منه مكانة. ذكرت محمد بن أحمد بن مفرج محل عبد الله بن أبي دليم من المستنصر، فقال لي: سمعته يقول بعد موت ابن أبي دليم: ما اتصلت بي قط عنه زلة. توفي: شهر جمادي الأولى سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة في القصر بالمدينة الزهراء فجأة. وسبق إلى داره ليلاً. أخبرني بذلك: المعيطي.²³

- خالد بن سعد من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا القاسم (ت352هـ). كان إماماً في الحديث حافظاً له، بصيراً بعلمه، عالماً بطرقه. مقدماً على أهل وقته في ذلك.

سمعت: عبد الله بن محمد الباغي يثني عليه. وكان إسماعيل يرفع به جداً، وبحسان بن عبد الله الإستجي ويغلو في مدحهما، ويذهب بهما كل مذهب.

وأخبرني محمد بن رفاعة الشيخ الصالح قال: أخبرني خالد بن سعد: أنه حفظ عشرين حديثاً من سمعة واحدة. وسمعت بعض أصحاب خالد يقول: إن أمير المؤمنين المستنصر بالله كان يقول: إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين؛ فاخرناهم بخالد بن سعد.

وسألت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى القاضي عن خالد؛ هل كان بحيث يضعه إسماعيل من العلم بالحديث؟ فقال لي: كان أعور بين عميان. يعني: أنه كان أمثل أهل وقته، إذ لم يكن عند أكثر رجالنا المتقدمين تقدم في معرفة الحديث.

وسمع خالد بن سعد: من سعيد بن عثمان الأعناق، وطاهر بن عبد العزيز، وعبد الله بن أبي الوليد، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأبي عبيدة، وعمر بن حفص، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، وعثمان بن عبد الرحمن، وأحمد بن بقي، ومحمد بن قاسم، ومحمد بن مسور، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وعبد الله بن يونس، والحسن بن سعد، وأحمد بن زياد، في غيرهم من أهل قرطبة. وسمع: من محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري، ومحمد بن فطيس الإلبيري، ومحمد بن عبد الله بن عبد الله بن القون، وسمع: الشبلي وغيرهم كثيراً.

ولخالد بن سعد كتاب في رجال الأندلس ألفه للمستنصر بالله رحمه الله. أخذناه من إسماعيل بن إسحاق، وقد كتبنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه، ولم تقرر على خالد الدواوين، إنما كان يحدث بمجالس.²⁴

23 - تاريخ علماء الأندلس: 1/ 271-272.

24 - المصدر نفسه: 1/ 154.

وخالد بن سعد القرطبي أحد أئمة الأندلس، كان المستنصر يقول: إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين أتيناهم بخالد بن سعد، وصنف كتابا في رجال الأندلس، ومات فجأة سنة 352هـ.²⁵

- أبو عيسى يحيى بن عبد الله (ت 346هـ)، غلبت عليه الرواية. سمع من عم أبيه، عبيد الله بن يحيى، ومحمد بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، وسمع ببجانة من علي بن الحسن المري وسعيد بن فحلون. وسمع من محمد بن عيسى القابسي. وعمر إلى أن كان آخر من حدث عن عبيد الله. ورحل إليه الناس من جميع الأندلس، لرواية الموطأ، وحديث الليث، وسماع ابن القاسم رحمه الله تعالى. وعشرة يحيى بن يحيى، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومشاهد بن هشام، ونيف من حديث الشيوخ. قال ابن عفيف: سمعنا منه الموطأ في أزيد من خمسمائة تلميذ. وقد حكى الطبري أن أبا الحسن الدارقطني، هم بالرحلة إلى الأندلس، للسماع منه. وسمع منه هشام المؤيد في حياة أبيه الحكم. وسمع منه عالم عظيم، وآخر من حدث عنه بالأندلس: القاضي يونس بقرطبة. كان أخوه قاضي الجماعة. وكان سماع أبي عيسى من عمه عبيد الله، وهو صغير. وكان بعض الناس يغمص روايته عنه لذلك. قال ابن عتاب، قال محمد بن حارث، وذكره في كتاب القضاة فقال: فحاز من تقدمه عفة وحياء وفضلا، وانقباضا. ورامه الناصر، عندما ولاه قضاء البيرة، أن يصرف إليه أمانة كورها، حسبما كانت بيد أخيه قبله، فأبى، وألح عليه الناصر، فاستغنى من ذلك فأعفاه من الأمانة. وتفرد بالقضاء والنظر في الأحباس، فأدنى الضعيف وثبت في الحكم، وتحفظ من شهود زمانه، وتواضع في أمره، وتعفف. فلم يقبل لأحد تحفة، ولا هدية. قال محمد بن يحيى: كان أبو عيسى جليل القدر، عالي الدرجة في الحديث، حمد الناس أحكامه، وجميع أحواله. وكان من سراة الناس، حسن المركب والملبس والهيئة والصورة، كريما، يطعم الطلبة إذا أتم مجلس مناظرته من ثمار بستانه، وينتظم للأكل، فإن فضل شيء دفعه إلى الغرباء، يحملونه إلى منازلهم. وقال لهم: تستعينون به في إدامكم. وكان أبو عيسى لا يرى القنوت في الصلاة. ولا يقنت في مسجده البتة. ويحتج بالحديث الذي رواه عن عبيد بن يحيى عم أبيه، عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن ابن شهاب: إنما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لقوم ويدعو على آخرين، ثم أتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك سبابة ولا لعانا، إنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابا، «ليس لنا من الأمر شيء» الآية. قال يحيى بن سعيد: فمنذ سمعت هذا الحديث من محمد بن شهاب، لم أقنت. وقال الليث: ومنذ سمعت هذا الحديث من يحيى بن سعيد، لم أقنت. وقال يحيى بن يحيى: ومنذ سمعت هذا الحديث من الليث، لم أقنت. وقال عبيد الله بن

25 - معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م، 4/ 325.

يحيى: ومنذ سمعت هذا الحديث من أبي يحيى، لم أقنت. قال أبو عيسى: ومنذ سمعت هذا الحديث من عم أبي، لم أقنت، ولا قنت في مسجدنا. توفي أبو عيسى صدر رجب سنة ست وأربعين وثلاثمائة، وسنه خمس وثمانون سنة، رحمه الله تعالى.²⁶

- أبو عبد الله بن مفرج القاضي (380هـ)، محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج، تفرد بعلم الحديث. وكان من أعلم أهل الأندلس به، وأقواهم عليه، وأوثقهم فيه. ورحل ولقي الناس، وسمع منه، وصنف تصانيف جليلة. وولي قضاء رية. وعدة شيوخه مائة شيخ. توفي سنة ثمانين وثلاثمائة رحمه الله.²⁷

- أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن الحصار: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا العباس (392هـ)، سمع: من قاسم بن أصبغ، وابن أبي دليم، والحبيب بن أحمد المعلم، ومسلمة بن القاسم، وخالد بن سعد، وغير واحد من نظرائهم. وكان: كثير السماع مشهورا بطلب الحديث، وكان: يعقد الشروط، ويفتي، وسمع الناس منه كثيرا، ولم يكن بالضابط لما كتب. وتوفي (رحمه الله): يوم الأحد لتسع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة. ودفن يوم الاثنين صلاة العصر في مقبرة بني العباس، وهو: ابن ست وسبعين سنة وكان أعور.²⁸

- خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدي: من أهل قرطبة؛ المعروف بابن الدباغ؛ يكنى: أبا القاسم (ت 393هـ).

سمع: بقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشامة، ومحمد بن هشام القروي، ومحمد بن معاوية، ونظرائهم. ورحل إلى المشرق سنة خمس وأربعين وثلاثمائة فتردد هناك نحو خمس عشرة سنة. وسمع بمصر: من جماعة المحدثين بها. منهم: حمزة بن محمد الكناني، وأبو محمد ابن الورد، وابن السكر، وأبو العباس الرازي، وابن ألون، وأبو بكر بن المسور المعروف: بابن طنة، في جماعة كثيرة. وسمع في كور الشام من جماعة منهم: ابن أبي الخصيب بالرملة، وأبي الميمون القاضي بعسقلان، وأبي عبد الله السراج، والفضل بن عبيد الله الهاشمي ببيت المقدس.

وسمع بدمشق: من أبي الميمون بن راشد صاحب أبي زرعة، وابن أبي العقب، وغيرهما. وسمع بمكة: من أبي الحسن الطوسي، وبكير المعروف بالحداد، وأبي الحسن الخزاعي، وأبي بكر الآجري، في جماعة سواهم من المكين، وغيرهم من الغرباء القادمين عليهم في الموسم، وعدة شيوخه الذين

26 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 6/ 108-109.

27 - المصدر نفسه: 6/ 143.

28 - تاريخ علماء الأندلس: 1/ 73-74.

لقيهم وكتب عنهم مائتان وستة وثلاثون ومائتا شيخ، وعني على ذلك بالقرآن فقرأه على جماعة من أهل القراءات وجوده. واستوسع في اكتتاب الحديث، وقرأ القرآن على جماعة من أهل القراءة، وكتب حديثاً. وكان: حافظاً للحديث، عالماً منسوباً إلى فهمه؛ وسمع الناس منه قديماً، وألف كتباً حسناً في الزهد، وخرج من حديث الأئمة حديث مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج رحمهما الله؛ وفي غير ذلك. وعدة شيوخه الذين كتب عنهم مائتان وستة وثلاثون ومائتا شيخ. ومولده سنة خمس وعشرين. وتوفي: ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. ودفن يوم الأحد بعد صلاة العصر في مقبرة متعة، وصلى عليه عبد الرحمن بن محمد بن فطيس الوزير، وما شهدته من الناس إلا الخواص.²⁹

جمع مسند حديث مالك بن أنس، ومسند حديث شعبة بن الحجاج، وأسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين، وكتاب الخائفين، وأقضية شريح، وزهد بشر بن الحارث، وغير ذلك. روى عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ فأكثر، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً، قال أبو عمر: أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا، وشيخ لشيوخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له، وأجمعهم لذلك وللتواريخ والتفاسير، ولم يكن له بصر بالرأي، يعرف بابن الدباغ وهو محدث الأندلس في وقته، وهذا آخر كلام ابن عبد البر.³⁰

هذه تراجم جهازة من محدثي الأندلس، ومن أوائل من حاز قصب السبق في إدخال الحديث الشريف إلى حاضرة الأندلس، من أهلها النجباء، وغيرهم كثير، فاضت بهم صفحات كتب التاريخ والسير، تشهد على العناية اللطيفة التي حظيت بها رواية الحديث في الأندلس الفيحاء، التي كانت ولا زالت عروس المدائن البهية، أنجبت العلماء، وحضنت الفقهاء، وأنبتت المحدثين الذين طبقوا الآفاق، وصانوا شعلة الحضارة العلمية والفكرية الياقة في حافظة التاريخ البشري.

29 - تاريخ علماء الأندلس: 1/ 183-184.

30 - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: 599هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: 1967 م، 1/ 286.

عناية علماء المغرب بإملاء جامع الترمذي في حلقات الدرس الحديثي

• ذ. محمد الصقلي الحسيني

كلية الآداب ظهر المهرز - فاس

عني علماء المغرب برواية أمهات كتب الحديث الشريف كالموطأ للإمام مالك، والجامع الصحيح للإمام البخاري، والجامع الصحيح للإمام مسلم، والسنن للإمام أبي دواد، والجامع لأبي عيسى الترمذي، والمجتبى للإمام النسائي، والسنن للإمام ابن ماجة.

ومن أهم مظاهر هذه العناية: عقدهم لمجالس الإملاء لهذه المصادر الحديثية وغيرها.

وقبل ذكر بعض حلقات الدرس الحديثي الخاصة بإملاء «الجامع» لأبي عيسى الترمذي (ت 279هـ) بالمغرب، أشير أنه جرت عادة المحدثين أن يعقدوا مجالس للإملاء، وهي سنة حميدة حافظ عليها أهل هذا الشأن، لأن التلقي فيها عن شيوخ الحديث وحفاظه يتم عن طريق السماع، وهو أرفع مراتب التحمل والرواية، قال الإمام ابن الصلاح (ت 643هـ): «يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لإملاء الحديث فإنه من أعلى مراتب الرواية، والسماع فيه، من أحسن وجوه التحمل وأقواها»¹.

كما يستحب أن تعقد هذه المجالس بالمساجد، فهي خير البقاع التي يستحسن فيها رواية ومدارسة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام أبو سعد السمعاني (ت 564هـ): «يستحب للمحدث أن يملي في المساجد، خصوصاً يوم الجمعة في المسجد الجامع»². وأن يجلس المحدث تجاه القبلة³.

1 - مقدمة ابن الصلاح، ص: 218.

2 - أدب الإملاء والاستملاء، ص: 42.

3 - الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، 2/ 61.

كما يستحب للمملي إذا حضر مجلس التحديث أن يتطهر ويتطيب، ويسرح لحيته، ويجلس متمكنا بوقار، فإن رفع أحد صوته زبره⁴، ويقبل على الحاضرين كلهم⁵. وهذا يذكرنا بمجلس إمام دار الهجرة مالك بن أنس الذي كان يعتني عناية خاصة بمجلس إملاء الحديث، فيتطهر ويتطيب ويلبس أحسن لباسه....

ومما ينبغي للمملي أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم، وليستعدوا بدورهم لإتيانه، ويعد بعضهم بعضا، وإذا عين لهم اليوم، ووعدهم بالإملاء، فلا ينبغي له إخلاف مواعده، إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به⁶.

كما يتخذ المملي عادة مستمليا يبلغ عنه الإملاء إلى من بعد في الحلقة، ويجب أن تتوافر فيه شروط معينة، كأن يكون جهوري الصوت، متيقظا فطنا فصيحاً، وأن يتبع المستملي لفظ المحدث⁷.

فهذه بعض آداب وتقاليد حلقات الدرس الحديثي، وقد عني بالكلام عنها علماء الحديث، كالخطيب البغدادي (ت463هـ) في الباب الرابع والخامس والعشرين من كتابه: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، وأبي سعد السمعي (ت562هـ) في كتابه: «أدب الإملاء والاستملاء».

ونظرا لفائدة هذه المجالس الحديثية في نشر السنة، فإن علماء المغرب أسهموا بدورهم في عقدتها وتنظيم كراسيها، ورواية أمهات مصادر الحديث الشريف فيها.

وتتبع هنا عنايتهم بأحد هذه الأمهات، وهو كتاب «الجامع» لأبي عيسى الترمذي، وكيف خصصوا حلقات لروايته ودرايته على وجه التحقيق، وذلك في أعصار مختلفة، مما يبرز مكانة هذا المصدر الحديثي عندهم.

ومن أهم هذه الحلقات العلمية التي وقفت عليها، أذكر ما يلي:

حلقة الحافظ أبي علي الصدي بمدينة سبتة.

يعتبر الحافظ أبو علي الصدي (ت514هـ)⁸ من أشهر رواة جامع الترمذي بالمغرب، وقد عقد مجلسا لإقراءه في مدينة سبتة عند عودته من رحلته المشرقية، حيث نزل بسبتة في طريق إجازته البحر

4 - أي زحره ونهاه.

5 - تقريب النووي مع التدريب للسيوطي، 2 / 131.

6 - أدب الإملاء والاستملاء، ص: 39.

7 - الجامع للخطيب البغدادي، 2 / 67.

8 - هو الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن خيرة بن حيون بن سكرة السرقسطي، من شيوخه، أبو الوليد الباجي وأبو عبد الله الحميدي قال تلميذه القاضي عياض: «كان عارفا بالحديث قائما به، حافظا لأسماء الرجال، عارفا بقويهم من ضعيفهم، ذا دين متين وخلق حسن وصيانة» الغنية، ص: 131.

إلى الأندلس، وبها روى الجامع لأول مرة، وكان مستعجلاً فاضطر لإقراءه ليلاً ونهاراً، وسمعه عليه جماعة من الشيوخ، وذلك بمقصورة الجامع بسبته، حتى كمل في مدة يسيرة⁹، ومن بين الذين حضروا حلقاته آنذاك وسمعوا منه الجامع:

- أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي الفاسي، وهو من أهل سبته، المتوفى سنة 513هـ.¹⁰
- وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن حنين، المعروف بابن الدقاق من أهل فاس، المتوفى سنة 505هـ.¹¹
- كما عقد الحافظ أبو علي الصدي حلقات أخرى، لإقراء جامع الترمذي، منها واحدة بمدينة مرسية، في عام 511هـ، وممن قرأه عليه من أهل المغرب: أبو علي، منصور بن مسلم بن عبدون، الزرهوني، المعروف بابن أبي فوناس، من أهل فاس، المتوفى سنة 556هـ، قال الحافظ ابن الأبار: «دخل الأندلس، وسمع من أبي علي في سنة إحدى عشرة وخمسمائة صحيح مسلم، وقرأ عليه جامع الترمذي»¹².

حلقة أبي بكر بن العربي المعافري.

يعد أبو بكر بن العربي، المتوفى قرب فاس، ودفن بها، من أكابر شراح جامع الترمذي، في كتابه «عارضة الأحوذى بشرح جامع الترمذي»، وروايته للجامع هي من أشهر الروايات بالمغرب، وقد روى عنه الجامع بإشبيلية: الحافظ أبو بكر محمد بن خير اللثوني، الإشبيلي (ت 575هـ)¹³.

حلقة أبي الحسن ابن غالب بفاس

كان الشيخ أبو الحسن علي بن خلف بن غالب، الأنصاري، القرشي المتوفى قريباً من سنة (570هـ)، من أعلام فاس الجلة، له عناية برواية جامع أبي عيسى الترمذي، وممن قرأه عليه الشيخ أبو مدين الغوت (ت 594هـ).

قال أبو مدين: «لما قدمت فاساً لقيت بها الأشياخ، فسمعت رعاية المحاسبي على أبي الحسن ابن حرزهم، وكتاب السنن للترمذي على أبي الحسن ابن غالب»¹⁴.

9 - المعجم في أصحاب أبي علي الصدي، ص: 53.

10 - المصدر نفسه.

11 - المصدر نفسه، ص: 101-102.

12 - التكملة لابن الأبار، 2/ 713، والمعجم في أصحاب أبي علي الصدي، ص: 203.

13 - التكملة لابن الأبار، 1/ 221.

14 - الاستقصا للناصري، 2/ 189، وانظر التشوف إلى رجال التصوف للتادلي، ص: 211، وجذوة الاقتباس لابن القاضي (ت 488هـ)، وأنس الفقير لابن قنفذ، ص: 14.

حلقة أبي الخطاب ابن واجب، دفين مراكش.

كان أبو الخطاب أحمد بن محمد بن واجب (ت 614هـ)، من الأعلام المعتمدين بجامع أبي عيسى الترمذي وإقرائه، وقد سمعه منه بجامع بلنسية الحافظ أبو عبد الله ابن الأبار (ت 658هـ)، بقراءته عليه بين العشاءين لضوء السراج، وممن حضر هذه الحلقة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف الأنصاري (ت 640هـ).¹⁵

حلقة الحافظ ابن رشيد السبتي الفاسي

كانت لأبي عبد الله محمد بن عمر ابن رشيد الفهري السبتي، صاحب الرحلة المشهورة «ملء العيبة» دفين فاس سنة 721هـ، عناية بإقراء جامع الترمذي، وقد ثبت أنه أملاه في عدة مجالس حديثية، أحدها في شهر صفر عام 710هـ، وحضره: أبو محمد عبد الله ابن الملجوم.¹⁶

حلقة التاودي ابن سودة الفاسي

أقرأ الشيخ أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب ابن سودة (ت 1209هـ)، الكتب الستة¹⁷ ومن ضمنها كتاب «الجامع» لأبي عيسى الترمذي.

حلقة الشيخ جعفر الكتاني

كان الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني (ت 1323هـ) يعقد مجالس حديثية بالزاوية الكتانية بفاس، ومما أملاه بها من كتب الحديث: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي.¹⁸

حلقة محمد بن جعفر الكتاني

أملى الشيخ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ت 1345هـ) الكتب الستة الحديثية. وقرر عليها وقيد وضبط¹⁹. وقد سمع منه جامع الترمذي بعض علماء فاس، كالشيخ عبد الحفيظ الفاسي²⁰ وأحمد بن محمد العمراني.²¹

15 - التكملة لابن الأبار، 2 / 651.

16 - جامع الترمذي، مخطوط بخزانة القرويين، تحت رقم 272 / (الورقة الأولى).

17 - فهرس الفهارس للكتاني، 1 / 258.

18 - المصدر نفسه، 1 / 188.

19 - المصدر نفسه، 1 / 517.

20 - رياض الجنة لعبد الحفيظ الفاسي، 1 / 81.

21 - إتحاف ذوي العلم والرسوخ لابن الحاج، ص: 186.

حلقة أبي شعيب الدكالي

قام الشيخ المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي (ت1356هـ) بعقد مجالس لإقراء جامع الترمذي بمدينة فاس، وسمعه منه جلة من العلماء، كالشيخ محمد بن العربي العلوي (ت1384هـ)²²، والعلامة أحمد بن عبد الله الشيبه (ت1394هـ)²³. كما تناوله بالدرس بما عرف عنه من تدقيق وتحقيق، بالزاوية الناصرية بالرباط في جلسات كانت تعقد بين العشاءين.

حلقة أحمد بن محمد بن الصديق الغماري

درس الشيخ المحدث الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت1380هـ) الكتب الستة عدة مرات، بزوايتهم بطنجة، وكانت له عناية خاصة بجامع أبي عيسى الترمذي، حيث رتب أحاديثه وهذبه.²⁴

حلقة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

أملى الشيخ عبد الحي الكتاني (ت1382هـ) جامع أبي عيسى الترمذي في عدة مجالس بجامع القرويين بفاس، وله ختمة عليه، قرأها يوم السبت السابع من ذي الحجة سنة 1328هـ. وذلك بحضرة جمع غفير من طلبة شيوخه فمن دونهم²⁵.

فهذه كانت بعض حلقات الحديث التي خصصها علماء المغرب لمدارسة جامع أبي عيسى الترمذي (ت279هـ)، تبرز عنايتهم الكبيرة بهذا الكتاب واحتفالهم به، وهي بلا شك اشتملت على إملاء أحاديثه، والنظر في أسانيدها، ونقد رجالها، وشرح متونها وبيان معانيها، ذلك لأنها صدرت من جلة الحفاظ وأكابر العلماء الجامعين بين الحديث والفقه، والرواية والدراية.

22 - إتحاف ذوي العلم والرسوخ لابن الحاج، ص: 211.

23 - المصدر نفسه، ص: 191.

24 - تشنيف الأسع بشيوخ الإجازة والسماع لمحمود سعيد، ص: 76.

25 - فهرس الفهارس للكتاني، 1/ 28.

الجهود الحديثة للعلامة الصوفي سيدي محمد بن محمد الحجوجي الحسني التجاني

• ذ. عدنان زُهار

أستاذ باحث - الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، لاسيما سيدنا المصطفى، أما بعد:

سابقة حقها أن تكون لاحقة

من غريب ما اشتهر في بعض الأوساط العلمية -في الأزمنة المتأخرة-، وتناقلته الآذان عن الألسن، وصدقته العقول دون تمحيص ولا تحقيق، ورؤجه العامة، حتى صدقه بعض الخاصة، وسُمع من منتسبين للعلم، ووُجد في مؤلفات بعض المترسمين، قولُ القائل: إن الصوفية لا حظ لهم في العلوم الشرعية، وهم أبعد الناس عن علوم السنة والحديث رواية ودراية. وشبهُ هذا الزعم الباطل، المخالف للحقيقة والواقع، والناطق زورا، مما لا يوافق الحقائق، ولا يقبله عاقل.

بل لو قيل: إن علوم الظاهر - حديثا ولغة وفقها وأصولا ومنطقا وتفسيرا وتاريخا- لولا الصوفية ما بقي لها أثر، ولولا جهودهم لاندرس أصلها وغبر، لما أبعد ولا بالغ، بل يكون إلى الصواب الذي يشهد له التاريخ أقرب، وبالحقيقة التي لا تخفيها المزاعم أولى وأحق.

ولهم في علم الحديث أثرٌ خاص وجهد متميز، يزيد فضلا ويمتاز درجة عما حققه علماء الحديث أنفسهم وقعدوه، كما يجده الممارس لصناعة الحديث عموما، ولكتب الصوفية خصوصا¹.

1 - انظر رسالتي "جهود السادة الصوفية في خدمة الحديث النبوي رواية ودراية"، المطبوعة بدار الرشاد الحديثة مع جزء "نبذ الفرقة بتضعيف حديث السبعين فرقة"، عام 1438هـ.

قال الإمام عبد الوهاب الشعراني في «العهود المحمدية»²: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا نتهور في رواية الحديث، بل نتثبت في رواية كل حديث نرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نرويه عنه إلا إن كان لنا به رواية صحيحة.

وكان سيدي علي الخواص يقول: لا ينبغي لفقيه أن يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً، إلا إن كان له به علامة يعرف بها أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إما من طريق النقل، وإما من طريق سؤاله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الحديث، وقوله: هو من كلامي يقظة ومشافهة، هذا كله فيما كان ضعيفاً من طريق النقل، أما ما صح من طريق المحدثين واستحسن، فلا يحتاج إلى سؤاله صلى الله عليه وآله وسلم فيه.

ثم قال: وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول: إنما قال بعض المحدثين: أكذب الناس الصالحون، لغلبة سلامة بواطنهم فيظنون بالناس الخير، وأنهم لا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمرادهم بالصالحين المتعبدون، الذين لا غوص لهم في علم البلاغة فلا يفرقون بين كلام النبوة وغيره، بخلاف العارفين، فإنهم لا يخفى عليهم ذلك، حتى إن بعضهم كان يعرف صوت الشريف من غيره من وراء حجاب، لكونه من رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ

وقد منَّ الله عليَّ بتمييز كلام النبوة من غيره من حيث حلاوة التركيب العلمي، فإنه لا أحد يقدر على فصاحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فربما سمع الصحابي شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهب عنه حفظ بعض اللفظ، والمعنى موفوراً في قلبه، فيكمل لنا الحديث بلفظه هو، فأعرفه بركاكة تركيبه، وربما ظن بعض المحدثين أن ذلك الحديث موضوع، والحال أن الوضع إنما هو في مثل لفظة ونحوها، وأصل الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فتعلم يا أخي علم الحديث لتخرج من الوقوع في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو بغير قصد، والله تعالى أعلم. اهـ

التجانية وعلوم الشريعة

والطريقة التجانية التي أسس أركانها العارف بالله سيدي أحمد بن محمد التجاني المتوفى عام 1230هـ رحمه الله، اشتهر عند الخاص والعام أنها طريقة العلماء، وهي كذلك طريقة جامعة بين التربية الأخلاقية والتسليك الروحي والعلم الشرعي، ولم يمض مائة عام على وفاة شيخها المؤسس رضي

2 - العهود المحمدية، ص: 508.

الله عنه، حتى انفجرت معالم العلم الظاهري والباطني على أهلها، فلم تُعرف طريقة مثلها في عدد العلماء، ولا في نجابتهم وعلو كعبهم في كثير من الفنون العقلية والنقلية.

فإن أصول الطريقة وفروعها منضبطة بميزان الشريعة راجعة إليها محكومة بها، قال الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، كما في «جواهر المعاني»³: اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن، من حيث يرضى لا من حيث ترضى. اهـ

وقال أيضاً، كما في «الجواهر»⁴: لنا قاعدة واحدة عنها تنبني جميع الأصول، أنه لا حكم إلا بالله ورسوله، ولا عبرة في الحكم إلا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستنداً لقول الله أو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ

وقال رضي الله عنه، كما في «الإفادة الأحمديّة»⁵ لمولاي الطيب السفيناني: إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فإن وافق فاعملوا به، وإن خالف فاتركوه. اهـ

فهذا ومثله مما حثَّ التجانيين أن يتسلحوا بالعلم، وأن يعتنوا في زواياهم بكل مواد وعلومه ومعارفه، وأن لا يغتروا بغير العلم الظاهر لبلوغ الحقائق الباطنة، فكان من ثمرته أن حُلوا بالعلمين معاً ظاهراً وباطناً⁶.

العلامة محمد الحجوجي التجاني

ولا زالت الطريقة التجانية تنتج العلماء الربانيين، ويظهر في زواياها يوماً بعد يوم عدد من الفقهاء العالمين العارفين، في بلاد المغرب وفي بلاد المشرق على حد سواء، حتى إذا انتبه غيرُ التجانيين لسر الله فيهم، تقلدها كثير من علماء الطرق الصوفية الآخرين، وانتحلها جماعة من أعيان المدارس العلمية غير الصوفيين، فتفجرت أرضها بالعلم وسحت سماؤها بالمعرفة وسالت أوديتها بالفهم، فظهر النوابع فيها، وتميزوا وبرزوا، وشُدت إليهم الرحلات، وطلبت منهم الإجازات، وألفوا جياذ التصنيفات، بما لا مثيل له في تاريخ التصوف، وبين طرقه السُّنية السُّنية.

ومن أركان العلم في الطريقة التجانية، العالمُ الجهّذ الشريف سيدي محمد بن محمد الحجوجي الحسني رحمه الله.

3 - جواهر المعاني، ص: 177.

4 - نفسه، ص: 301.

5 - الإفادة الأحمديّة، ص: 16.

6 - تنظر رسالتي «جهود السادة التجانيين في خدمة العلوم الشرعية»، التي طُبعت ضمن أعمال ندوة المؤتمر التجاني الرابع المنعقد بفاس عام 2014م.

وقد ترجم له جماعة من المؤرخين والعلماء المحدثين، منهم عبد السلام بن سودة في «إتحاف المطالع»⁷، وفي «سل النصال»⁸، وغيره، بل للحجوجي ترجمة لنفسه مخطوطة ذكر فيها بعض مؤلفاته... فهو المحدث الفقيه الشيخ محمد بن محمد بن المهدي الحجوجي، وُلد بمدينة فاس سنة 1297هـ، وبدأ مُبكراً بطلب العلم، فحفظ كثيراً من المتون بعد القرآن الكريم، ثم التحق بجامع القرويين سنة 1315هـ، وتخرج فيها بعد أن برع في علوم القرآن والحديث خاصة، والفقه والتفسير واللغة.

وكان قد تلقى العلم عن كبار علماء المغرب آنذاك، منهم: المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني، وشيخ الجماعة أحمد بن محمد ابن الخياط، والعلامة عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، والعلامة أحمد بن المأمون البلغيثي، والمحدث الشهير الشيخ أبو شعيب الدكالي، وغيرهم.

توفي - رحمه الله - سنة 1370هـ، وترك تراثاً كبيراً من مؤلفاته، والتي تزيد على التسعين مصنفاً، يقول بعض الباحثين: «إنَّ مؤلفات الحافظ الحجوجي، خاصة في علم الحديث، تتميز بدقة العبارة، وسعة الاطلاع، وحسن التتبع، وحرية الفكر، مع النقد والترجيح والاستدراك، فهو محدث باحث، وحافظ ناقد، وبصير بما يكتب ويبحث فيه، كما أنه - رحمه الله - نزيه القلم، عفيف اللسان، لا يلزم بسوء، ولا يعرض بأحد، ملتزم بعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، معظم لسلف الأمة وعلمائها».

الجهود الحديثية للعلامة الحجوجي

ومما تميز به العلامة الحجوجي عن علماء زمانه، اعتناؤه الكبير بعلوم الحديث رواية ودراية، حتى إنه ألف فيها مؤلفات لم يسبق إليها، وقد أعانه على ذلك شيئان:

- حُبُه لهذا العلم الجليل، النابع من حبه بمن تعلق به - كباقي التجانيين وأفراد الأمة أجمعين - وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- خُلُوتُه أو شبه خلُوتِه بمدينة دمنات التي استقر فيها آتياً إليها من فاس، وبانيا فيها زاويته الشهيرة، ومتجرداً لتأليف المؤلفات وتعليم العلم للطلاب.

وهذه إلماعة لمؤلفاته الحديثية، مُبَوَّبةٌ حسب مباحثها المختلفة، تُظهر قيمته العلمية واهتماماته الحديثية رحمه الله.

7 - إتحاف المطالع، 2/ 526.

8 - سل النصال، ص: 143.

الشروح الحديثية

- كتاب «الحلل السندسية المحلية للفوائد الجلية البهية»، وهي حاشية على شرح العلامة جُسوس على «الشمال المحمدية» للإمام الترمذي، تتبع فيها تراجم رجال الحديث، وذكر فيها كثيرا من فوائده، واعتنى بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مظانها من كتب السنة المسندة، وتقع في أربعة أجزاء ضخام، من القالب الكبير، مازالت مخطوطة لم تطبع بعد.

- كتاب «المنح الوهية، في شرح المنظومة المسماة: تلخيص الشمال النبوية»، وهو شرح على منظومة السيد عبد الرحمن العراقي في الشمال النبوية، طبعت في مجلد بتحقيق الأستاذ عبد الإله شامة، بدار الكتب العلمية.

- كتاب «إرشاد المقيم والساعي لفهم أحاديث الشهاب القضاعي»، وهو شرح في غاية الجودة والنفاسة، مع الاختصار والتحقيق، لكتاب «مسند الشهاب» للقضاعي، مازال مخطوطا في جزأين.

- كتاب «القول الموجز الفصيح، فيما يتعلق بحديث التنفير من الميل إلى زهرة الدنيا المخترج في الصحيح»، وهو اعتناء منه بحديث الباب، ولم يسبق إليه بجعله شرحا مستقلا، والكتاب مازال في عداد المخطوط.

- كتاب «رشحات الأقلام التي تُحمد وتُسرد، في شرح كتاب الأدب المفرد»، وهو مخطوط، كتاب غير مسبوق في شرح «الأدب المفرد» للبخاري.

- كتاب «هداية الأنام، في شرح كتاب خير الكلام، في القراءة خلف الإمام» للبخاري، مخطوط في مجلد، لم يسبق إليه.

- كتاب «نجاح الدارين، في شرح كتاب قرة العينين، في رفع اليدين» في مجلد، مخطوط غير مسبوق.

- كتاب «إدراك القصد والمرام، بشرح مسند الدارمي الحافظ الإمام»، هذا من أنفس كتبه رحمه الله وأكبرها، وهو شرح لـ «مسند الدارمي»، ولم يُعرف له شرح من قبل، حتى اعتنى به العلامة الحجوجي، ووقع له في ثمانية مجلدات.

كتب المشيخات والإسناد

- كتاب «نيل المراد، في معرفة رجال الإسناد»، وهو في أربعة أجزاء، ذكر فيها مشايخه في علوم الظاهر والباطن، وأسانيدهم، وإجازاتهم، وأخبارهم، ومؤلفاتهم، ومستفاداته منهم، وقد حقق ضمن دراسة أكاديمية، نال بها صاحبها درجة الدكتوراه.

- كتاب «كنز اليواقيت الغالية، في الأسانيد العالية»، وهو مختصر السابق، طبع بدار الكتب العلمية، بذيّل كتابه «المنح الوهّبية».

كتب التّخريج

- كتاب «منحة الوهاب في تخريج أحاديث الشّهاب»، وهو تخريج لأحاديث «مسند الشّهاب» للقضاعي، وهذا علم انقطع في الزمن المتأخّر وأحياء المغاربة، خصوصاً السيد أحمد بن الصديق، ومنهم سيدي الحجوجي بهذا الكتاب النفيس وبأشباهه، وقد طبع بتحقيق أخينا الدكتور هشام حيجر، بدار الكتب العلمية، عام 2010م، عن 639 صفحة.

- كتاب «بغية السائل، في تخريج أحاديث الشّمالك»، وهو كتاب مخطوط، تام، مفيد، اعتنى فيه بتخريج أحاديث الشّمالك الترمذية، على طريقة الحفاظ المتقدمين.

كتب المفتّحات والختمات

- كتاب «افتتاح لصحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري»، مخطوط، وهو مما لم يسبق إليه في الأعمال الموضوعّة على صحيح مسلم.

- كتاب «نزهة السالك، في ختم موطأ إمام الأئمة وعالم دار الهجرة مالك»، مخطوط.

- كتاب «عجالة المحتاج، في ختم حديث صاحب اللّواء والتاج»، وهي ختمة لصحيح الإمام البخاري في كراسة، مخطوط.

كتب الرجال والتّراجم -

- كتاب «فتح القدير في شرح التاريخ الصغير» للإمام البخاري، وهو في أربعة مجلدات، لم يسبق إليه، ولا عرف في تاريخ التّأليف الحديثي، من اعتنى بشرح التواريخ وتراجم الرجال، حتّى سبق إليه العلامة الحجوجي رحمه الله، وما زال الكتاب مخطوطاً.

- كتاب «ترقية همة الطالبين، في شرح كتاب الضعفاء والمترولين» للإمام البخاري، مخطوط في مجلد، لم يسبقه إليه أحد في موضوعه ومادته.

- كتاب «نزهة الأذهان، في شرح كتاب المنفردات الوحدان» لمسلم بن الحجاج، مخطوط في مجلدين، غير مسبوق.

- كتاب «تذكرة المسترشدين، بشرح كتاب الضعفاء والمتروكين»، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مخطوط في مجلد ضخمة. ولم أر في المصنفين في علم الحديث من اعتنى بمثل هذا الكتاب شرحاً.

- كتاب «سر الرحمن، فيما في مسند الدارمي من تراجم الرواة والقبائل والبلدان»، وهو مُستلٌّ من شرحه لـ «مسند الدارمي» السابق ذكره، وقع له في ثلاثة مجلدات.

خاتمة:



لا يعزب عن نظر المطالع الفطن لهذه الترجمة المختصرة للحجوجي وأعماله الحديثية ما يلي:

1 - تخصصه في علوم الحديث رواية ودراية بما تفرد به عن كثير من أهل زمانه، مما جعله من المحققين الكبار في علوم الحديث، في زمن كان أكثر اعتناء علمائه بالفقه واللغة والحواشي والشروح المكررة.

2 - اعتناؤه بكتب السنة الشهيرة كـ «الموطأ» لمالك و«صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«الشمائل المحمدية» للترمذي و«مسند الدارمي».

3 - اعتناؤه بكتب الرجال خصوصاً، كـ «الضعفاء

والمترولين» للبخاري، و«التاريخ الصغير» له، ورجال «مسند الدارمي»، وغيرهم، مما يمكن أن يقال بأنه من غرائب التصنيف، خصوصاً في الزمن الذي عاش فيه العلامة الحجوجي.

4 - اعتناؤه بما اعتنى به معاصروه من تخصيصه مؤلفات للمشايخ والبرامج والفهارس والأسانيد.

5 - سبقيته لكثير من الأعمال العلمية، بحيث يمكن أن أقول: إن تصنيفاته في شروح كتب الرجال تعد ابتكاراً في التأليف الحديثي، والله الموفق.

جهود المرأة في العناية بالحديث النبوي بالغرب الإسلامي

ذة. حنان الحداد

أستاذة باحثة بالرباط

ورد الخطاب في القرآن الكريم بالقراءة والتعلم في أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (افراً باسم ربك الذي خلق)¹، موجهة للإنسان على العموم رجالاً ونساءً، ولم يفرق الإسلام بينهما في هذا الأمر.

هذا ما وعته المرأة المسلمة منذ فجر الإسلام وعهد النبوة، فشاركت الرجل في طلب العلم، بل وبرزت في مجالات متنوعة عبر كل مراحل التاريخ، فنبغت قارئة، ومفسرة، ومحدثة، وفقهاء، وأديبة، وطبيبة، وتصدرت مجالس العلم في كبريات المساجد الإسلامية، وجلس للأخذ عنها كبار العلماء.

لقد حرصت المرأة منذ عصر الرسالة على التعليم، لذا جاءت نساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطالبن بمزيد من فرص التعلم، فعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: (اجتمعن في يوم كذا وكذا، وفي مكان كذا وكذا)²، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله.

قال الحافظ ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين).

المرأة المسلمة ورواية الحديث النبوي:

ما يهمنا في هذا البحث، هو عناية المرأة المسلمة بعلم الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، والذي حظيت فيه بالقسط الوافر، فكانت تحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تشرف بالسماع من في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1 - سورة: العلق، الآية: 1.

2 - أخرجه البخاري في الصحيح، باب: تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل ح 6880.

ويأتي في مقدمة من اهتم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت السيدة عائشة رضي الله عنها- وهي فقيهة نساء الأمة التي ملأت الأرض علما- من المكثرات في حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أروى منها ومن أبي هريرة رضي الله عنهما، فهي راوية الحديث الأولى، بلغ عدد ما روته من الأحاديث ألفين ومائتين وعشرة أحاديث كما ذكر السيوطي في تدريب الراوي³، فهي من الصحابة السبعة الأوائل الذين فاقت مروياتهم الألف حديث، بل امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه غيرها لمكانتها عنده، وقد حظيت استدراكاتها على الصحابة باهتمام العلماء، وصنفوا في ذلك تصانيف، كما فعل بدر الدين الزركشي التي أفردتها في مؤلفه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة"⁴.

ولتمكنها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى قولها كبار الصحابة.

ويلي السيدة عائشة- رضي الله عنها- باقي أمهات المؤمنين- رضي الله عنهن- فقد ذكرهن الإمام ابن سعد بعد الصحابة مباشرة فقال: (أولهن أزواجه التسع، أمهات المؤمنين اللائي بقين بعده)⁵.

ويلي السيدة عائشة مرتبة في رواية الحديث أم المؤمنين أم سلمة إذ لها جملة أحاديث قدرت حسب كتاب بقي بن مخلد بثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً⁶.

وبعد أم المؤمنين، أم سلمة، تأتي أمهات المؤمنين ميمونة، وحبيبة، وحفصة في الدرجة الثالثة، وقد صنفهن بقي بن مخلد في أصحاب العشرات بهذا الترتيب⁷.

وكانت أمهات المؤمنين المرجع العلمي لعامة النساء، خاصة فيما يتعلق بأمور الطهارة، وبلغ من حرص الصحابيات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على العلم والعبادة حضورهن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خلف الرجال.

ولم يقتصر حمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابيات، بل كان للنساء من جيل التابعيات جهود مشكورة في تلقي الحديث ونقل أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جيل

3 - تدريب الراوي للسيوطي 2/ 217.

4 - الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص: 22.

5 - الطبقات لابن سعد، 1/ 211.

6 - عدد ما لكل واحد من الصحابة من حديث لبقي بن مخلد، ص: 81، جامع أخبار النساء من سير أعلام النبلاء ص: 138.

7 - ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر ص: 365.

الصحابيات، وأدائه بحرص وأمانة، ومدار أحاديث النساء في عصر التابعين عند تلميذات عائشة وأم سلمة رضي الله عنهن جميعاً.

ومن اللواتي بلغن منزلة رفيعة في العلم، وكانت مزاراة للنساء وملاذا لطالبات وطلاب العلم عمرة بنت عبد الرحمن التي كانت أعلم الناس بحديث عائشة كما قال ابن حبان في الثقات⁸.

يقول عمر بن عبد العزيز: (ما بقي أحدٌ أعلم بحديث عائشة من عمرة)، وكان يسألها ويستفتيها⁹، بل من شدة اهتمامه بحديثها¹⁰.

وقال ابن شهاب للقاسم بن محمد: (يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قال: بلى، قال: عليك بعمرة، فإنها كانت في حجر عائشة. قال: فأتيتها فوجدتها بحرّاً لا ينزف)¹¹.

وبالرجوع إلى التصنيف الحديثية من المسانيد والمجامع والسنن وغيرها من كنوز السنة التي تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول قديماً وحديثاً، يتبين لنا جهود المرأة في الرواية ونقل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ونشرها، على مدى القرون الأولى وفي الحفاظ على الموروث النبوي.

رواية المرأة عمدة في بابها:

روت النساء أحاديث كثيرة، تتعلق بجميع أمور الحياة من العقائد والعبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية والآداب وغيرها، واشتركت في نقلها إلى الناس مع الرجل شعوراً منها بمسؤولية التبليغ والأداء. غير أن المدونات الحديثية سجلت لنا سنناً وأحاديث لا يعرف أنه قد رواها إلا النساء، فكانت مرجعاً في الاستدلال الفقهي ووضع القواعد والأصول، فكم من حكم قضى به بناءً على حديث امرأة، وكم من سنة اتبعت ووراءها امرأة¹².

ومن الأحاديث التي تفردت بروايتها النساء، حديث الفريعة في سكنى المتوفى عنها زوجها¹³، وقد تفردت التابعة الجلييلة زينب بنت كعب بن عجرة برواية هذا الحديث عن الفريعة، الذي تلقاه قبلها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقبول وقضى به بمحضر من المهاجرين والأنصار¹⁴، وأخذ به

8 - ابن حبان: الثقات، 5/ 288.

9 - الفسوي: المعرفة والتاريخ 2/ 108.

10 - تهذيب التهذيب، لابن حجر، 12/ 466.

11 - سير أعلام النبلاء، للذهبي، 4/ 508.

12 - آمال قرداش: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى ص: 151.

13 - رواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها تنتقل، 2/ 300.

14 - الطبقات لابن سعد، 8/ 367.

العلماء، واستعمله أيضاً أكثر فقهاء الأمصار، وقضوا به. فهذا محمد بن سيرين يقضي في امرأة توفي عنها زوجها وهي مريضة، نقلها أهلها، أن ترد إلى بيتها في نمط¹⁵، وكان حجة ردها إلى بيت زوجها حديث الفريعة. وهكذا ظلت الصحابة الجليلة مرجعاً في هذا الباب لكبار العلماء، يسألونها عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سيضل حديثها عمدة المحدثين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهناك سنن كثيرة تعلقت بأحكام النساء التي اهتمت برواياتها، فاشتهرت عن طريقها، فعرفت أحكام وآثار قيمة لولا النساء ما وصلت إلينا¹⁶.

كما أن هناك أحاديث أخرى كثيرة، وإن كنا لا نجزم بتفرد النساء بروايتها دون الرجال، لأنها من القضايا المشتركة بين المسلمين، إلا أن رواية النساء فيها أصل وعمدة في بابها، وحديث أم عطية رضي الله عنها في غسل الميت¹⁷ أصل في الباب، لذلك كان جماعة من الصحابة والتابعين يأتونها فيأخذون عنها الحديث، لحسن روايتها وفهمها للأحكام، وكانت قد غسلت بنات النبي صلى الله عليه وسلم زينب وأم كلثوم، والنبي صلى الله عليه وسلم يوجهها ويرشدها خطوة خطوة حتى استوعبت تمام الفعل والقول النبوي وبرعت فيه، فكانت تغسل الميتات لاختصاصها في هذا المجال ودرايتها فيه. وقد انتفع بها نساء كثيرات في دمشق ومصر.

النساء في ميزان الجرح والتعديل:

شاركت المرأة في تحمل الحديث وأدائه وإجازته، ولم يُعلم عن امرأة أنها كذبت في حديث كما أقر الحافظ الذهبي في ميزان اعتداله: (ما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها)¹⁸.

التأليف عن النساء

إن المطلع على تاريخ الإسلام يلاحظ أنه في كل عصر من العصور كان للمرأة المسلمة حضور فاعل وجهود كبيرة في خدمة العلوم الشرعية عامة، وعلوم الحديث خاصة.

وقد ألفت قديما وحديثا مؤلفات كثيرة في تراجم النساء، منها كتاب عمر رضا كحالة الذي ألف «معجمه» في أعلام النساء وملحقه ضمنه ثلاث آلاف (3000) ترجمة نسائية، وكتاب «تراجم أعلام

15 - زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الحوزية 5/ 609.

16 - آمال قرداش: دور المرأة في خدمة الحديث، ص: 153.

17 - أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر عن أم عطية.

18 - الذهبي: ميزان الاعتدال، 7/ 465.

النساء» لرضوان دعبول الذي ترجم لثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية (3508) امرأة، إلا أن هذين المؤلفين على كبر حجمهما لم يستوعبا ترجمة كل النساء، خصوصاً إذا قارنا ما كتبه بالمؤلفات الأخرى، فنجد ابن حجر في كتابه «الإصابة» وهو آخر كتاب استوعب تراجم الصحابييات ترجم لألف وخمسمائة (1500) امرأة صحابية في عصر واحد، وأوصل سيد بن كسروي حسن عدد تراجم الصحابييات المبايعات المسندات إلى اثنين وثلاثين وستمائة (632) امرأة.

وقد ظهرت في عصرنا دراسات أمانت اللثام عن جهود المرأة في خدمة الحديث، إلا أنها لم تغط جميع العصور، ولم تستوعب محدثات كل عصر، وممن نحا هذا المنحى:

الدراسة التي نشرت ضمن سلسلة كتاب الأمة عدد (70)، والتي تناولت دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى ورواياتها في الكتب الستة للدكتورة آمال قرداش بنت الحسين.

الكتاب الذي ألفه مشهور حسن آل سلمان في عناية النساء بالحديث النبوي، تطرق فيه للحديث عن جهود المحدثات من القرن الأول إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجم فيه لنحو ثلاثمائة وأربع وخمسين امرأة أكثر فيه من ذكر الصحابييات، ولم يذكر في القرن السادس إلا عدداً يسيراً من المحدثات.

وألف الدكتور صالح يوسف معتوق كتاباً بعنوان: «جهود المرأة في رواية الحديث خلال القرن الثامن الهجري»، ترجم فيه لمائتي واثنين وثلاثين محدثة، وهو الذي نشرته دار البشائر الإسلامية في بيروت سنة 1418هـ/ 1997م.

وترجم الحافظ ابن حجر (ت852هـ) في كتابه «الدرر الكامنة في أهل المائة الثامنة» لعدد ليس بالهين من نساء القرن الثامن، وحذا حذوه تلميذه شمس الدين السخاوي (ت902هـ) الذي خصص الجزء ما قبل الأخير لتراجم النساء.

لكن أوسع دراسة في الباب هي بحث الدكتور محمد أكرم الندوي الذي استغرق إنجازه ثماني سنوات أحصى فيها الباحث 8000 امرأة عالمة في مجال الحديث النبوي.

وفي الضفة الغربية من العالم الإسلامي والتي تشمل ما بين الإسكندرية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً بما في ذلك: الأندلس وصقلية وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريطانيا وبلدان الصحراء كالسودان الغربي وفيه مالي وغينيا وساحل العاج والسينغال وغانا والتشاد والنيجر والكاميرون وما جاورها، فقد حظيت تراجم النساء بالاهتمام منذ العهود الأولى، فألف مسلمة بن القاسم الأندلسي

(ت353هـ) كتاب «النساء»، ذكره ابن بشكوال في «الصلة» في ترجمة غالبية بنت محمد الأندلسية وقال: (ذكرها مسلمة بن القاسم في كتاب «النساء» له)، وكتب أبو عبدالله ابن الحذاء القرطبي في رجال الموطأ كتابه «التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال» فأفرد النساء بتراجم خاصة.

ولم تفرد المحدثات المغربيات بمؤلف جامع لعناية المرأة بالسنة النبوية بالغرب الإسلامي، إلا البعض منهن اللائي عُرِفْنَ بعلمهن لانتسابهن إما لزوج عالم، أو لأخ، أو لأب علامة. حيث ترجم ابن بشكوال لست عشرة امرأة من الغرب الإسلامي، وأفرد ابن الزبير في كتابه «صلة الصلة» بابا خاصا بالنساء، وألف الوزير محمد بن أحمد اليعمدي (ت1132هـ) كتاب: «كشف الأسا بمحاسن الصالحات من النساء»¹⁹، ومحمد بن أحمد العبيدي الكانوني (ت1357هـ) الذي صنف كتاب: «شعيرات المغرب» ترجم فيه لما يقرب من مائتي مغربية²⁰.

لقد تم تسليط الضوء على حضور النساء المغربيات في بعض المجالات ولم تحظ مجالات أخرى بعناية مماثلة.

وسيسهم هذا البحث المتواضع - بإذن الله - في إبراز عطاء المرأة بالغرب الإسلامي وحضورها في مجال رواية الحديث النبوي الشريف وتحمله وأدائه.

والهدف من هذه الدراسة هو:

- إبراز جهود المرأة بالغرب الإسلامي في خدمة الحديث النبوي الشريف تعلمًا، وتعليمًا، وحفظًا، وإجازة؛
- بيان دور المرأة الفاعل في الحركة العلمية بالغرب الإسلامي في مختلف العصور باستخراج أسمائها من بطون الكتب؛
- إذكاء همم النساء وجعلهن يقتدين بأخواتهن في تعلم العلوم الشرعية عامة وعلوم الحديث النبوي خاصة.

وقد عرف الغرب الإسلامي نماذج فريدة من النساء المحدثات ضاهين الرجال بعلو السماع، وكانت لهن جهود عظيمة في خدمة علم الحديث. منهن:

♦ عابدة المدينة: (القرن الثاني الهجري) أم ولد حبيب بن الوليد المرواني الملقب بدحون، كانت

19 - الزركلي: الأعلام، 6/ 91.

20 - الزركلي: الأعلام، 6/ 23.

جارية سوداء حالكة من رقيق المدينة، تحفظ وتروي عن مالك بن أنس (ت 179هـ) وغيره من علماء المدينة حوالي عشرة آلاف حديث، وهبها لدحون في رحلته إلى الحج محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن عمه فقدم بها الأندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه فولدت له ابنه بشر بن حبيب، ذكرها ابن حيان، عن عبادة بن ماء السماء، عن إسحاق بن مسلمة القيني²¹.

قال ابن الأبار: (كانت تسند حديثا كثيرا)²².

♦ عبدة بنت بشر: روت عن أبيها بشر بن حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بالحبيبي قدم إلى الأندلس بعلم كثير وروى الحديث وكان يتحلق في الجامع²³.

♦ أسماء الأسدية بنت أسد بن الفرات (توفيت في حدود سنة 250هـ).

هي أسماء بنت أسد بن الفرات القيروانية ابنة عالم إفريقية وقاضيتها، وصاحب الإمامين أبي يوسف ومالك بن أنس.

ترجم لها حسن حسني عبد الوهاب في كتابه "شعيرات التونسيات" ونقل عنه الدكتور محمد خير رمضان يوسف في كتابه "فقيهات عالمات"، وكذا الدكتور عبد القادر العافية في كتابه "عالمات جليلات وعلماء أماجد" فقالوا: (نشأت أسماء بين يدي أبيها - ولم يكن له سواها - فأحسن تهذيبها، وثقف ذهنها علما وحكمة. وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره، وتشارك في السؤال والمناظرة، حتى اشتهرت بالفضيلة، ورواية الحديث، والفقهاء على رأي أهل العراق أصحاب أبي حنيفة.

ولم تزل أسماء الأسدية معظمة معززة عند الخاص والعام من بيئة عصرها، إلى أن توفيت في حدود سنة 250 هـ. بعد 37 عاما من موت أبيها الإمام البطل المجاهد أسد بن الفرات)²⁴.

♦ غالبية بنت محمد المعلمة²⁵: (من أهل القرن الثالث)

ترجم لها ابن بشكوال في «الصلة» قال: (أندلسية، تروي عن أصبغ بن مالك الزاهد (ت 304هـ).

21 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار: 4/ 239 ت 665.

22 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار: 4/ 240 ت 665.

23 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار: 1/ 182 ت 603، ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب 1/ 62-63.

24 - أعلام النساء لعمر رضا كحالة 5/ 304، عبد القادر العافية: عالمات جليلات وعلماء أماجد ص: 10-11، محمد خير رمضان يوسف: فقيهات عالمات ص: 18-19.

25 - ابن بشكوال: الصلة ص: 531 ت 1529.

ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب «النساء».

♦ أم الحسن بنت أبي لواء سليمان بن أصبغ بن عبد الله بن وانسوس بن يربوع المكناسي (من أهل القرن الثالث): روت عن بقي بن مخلد، سمعت منه وصحبته، وقرأت عليه بلفظها كتاب «الدهور»، وحضر ذلك ابنه أبو القاسم أحمد بن بقي، ولها رحلة حجت فيها، وكانت امرأة صالحة زاهدة فاضلة عاقلة، وقع ذكرها في كتاب «فضائل بقي بن مخلد»، وذكرها الرازي وقال: (حجت وسمعت الفقه والحديث، وقد سمع منها بقي بن مخلد، ثم حجت ثانية فتوفيت بمكة، ودفنت هنالك، وعقب قائلًا: (وسماع بقي منها غلط في ظني، والصحيح سماعها منه. وقال الأمير عبد الله بن الناصر عبدالرحمن بن محمد: (كانت الزاهدة ابنة أبي لواء تسمع في داخل دار أبي عبدالرحمن منه يوما في الجمعة منفردة بدولتها يعني بقي بن مخلد.

قال الرازي: (كان لبني وانسوس نساء متقدمات في الخير والفضل والورع والنسك حج منهن ست نسوة، وذكر منهن أم الحسن بنت أبي لواء)²⁶.

♦ غدا بنت عبد الله بن حمدون²⁷ (من أهل القرن الثالث تقديرا).

محدثة من أهل قرطبة، حدثت عن سعيد بن عثمان الأعناقي²⁸ (عاش في القرن الثالث) وسمع منها.

♦ عائشة بنت إبراهيم بن موسى بن جميل الأندلسي التدميري مستوطن مصر (من أهل القرن الرابع الهجري)²⁹.

قال ابن الأبار في «التكملة»: (حدثت عن أبيها (ت 300هـ)، وحدث عنها خالد بن سعد).

♦ فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة اللخمي³⁰ (من أهل القرن الرابع تقديرا).

قال ابن بشكوال في «الصلة»: (هي أخت أبي محمد الباجي الإشبيلي (ت 378هـ)، شاركت أخاها أبا محمد في بعض شيوخه، ورأيت إجازة محمد بن فطيس الإلبيري لأخيها.

26 - انظر: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 4/ 244 - 245 ت 678، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي للدكتور عبد الهادي التازي ص: 95-96.

27 - أعلام النساء لعمر رضا كحالة 6/ 4.

28 - سعيد بن عثمان الأعناقي لم أعتز على وفاته وإنما وجدت أن أبا عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن المعروف بابن المشاط روى عنه، وقد توفي ابن المشاط سنة 352هـ.

29 - تكملة ابن الأبار 4/ 247 ت 687.

30 - الصلة لابن بشكوال 1/ 531 ت 1531.

♦ خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي زوج عبد الله بن أسد الفقيه³¹: (عاشت نهاية القرن الرابع تقديرا)

ترجم لها ابن بشكوال في «الصلة» فقال: (حدثت عن زوجها عبد الله بـ «موطأ» القعنبى قراءة عليه بلفظها في أصله، وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة. وأضاف ابن بشكوال قائلا: سمعت شيخنا أبا الحسن بن مغيث - رحمه الله - يذكر ذلك، وذكر لي أن الكتاب عنده، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكر - رحمه الله -، ورأيت من تحببها كتب كثيرة على ابنتها، ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه).

♦ زينب بنت أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري: (عاشت في القرن الخامس الهجري تقديرا)³².

قال عنها ابن الأبار في «التكملة»: (سمعت أباها كثيرا، وسكنت معه شرق الأندلس، وكانت من صوالح النساء، وهي أم سبطه أبي محمد عبد الله بن علي اللخمي. وزاد قائلا: ولا أدري أتوفيت في حياة أبيها أم بعده).

♦ خديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشَّتَّجِيَالِي³³: (عاشت في القرن الخامس الهجري تقديرا)

ترجم لها ابن بشكوال في «الصلة» فذكر أنها سمعت مع أبيها (ت436هـ) من الشيخ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي «صحيح» البخاري وغيره. وشاركت أباها في السماع من شيوخه بمكة، حرسها الله، وعقب ابن بشكوال قائلا: (ورأيت سماعها في أصول أبيها بخطه، وقدمت معه الأندلس وماتت بها رحمها الله).

♦ ظونة، وقيل: طونة، بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع³⁴ زوج أبي القاسم ابن مدير الخطيب المقرئ تكنى أم حبيب³⁵ (ت506هـ)³⁶.

31 - ابن بشكوال: الصلة 2/ 532 ت1535.

32 - ابن الأبار: التكملة 2/ 253 ت703.

33 - ابن بشكوال: الصلة 1/ 534 ت1542.

34 - وردت في كتاب الصلة لابن بشكوال 1/ 534 والتكملة لكتاب الصلة 2/ 253 مناع، وفي كتاب المستملح من كتاب التكملة للذهبي ص: 437 سباع، وفي صلة الصلة 5/ 308 متاع.

35 - ساهها الذهبي في المستملح حبيبة ص: 437.

36 - الصلة لابن بشكوال 1/ 534 - 535 ت1544، التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 2/ 253-254 ت704، ابن الزبير الغرناطي: صلة الصلة 5/ 308 ت620، الذهبي: المستملح من كتاب التكملة ص: 437 ت923.

قال ابن فرتون: (سمعت من أبي عمر ابن عبد البر الحافظ الكبير (ت 463هـ)، وكتبت عنه من كتبه وتواليه، وعن أبي العباس العذري الدلاي³⁷ (كان حيا قبل سنة 450هـ)، وسمع زوجها أبو القاسم بقراءتها عليهما، وكانت جيدة الخط ضابطة لما كتبه، فاضلة، ديّنة، كان مولدها سنة سبع وثلاثين وأربع مائة، ووفاتها سنة 506هـ. قال ابن الأبار: (ذكر ذلك ابنها أبو بكر، وحدث به ابن بشكوال عنه خارج «الصلة»، وقيده ابن خير وأفادنيه بعض أصحابنا، وزعم أن ابن بشكوال قيد ذلك في بعض «معلقاته» قاله عبد الرحمن بن الملجوم).

قال ابن الزبير الغرناطي في «صلة الصلة»: (ذكرها الشيخ - يقصد ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل»، قال: ذكرها ابن بشكوال خارج كتاب «الصلة» في تعاليقه على بعض أجزاءها؛ وقال: أخبرني بذلك ولدها أبو بكر، قال الشيخ: نقلت هذا من خط أبي القاسم بن الملجوم، قال: نقلته من خط ابن بشكوال)³⁸.

♦ ليلي معتقة الوزير أبي بكر بن خطاب (عاشت في القرن الخامس تقديرًا)³⁹.

من أهل مرسية، ذكرها القاضي أبو بكر بن أبي جمرة وقال: (كانت قد فاقت نساء عصرها في الذكاء والفهم في كل نوع من العلم، وذلك ما حمل القاضي أبا القاسم بن هشام ابن أبي جمرة قاضي غرناطة على تزوجها مع جلالته قدره في العلم والدين والبيت، وكان قد تعرض لخطبتها جماعة، فلم تجبهم، وأجابت للقاضي أبي القاسم المذكور واشتمل عليها وولع بها.

وتوفيت عنده قبل ولايته قضاء غرناطة بمدة، وكانت ولايته لها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

♦ أسماء بنت أبي داود سليمان بن نجاح المقرئ (عاشت في القرن الخامس)⁴⁰: من أهل بلنسية، روت عن أبيها كثيرا، وشاركتها في بعض شيوخه، وهي التي زوجها من تلميذه أحمد بن محمد لما يتوفر عليه من فضل وسمت).

♦ زينب بنت إبراهيم بن يوسف ابن قرقول (ت 569هـ)⁴¹.

37 - هكذا وردت هذه النسبة الدلاي، والصواب الدلاي كما وردت في أنساب السمعاني: الدلاي نسبة إلى دلالة بلدة قريبة من المرية، وهي بلدة على ساحل من سواحل بحر الأندلس وزاد قائلا: والمشهور بهذه النسبة أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري ويعرف بابن الدلاي 521/2.

38 - ابن الزبير: صلة الصلة 5/308 ت 620.

39 - ابن الزبير: صلة الصلة 5/309 ت 621.

40 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 2/254 ت 705.

41 - ابن عبد الملك: الذيل والتكملة 5/8/432 ت 292، عبد العزيز بن عبد الله: معجم المحدثين ص: 21.

عالمة ترجم لها ابن عبد الملك في «الذيل والتكملة» ووصفها بالفضل والصلاح، والضبط والإتقان قال: (كانت فاضلة صالحة، سمعت أباها فأكثر، وقفت على سماعها عليه في «جامع» الترمذي، وكانت ضابطة متقنة الرواية).

♦ زينب بنت أبي الحسن عباد بن سرحان المعافري (ت 580هـ)⁴²

من أهل شاطبة، روت عن أبيها وأجاز لها، وكانت دينة فاضلة، كثيرة الأوراد، صوامة قوامة تسرد الصوم.

♦ حفصة ابنة الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد السلمي، المعروف بابن عروس (ت 580هـ)⁴³.

قال ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة» نقلا عن الملاحي: (أحكمت على أبيها القراءات السبع، وقرأت عليه كثيرا من كتب الحديث، والأدب، وغير ذلك؛ ودرست كتاب «الموطأ»؛ قال الملاحي: (وأخبرت أنها عرضته على خال أبيها أبي بكر يحيى بن عروس التميمي، وإن صعب خطه وقلَّ شكله ونقطة، لا تتوقف ولا تتلعث؛ توفيت في الخامس عشر لرمضان سنة ثمانين وخمسائة، وسنها سبع وعشرون سنة).

♦ فاطمة بنت أبي علي حسين بن محمد الصدفي (توفيت بعد 590هـ).

ترجم لها ابن الأبار في «التكملة» فقال: (من أهل مرسية، ودار سلفها سرقسطة، تركها أبوها عند خروجه غازيا إلى كتندة في حيز الفطام من رضاعها، وسأل ألا يجتمع عليها فقده وفطامها، وكانت صالحة زاهدة تحفظ القرآن وتقوم عليه وتذكر كثيرا من الحديث في الأدعية وغيرها. وكانت حسنة الخط ملزمة لمطالعة الكتب وتزوجها صاحب الصلاة بمرسية أبو محمد عبد الله بن مسوى بن بُرْطَلَة فولدت له ابنه أبو بكر عبد الرحمن فأنجبت وولدت له أيضا غيره.

وقد ذكر محقق «المستملح من كتاب التكملة» الدكتور عواد بشار معروف بأنها ابنة أبي علي الصدفي الذي ألف ابن الأبار المعجم في أصحابه⁴⁴.

وتوفيت بعد التسعين وخمسائة وقد نيفت على الثمانين).

42 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 5/ 8/ 416 ت 257.

43 - ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة 2/ 8/ 567 ت 114.

44 - ابن الأبار: التكملة 4/ 263 ت 728.

♦ مسعدة ابنة أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري (ت 593هـ)⁴⁵:

نقل ابن الزبير الغرناطي ترجمتها عن الملاحى فقال: (كانت تحت أبي عبد الله النميري، وكانت تروي عن أبيها، وعن أخيها أبي جعفر، وعن زوجها أبي عبد الله؛ وكانت من ذوي الذكاء والدين، وتوفيت بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة).

♦ فاطمة بنت سعد الخير الأندلسي (ت 600هـ)⁴⁶.

سمع منها أبوها بأصبهان وغيرها، وببغداد من أبي بحر محمد بن عبد الملك، وأبي منصور القزاز وغيرهما، وسمع منها علي بن محمد بن يتي بن جبلة الأنصاري الخزرجي من أهل أوريولة. وحدث بمصر، وتوفيت بها في ربيع الأول سنة ستمائة.

♦ عزيزة بنت محمد بن نميل (عاشت في القرن السادس تقديرًا)⁴⁷.

هي من تلامذة القاضي أبي بكر ابن العربي (ت 543هـ) أخذت عنه سماعاً، وهي إحدى شيوخ ابن الزبير الغرناطي التي ورد ذكرها في كتابه «صلة الصلة» حيث قال: (ألفت سماعها مجلساً من حديث أبي الفوارس طراد الزينبي، سمعته من لفظها، ووقفت على خطها أيضاً على «صحائف الصلة» لابن بشكوال بتاريخ من سنة 551هـ؛) (كانت حسنة الخط، قويدة اللسان، ولم أتعرف من حالها أكثر؛ وأراها أخت أبي جعفر أحمد بن محمد بن نميل، من أهل مرسية).

♦ أمة الرحمن⁴⁸ بنت أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (عاشت في القرن السادس تقديرًا)⁴⁹.

ذكرها الملاحى وقال: (كانت تحت أبي علي الحسن بن حسان القضاعي، روت عن أبيها، وقرأت وتأديت، وألفت كتاباً⁵⁰ في «القبور والمحتضرين»، أجادت فيه وأتقنت، وكانت كاملة في النساء، لها خط حسن، ومعرفة جيدة، قال: وقفت على تأليفها بخطها، والإصلاح فيه بخط أبيها، قال: ورأيت تأليفها هذا عند ابنها الفقيه الحاج الطيب الفاضل، الأديب الماهر، أبي جعفر أحمد بن الحسن بن الحسن).

45 - صلة الصلة 5/ 314 ت 630، الذيل والتكملة 5/ 8/ 424 ت 278.

46 - التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار 3/ 436. ت 594 و 4/ 132-133، الذهبي: المستملح من كتاب التكملة ص: 438.

47 - صلة الصلة لابن الزبير 5/ 312 ت 626.

48 - الذيل 8-2 ص: 477 رقم 235، معجم الصديقي: أم الهناء ص: 271 في ترجمة أبيها عبدالحق رقم 240، النفح: أم الهناء 4/ 292 رقم 20.

49 - صلة الصلة لابن الزبير الغرناطي ق 5/ 311-312 ت 625.

50 - كتب بالهامش في (ك) بخط مغاير: «قلت: رأيت هذا التأليف بسوق الكتبيين بفاس - حرسها الله».

♦ فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري الشراط (ت 613هـ)⁵¹:

ترجم لها ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل» فقال: (قرطبية، تكنى بأُم الفتح، تلت على أبيها القرآن بقراءة نافع، ثم استظهرت عليه «تنبيه» مكي، و«شهاب» القضاعي، و«مختصر» الطليطلي، وقابلت معه «صحيح» مسلم، و«السير» تهذيب ابن هشام، و«كامل» المبرد، و«أمالي» القالي، وغير ذلك، وسمعت من لفظه كثيرا وحفظت من شعره في الزهد، وتلت القرآن على أبوي عبد الله: الأندلسي الزاهد، وأبي عبد الله بن المفضل الكفيف. حدث عنها ابنها أبو القاسم بن الطيلسان وقرأ عليها بقراءة ورش وسمع منها، توفيت سنة ثلاث عشرة وستمائة).

♦ أم العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري الداني (ت 616هـ)⁵²:

قال ابن الأبار: (من أهل دانية، تروي عن أبيها، وعن أبي عبد الله بن بكر عم أبي محمد صاحبنا، وأبي الطيب بن برنجال، وعن زوجها أبي الحسن بن الزبير، وأبي عبد الله بن نوح، وأبي عمر ابن عات. وكانت تحسن القراءات السبع، وسمعت بقراءتها مرتين صحيح البخاري من أبيها بقراءتها مرتين. وتوفيت سنة ست عشرة وستمائة هجرية).

♦ زينب بنت محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الزهري البلسنية، وتدعى عزيزة بنت ابن محرز (ت 635هـ)⁵³:

ترجم لها ابن الأبار في «التكملة» فقال: سمعت جدها لأُمها أبا الحسن ابن هذيل، وأخذت عنه كتاب «التقضي» لما في الموطأ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم⁵⁴ لابن عبد البر، وكانت امرأة صالحة، وقد أخذ عنها بيسير. وسمع منها.

وأضاف ابن الأبار: (كان خطها ضعيفا، وعُمرت طويلا وأُسنّت، وتوفيت من ليلة الاثنين في نصف جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وست مئة، ودفنت بمقربة من قبر أبي داود المقرئ).

قال ابن الأبار: شهدت جنازتها وكانت قد بلغت الثمانين مولدها خمس وخمسين وخمسمائة هجرية).

51 - ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة 2/ 8/ 490 ت 269، الذهبي: المستملح من كتاب التكملة ص: 439.

52 - ابن الأبار: التكملة 4/ 263 ت 732، الذيل لابن عبد الملك 5/ 8/ 412 ت 246، الذهبي: المستملح من كتاب التكملة ص: 439 ت 929، عبد العزيز بن عبد الله: معجم المحدثين ص: 18، ومعلمة القرآن والحديث ص: 114.

53 - التكملة لابن الأبار 4/ 264 ت 734، ابن عبد الملك: الذيل والتكملة 5/ 8/ 416 ت 258، الذهبي: المستملح من كتاب التكملة ص: 440 ت 930.

54 - كتاب التقضي لابن عبد البر ورد بتسميات عدة منها عدا الذي ذكرته (التقضي في معرفة شيوخ مالك وذكر أحاديثه).

♦ أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحميري القرطبية (ت 640هـ)⁵⁵:
تعرف بسعدونة، راوية، روت عن أبيها وجدها، وخاليها أبي القاسم عامر وأبي عيسى أبي بكر ابني
أبي الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدي، كانت أديبة شاعرة.
توفيت بمالقة في سنة أربعين وستمائة أو نحوها.

♦ أم الخير عائشة بنت علي بن عمر بن شبل الصنهاجي الحميري (ت 739هـ)⁵⁶:
توفيت بمصر، وكانت عالمة بالحديث، روى عنها ابن حجر بواسطة. وهذه الرواية بالواسطة هي
التي ذكرها ابن غازي في فهرسه المسمى: «التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد» حين
ذكر سنده إليها في رواية مسند الشهاب قال: أخبرنا به عن شهاب الدين ابن حجر، عن أبي المعالي
الحلاوي، عن أم الخير عائشة ابنة علي الصنهاجية، عن أبي العباس أحمد بن علي الدمشقي، عن أبي
القاسم هبة الله بن علي بن سعود البوصيري، عن أبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيد، عن
المؤلف أبي عبد الله القضاءي.

قال ابن حجر في «الدرر»: (أسمعها أبوها من ابن علاق والنجيب وغيرهما، وحدثت بالكثير، حدثنا
عنها بالسماع أبو المعالي الأزهري وغيره، وماتت بمصر في مستهل ربيع الأول سنة 739هـ).
♦ زينب بنت أحمد بن ميمون التونسية الأصل المكية المعروفة بابنة المغربي (توفيت بمكة بعد سنة
780هـ)⁵⁷.

محدثة، سمعت من الفخر التوزري «الأحاديث العوالي المخرجة لأبي عبد الله الفراوي وتخريج
ولده أبي البركات عبد الله»، والصفى الطبري «الأربعين البلدانية» لأبي طاهر السلفي، و«الأربعين
الثقافية»، ونسختي أبي معاوية وبكار بن قتيبة، ومن الشريف أبي عبد الله الفاسي «الفصول في كلام
الشيخ أبي عبد الله القرشي جمع أبي العباس القسطلاني»، وحدثت، سمع منها الفضلاء، وأجازت
جماعة منهم: أبو الفضل ابن ظهيرة، وجار الله بن صالح وأخوه عبد الله، والقاضي مجد الدين
الشيرازي، وأم الحسن بنت محمد بن فهد وغيرهم.

55 - ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة 4/ 264-265 ت 736.

56 - انظر: ابن غازي: التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد ص: 155-156، ابن حجر: الدرر الكامنة 2/ 237 ت 2089،
الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات 2/ 631، عبد العزيز بن عبد الله: معجم المحدثين ص: 21.

57 - ابن حجر: الدرر الكامنة 2/ 118 ت 1746، الدر الثمين في تراجم البلد الأمين 3/ 1438-1439، عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن
والحديث في المغرب الأقصى ص: 166، وأعلام النساء لكحالة 2/ 53.

- ♦ ست العرب ابنة عبد المهيمن الحضرمي السبتي⁵⁸: (عاشت في القرن الثامن الهجري).
- أجاز لها شيخ أبيها ابن رشيد السبتي (ت 721هـ).
- ♦ أمة الرحيم بنت ضياء الدين عيسى بن يحيى السبتي (عاشت في القرن الثامن للهجرة)⁵⁹.
- ذكرها ابن حجر في مؤلفه «الدرر» فقال: (محدثه سمعت والدها، وأجاز لها جماعة، ماتت في القرن الثامن للهجرة).
- وذكرها عبد العزيز بن عبد الله في «معجم المحدثين» فقال: (كانت محدثة، سمعت الحديث من والدها، وأجاز لها جماعة من علماء القرن الثامن الهجري)⁶⁰.
- ♦ مؤمنة بنت عبد الله بن يحيى الفاسي (عاشت في القرن الثامن الهجري)⁶¹:
- قال عنها ابن حجر في «الدرر الكامنة»: (مؤمنة بنت عبد الله بن يحيى الفاسي، نزيلة القدس، أجازت لعبد الله بن عمر بن العز ابن جماعة).
- ♦ هاجر بنت علي بن عمر الصنهاجية (عاشت في القرن الثامن الهجري)⁶²:
- محدثه تلقب بقرّة العيون سمعت من العز الحرائي، وسمع عليها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني المصري.
- ♦ بنتا ابن رشيد السبتي (ت 721هـ) كان يستجيز لهما العلماء.
- ♦ رحمة بنت الجنان المكناسية زوجة أبي عبد الله محمد بن عزوز الصنهاجي المكناسي المعروف بالحاج عزوز (عاشت أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع)⁶³.
- قال ابن زيدان في «إتحاف أعلام الناس»: (كانت حافظة لأحاديث كثيرة من الصحاح، وكادت تحيط حفظاً بالأدعية الواردة في الصحاح، وكانت ملازمة لدرس القرآن العظيم في المصحف عالمة من قصصه وأخباره).

58 - توفي أبوها عبد المهيمن الحضرمي السبتي سنة 749هـ.

59 - عمر رضا كحالة: أعلام النساء 1/ 85، عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث ص: 114.

60 - عبد العزيز بن عبد الله: معجم المحدثين ص: 18.

61 - الدرر لابن حجر 4/ 385، أعلام النساء لكحالة 5/ 127.

62 - ابن حجر: الدرر الكامنة 4/ 399، عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث ص: 204، ومعجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى ص: 39، الزهراوي: معجم شهرات المغرب ص: 323.

63 - إتحاف أعلام الناس لابن زيدان 3/ 66، عمر رضا كحالة: من أعلام النساء 1/ 445.

أخذت العلم عن زوجها محمد بن عزوز، وعن زوجها الثاني، وتزوجت بعد وفاة زوجها بأحمد بن محمد والد الإمام ابن غازي الذي يقول: (حفظت منها كثيرا في أيام الصغر فلم أتعب كثيرا في حفظه في الكبر)، وزاد قائلا: (فنفعتنا بذلك في الصغر غاية برد الله ضريحها)⁶⁴.

♦ خديجة ابنة علي بن عمر بن أبي الحسن الأنصاري ابنة ابن الملقن (ت 873هـ)⁶⁵:

ولدت سنة 788هـ، حضرت قراءة أبيها على العز بن أبي اليمن الكويك الختم من الموطأ برواية يحيى بن يحيى، وحدثت به غير مرة، سمعه منها الفضلاء؛ وسمعه منها شمس الدين السخاوي.

♦ شريفة بنت عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الحسيني الفاسي (ت 882هـ)⁶⁶.

الفاسية الأصل، وردت مكة خلال القرن السابع الهجري فعاشت بها إلى أن وافتها المنية. محدثة ترجم لها السخاوي في «الضوء اللامع» فقال: (شريفة ابنة السراج عبد اللطيف بن أبي الفتح محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي الحنبلي أخت المحيوي عبد القادر قاضي الحرمين. ولدت في النصف الأول سنة عشر وثمانمائة، وسمعت من الزين أبي بكر المراغي المسلسل وغيره، وأجاز لها.

♦ أم كلثوم الدرعية (ت 1091هـ)⁶⁷:

إحدى عالمات درعة ومدرساتها، طبعت نشأتها بطابع العلم والتصوف والتعليم، زوجها والدها إلى الفقيه المقرئ محمد بن يحيى بن أبي الفتح التلمساني الأصل، الدرعي الدار والوفاء، كان لهذه السيدة اهتمام بتدريس «الوغيلسية في الفقه»، والسيرة النبوية، والبردة طيلة حياتها، وكانت وفاتها 11 ربيع الثاني 1091هـ بالطاعون الذي انتشر في هذه المنطقة وخلف كثيرا من الوفيات.

♦ خنثة بنت الشيخ بكار بن علي بن عبد الله المغافري (ت 1155هـ)⁶⁸.

زوج السلطان الأعظم المولى إسماعيل، ووالدة السلطان المولى عبد الله، وجدة السلطان المجاهد الصالح سيدي محمد بن عبد الله، وجدة الملوك العلويين، كانت عالمة أدبية لها اعتناء بالحديث

64 - إتحاف أعلام الناس لابن زيدان 3/ 66.

65 - السخاوي: الضوء اللامع 12/ 29 ت 163.

66 - السخاوي: الضوء اللامع 12/ 67 ت 409، أعلام النساء لعمر رضا كحالة 2/ 296 (يتأكد منه)، المهابة: المرأة المغربية والتصوف ص: 110.

67 - الزهراوي: معجم شهرات المغرب ص: 50-51 ت 25.

68 - ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة 2/ 254 ت 705، عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى ص: 166، المهابة: المرأة المغربية والتصوف ص: 111، سعيد أعراب: المدرسة القرآنية في الصحراء المغربية مقال بمجلة دعوة الحق ص: 82، ع 9، س 17، نوفمبر 1976م.

ورجاله، وجد خطها على هامش نسخة من الإصابة لابن حجر توفيت سنة 1155هـ ودفنت بروضة الأشراف بالمدينة البيضاء بفاس.

♦ عائشة بنت علي بونافع وتدعى عشوة (ت 1177هـ)⁶⁹.

حفيدة العلامة عبد الرحمن الفاسي، نشأت وترعرعت في بيت علم وتصوف، تزوجت من الفقيه الصوفي علي بن محمد الزبادي، وهي والددة العالمين الجليلين عبدالمجيد ومحمد الزبادي.

شهد لها العلماء بمواظبتها على حضور المجالس العلمية، من بينها مجلس ولدها عبد المجيد في «شرحه للنصيحة الكافية»، ودروسه في الفقه، والتوحيد، و«رسالة» ابن أبي زيد القيرواني، والسيرة، و«شمائل» الترمذي فيما بين العشاءين.

♦ آمنة بنت محمد غيلان الغرناطي المعروفة بللاغيلانة (ت 1206هـ) أوردها عبد العزيز بن عبد الله في «معلمة الفقه المالكي»، ووصفها الرهوني في «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» بالفقيهة العالمة الصالحة، أقرأها والدها القرآن والعربية والفقه والحديث، فكانت عالمة نساء البلد⁷⁰.

وذكر الرهوني أنها كتبت بخطها «سيرة» أبي سليمان الكلاعي، وفرغت منها في عام 1206هـ وما زالت تلك النسخة موجودة إلى الآن.

كما ذكر الفقيه المنوني في تاريخ الوراقة أنها انتسخت كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري.

♦ فاطمة بنت الشيخ أحمد البدوي المعروف بزويتن الفاسي (ت 1275هـ)⁷¹:

كانت تحفظ الحديث حتى إنها من فرط ولعها بسنة الحبيب صلى الله عليه وسلم كتبت بخطها نسخة من «صحيح البخاري» في خمسة أجزاء، فقد ذكر المؤرخ محمد بن علي الدكالي أنه رأى بالقرويين بفاس سنة 1304هـ جزءا من «صحيح» البخاري بخط جيد ما زال قريب العهد بالكتابة، وعلى طرر الكتاب تقايد مفيدة، ولما سأل الطالب الذي كان بيده الجزء المذكور: من هذه السيدة الكاتبة لهذه النسخة؟ فقال الطالب: إنها بنت الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن صاحب الزاوية بسويقة ابن صافي من طالعة فاس⁷².

69 - محمد بن جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس 211/2 - 212.

70 - أحمد الرهوني: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين 4/ 254-255، محمد داود: تاريخ تطوان 3/ 93، عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى ص: 79، المنوني: تاريخ الوراقة المغربية ص: 281، المهام: المرأة المغربية والتصوف ص: 88.

71 - المنوني: تاريخ الوراقة المغربية ص: 281. المنوني المناهل ع 36 ص: 83. المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي ص: 111. عبد العزيز بن عبد الله: معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى ص: 29.

72 - الفقيه محمد المنوني: الوراقة المغربية ص: 261.

♦ زينب بنت الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة (ت 1344هـ)⁷³.

ترجم لها عبد السلام بن عبد القادر بن سودة في فهرس شيوخه فقال: (سيدتنا الجدة من الأم، المرأة الصالحة العابدة المتبتلة، نشأت في حجر والدها، وبين أحضان إخوانها الأربعة، محمد والتاودي والمكي وعبد السلام، فاكسبت من ذلك معلومات فقهية وألفاظا حديثة. وصارت تنطق بها، وتستعمل مقتضياتها في عبادة ربها وتهجدها، فإذا ذاكرتها وجدت نصوصها حاضرة).

وكانت عند أول يوم من رجب في كل سنة تستدعي أبناء إخوانها، وتأمريهم بسر «صحيح» الإمام البخاري في كل يوم إلى متم رمضان، وفي آخره يكون ختم «الصحيح»⁷⁴.

♦ فاطمة بنت محمد بن الطيب البدوي زويتن الفاسي:

ذكرها الفقيه محمد المنوني في كتابه «تاريخ الوراقة المغربية» حين تعرض للحديث عن الوراقات من النساء فقال: أوردها مؤلف «الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف»⁷⁵، وذكر أنها كانت زوجة للشريف عبد السلام بن عبد الله بن محمد الوزاني الفاسي، وعقب قائلاً: (السيدة فاطمة فقيهة ونساجة، ولقد رأيت بخطها كتاب «الشفاء» لسيد القاضي عياض في غاية الجودة، وقل مثلها في المعرفة والخط من النساء)⁷⁶.

♦ رقية بنت الحاج ابن العائش اليعقوبية (ت أوائل القرن الرابع عشر).

قال عنها عبد العزيز بن عبد الله نقلا عن الكانوني في كتابه «شعيرات نساء المغرب»: (الأديبة الفقيهة العارفة بالعربية واللغة والتفسير والشعر والسيرة وأسرار الحروف والأسماء والتوحيد والبيان والصرف، وكان يدرس عليها الرجال والنساء مختلف الفنون، وكانت في مجالس التفسير تتوخى أسباب النزول وعلوم القرآن وأنساب العرب والتاريخ، توفيت أوائل القرن الرابع عشر)⁷⁷.

هذه شذرات من تراجم نساء محدثات من الغرب الإسلامي جمعتها من هنا وهناك لا أدعي الاستيعاب، والبحث كفيلاً بأن يميظ اللثام عن محدثات أخريات.

وإننا اليوم بحاجة إلى أن نكثف الجهود ونستنهض الهمم للمحافظة على المصدر الثاني من مصادر شريعتنا ولنعيد للغرب الإسلامي مكانته.

73 - عبد السلام بن سودة: سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال (فهرس الشيوخ) ص: 39 ت 44.

74 - الدر الكمين بذي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لعمر بن فهد الهاشمي المكي.

75 - ذكر الفقيه المنوني في الهامش أن الكتاب مخطوط في حوزة أحد الأشراف الوزانيين.

76 - الفقيه محمد المنوني: الوراقة المغربية ص: 261، الزهراوي: معجم شعيرات المغرب ص: 260 ت 288.

77 - عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية ص: 19.

جهود القاضي عياض في خدمة الحديث النبوي الشريف من خلال كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»

• دة. خديجة بوسبع

باحثة في الدراسات الإسلامية، بني ملال

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛

إذا كانت العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ القرآن الكريم من كل تحريف وتغيير، فإن المصدر الثاني للتشريع الإسلامي قد سخر الله له علماء بذلوا جهوداً عظيمة لحفظه، فألفوا المؤلفات وأبدعوا المناهج لضبط نصوصه ورعاية أصوله.

وكان من بين علماء الأمة الإسلامية الذين انبروا لخدمة السنة النبوية قديماً وحديثاً مشرقاً ومغرباً، أحد أعلام الحديث النبوي الشريف بالمغرب، وهو القاضي عياض الذي طبقت شهرته الآفاق بإسهاماته المتميزة في مجال التأليف خدمة للسنة، ومنها: كتاب "مشارك الأنوار على صحاح الآثار"، و"إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم"، و"بغية الرائد في شرح حديث أم زرع"، و«الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع».

تأسيساً على ما سبق فإن هذا البحث يستهدف تسليط الضوء على جهود القاضي عياض في خدمة الحديث النبوي الشريف من خلال كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، ضمن خطة تشمل ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بالقاضي عياض وبكتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع».

الثاني: جهود القاضي عياض في حفظ الحديث النبوي الشريف من خلال كتابه «الإلماع».

الثالث: آثار جهود القاضي عياض من خلال «الإلماع».

المطلب الأول: التعريف بالقاضي عياض وبكتاب «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»

أولاً: التعريف بالقاضي عياض:

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي الإمام العلامة يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل. قال ولده محمد: كان أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك وانتقل عمرو بن عياض إلى سبتة بعد سكنى فاس.

كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولياً، عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، حافظاً لمذهب مالك رحمه الله تعالى، شاعراً مجيداً في الأدب، خطيباً بليغاً، صبوراً حليماً، جميل العشرة، جواداً سمحاً، كثير الصدقة، دؤوباً على العمل، صلباً في الحق¹.

كما أثنى عليه ابن بشكوال بقوله: «جمع من الحديث كثيراً، وله عناية كثيرة به، واهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التنفن في العلم والذكاء واليقظة والفهم»².

وهذه المؤهلات كافية للتفكير في خدمة السنة من خلال التأليف. ولذلك قال عنه النووي: هو «إمام بارع، متفنن، متمكن في علم الحديث والأصول، والفقه، والعربية، وله مصنفات في كل نوع من العلوم المهمة، وكان من أصحاب الأفهام الثاقبة»³.

واختصاراً فقد تعددت الإشارات التي تدل على موسوعية القاضي عياض، وعلى نباهته وبراعته ونبوغه في ميادين متعددة من العلوم التي ترك فيها إرثاً كبيراً سواء في الحديث بمختلف علومه والفقه والسيرة والشمال والتاريخ والعقيدة...

1 - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: محمد الأحدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 2/ 48.

2 - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1374هـ - 1955م، ص: 430.

3 - تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2/ 43.

ثانياً: التعريف بكتاب «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»⁴

ذاع صيت كتاب «الإلماع» مغرباً ومشرقاً؛ إذ وصل إلى المشرق عن طريق تلاميذ القاضي عياض الذين رحلوا إلى المشرق ودخلوا الإسكندرية وحدثوا فيها بالإلماع⁵.

أما موضوعه فقد أشار إليه القاضي عياض في مقدمة كتابه حين قال: «أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي صَرْفِ الْعِنَايَةِ إِلَى تَلْخِيصِ فُصُولٍ فِي مَعْرِفَةِ الضَّبْطِ وَتَقْيِيدِ السَّمَاعِ وَالرَّوَايَةِ، وَتَبَيِّنِ أَنْوَاعَهَا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْصِيلِ وَالِدِّرَايَةِ، وَمَا يَصِحُّ مِنْهَا وَمَا يَتَرَفَّى، وَمَا يَتَفَقُّ فِيهِ مِنْ وُجُوهِهَا وَيَخْتَلَفُ»⁶.

وبناء عليه فموضوع كتاب «الإلماع» معرفة أصول رواية الحديث تحملاً وأداءً، وكيفية ضبط وتقييد السماع، وتحقيق المخطوطات الحديثية. كما «أن الإلماع قد احتوى على كثير من الأسس التي وضعها المحدثون لحفظ الحديث وتحقيقه على مر العصور. وقد بلغ القاضي عياض القمة في صياغته لهذه القواعد، وجمع خلاصة ما قاله أهل الشأن وأضاف إليه من اجتهاداته ما أضافه. ومما يزيد من أهمية الإلماع وقيمته أن القاضي عياضاً جمع به كثيراً من النصوص من كتب أغلبها اليوم مفقود، والقليل منها موجود ولكنه ما زال مخطوطاً لا يتمكن منه كل دارس»⁷.

يقول أسد رستم عن أهمية كتاب «الإلماع»: «وَأَهَمُّ مَا وَجَدْتُ فِي مَكْتَبَةِ الظَّاهِرِيَةِ نَسْخَةً قَدِيمَةً مِنْ رِسَالَةِ الْقَاضِي عِيَاضٍ فِي عِلْمِ الْمَصْطَلَحِ كَتَبَهَا ابْنُ أَخِيهِ سَنَةَ 595 م. وَكُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ عَنْهَا شَيْئاً فِي بَعْضِ رِسَائِلِ الْمَصْطَلَحِ فَاسْتَنْسَخْتُهَا بِالْفُوتُوسْتَاتِ، وَبَدَأْتُ فِي دَرَسِهَا وَتَفْهَمِ مَعَانِيهَا، فِإِذَا هِيَ مِنْ أَنْفَسِ مَا صَنَفَ فِي مَوْضُوعِهَا. وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا الْقَاضِي عِيَاضَ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّدْقِيقِ فِي عَصْرِهِ.

وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِمْكَانِ أَكْبَرَ رِجَالِ التَّارِيخِ الْيَوْمَ أَنْ يَكْتُبُوا أَحْسَنَ مِنْهَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَرُورِ سَبْعَةِ قُرُونٍ عَلَيْهَا. فَإِنْ مَا جَاءَ فِيهَا مِنْ مَظَاهِرِ الدِّقَّةِ فِي التَّفْكِيرِ وَالِاسْتِنَاجِ تَحْتَ عُنْوَانِ (تَحْرِيرِ الرِّوَايَةِ وَالْمَجْيَاءِ بِاللَّفْظِ) يَضَاهِي مَا وَرَدَ فِي الْمَوْضُوعِ نَفْسَهُ فِي كُتُبِ الْفَرَنْجَةِ فِي أَوْرُوبَا وَأَمْرِيكََا.

4 - وهناك من سباه بـ «الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع» انظر: الديباج المذهب، ابن فرحون المالكي، ص: 170، هدية العارفين أساء المؤلفين وأثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين ابن مير البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، 508/1.

5 - القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير علي حمد الترابي، دار ابن حزم، ط1، 1418هـ - 1997 م، ص: 353.

6 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المحقق: السيد أحمد صقر، دار التراث/ المكتبة العتيقة - القاهرة/ تونس، الطبعة: الأولى، 1379هـ - 1970 م، ص: 3.

7 - القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث رواية ودراية، البشير علي حمد الترابي، ص 366-367.

والواقع أن (المثودولوجية)⁸ الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب غربي، ليست غريبة عن مصطلح الحديث، بل تمت إليه بصلة قوية. فالتاريخ دراية أولاً ثم رواية. كما أن الحديث دراية ورواية.

ولو أن مؤرخي أوروبا في العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين - أمثال عياض - لما تأخروا في تأسيس علم (المثودولوجية) إلى أواخر القرن الماضي⁹.

المطلب الثاني: جهود القاضي عياض في حفظ الحديث النبوي الشريف من خلال كتابه «الإلماع»

على الرغم من تعدد مصنفات القاضي عياض التي تشهد على سعة علمه وقوة حفظه وتبحره في علوم شتى، إلا أن جهوده في علوم الحديث تأليفاً وتنقيحاً وتدقيقاً ونقداً وجمعاً وتحقيقاً وشرحاً تدل على عبقريته، وتجلى ذلك في كتابه «الإلماع» خاصة عندما قال وهو يبين شرف علم الحديث وأنواعه ومنهج حفظه وتوثيقه وهذا نصه: «فَإِنَّ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالْأَثَرِ أَصْلُ الشَّرِيعَةِ الَّذِي إِلَيْهِ انْتِمَاؤُهَا، وَأَسَاسُ عُلُومِهَا الَّذِي عَلَيْهِ يَرْتَفِعُ تَفْرِيعُ فُرُوعِهَا وَبَنَائُهَا، وَهُوَ عِلْمٌ عَذْبُ الْمَشْرَبِ، رَفِيعُ الْمَطْلَبِ، مُتَدَفِّقُ الْيَنْبُوعِ، مُتَشَعِّبُ الْفُصُولِ وَالْفُرُوعِ؛ فَأَوَّلُ فُصُولِهِ: مَعْرِفَةُ أَدَبِ الطَّلَبِ وَالْأَخْذِ وَالسَّمَاعِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ عِلْمِ ذَلِكَ وَوُجُوهِهِ وَعَمَّنْ يُؤْخَذُ، ثُمَّ الْإِتْقَانُ وَالتَّقْيِيدُ، ثُمَّ الْحِفْظُ وَالْوَعْيُ، ثُمَّ التَّمْيِيزُ وَالنَّقْدُ بِمَعْرِفَةِ صَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ، وَحَسَنِهِ وَمَقْبُولِهِ، وَمَمْرُوكِهِ وَمَوْضُوعِهِ، وَاخْتِلَافِ رَوَايَتِهِ وَعِلَلِهِ، وَمَيِّزِ مُسْنَدِهِ مِنْ مُرْسَلِهِ، وَمَوْقُوفِهِ مِنْ مَوْضُولِهِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ طَبَقَاتِ رَجَالِهِ مِنَ الثِّقَّةِ وَالْحِفْظِ وَالْعَدَالَةِ، وَالْجَرِّحِ وَالضَّعْفِ وَالْجَهَالَةِ، وَالتَّقْدُمِ وَالتَّأَخُّرِ، ثُمَّ مَيِّزُ زِيَادَاتِ الْحِفَاطِ وَغَيْرِهِمْ فِيهِ، وَفَضْلُ الْمُدْرَجِ أَثْنَاءَهُ مِنْ أَقْوَالِ نَاقِلِيهِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ غَرِيبِ مُتُونِهِ وَتَفْسِيرُ أَلْفَاظِهِ، ثُمَّ مَعْرِفَةُ نَاسِخِهِ مِنْ مَنْسُوخِهِ، وَمُفَسِّرِهِ مِنْ مُجْمَلِهِ، وَمُتَعَارِضِهِ وَمُشْكَلِهِ، ثُمَّ التَّفَقُّهُ فِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ الْحُكْمِ وَالْأَحْكَامِ مِنْ نُصُوصِهِ وَمَعَانِيهِ، وَجَلَاءُ مُشْكِلِ أَلْفَاظِهِ عَلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلِهَا وَوَفْقَ مُخْتَلِفِهَا عَلَى الْوُجُوهِ الْمُفَصَّلَةِ وَتَنْزِيلِهَا، ثُمَّ النُّشْرُ وَأَدَابُهُ وَصِحَّةُ الْمَقْصِدِ فِي ذَلِكَ لِلدِّينِ وَاحْتِسَابُهُ، وَكُلُّ فَضْلٍ مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ عِلْمٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفَرْعٌ بِاسِقٌ عَلَى أَصْلِ عِلْمِ الْأَثَرِ وَأَسْئِهِ»¹⁰.

هذا وقد لخص القاضي عياض موضوع كتابه فيما يأتي:

«أَنَّ طَرِيقَ النُّقْلِ وَوُجُوهَ الْأَخْذِ وَأُصُولَ الرِّوَايَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَنْوَاعٍ تَتَحَقَّقُ بِهَا طَرُقُ تَحْمِلِ عِلْمِ الْحَدِيثِ: أَوَّلُهَا: السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ حِينَ الْإِمْلَاءِ أَوْ التَّحْدِيثِ وَسَوَاءٌ كَانَ مِنْ حِفْظِهِ أَوْ الْقِرَاءَةِ مِنْ كِتَابِهِ وَهُوَ أَزْفَعُ دَرَجَاتِ أَنْوَاعِ الرِّوَايَةِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ. وَثَانِيهَا: الْقِرَاءَةُ عَلَى الشَّيْخِ أَوْ الِاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ، وَقَدْ

8 - علم كتابة التاريخ.

9 - مصطلح التاريخ، أسد رستم، المحقق: بحث في نقد الأصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفي ما يقابل ذلك في علم الحديث، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى: 1423هـ- 2002م، ص: 12.

10 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقبيد السماع، القاضي عياض، ص: 4-5.

تكون القراءة من كتاب أو حفظ. وَثَالِثُهَا الْمُنَاوَلَةُ؛ وذلك حين يتناول الطالب نسخة مصححة بخط الشيخ، أو كتبت عنها فأقرها، أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ، أو بجزء من حديثه فيقف عليه الشيخ ويعرفه ويحقق جميعه ويجيزه له¹¹. وَرَابِعُهَا الْكِتَابَةُ؛ وذلك أن الشيخ إذا كتب شيئاً من حديثه للطالب فقد حدثه. وَخَامِسُهَا الْإِجَازَةُ؛ وهي الإذن للطالب بالمشافهة أو بالكتابة، أن يتولى رواية الحديث. وَسَادِسُهَا: الْإِعْلَامُ لِلطَّالِبِ بِأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ رِوَايَتُهُ، وَسَابِعُهَا وَصِيَّتُهُ بِكُتْبِهِ لَهُ، وَثَامِنُهَا الْخَطُّ؛ وهو الْوُقُوفُ عَلَى خَطِّ الرَّاوي فَقَطَّ¹².

ومن إسهامات القاضي عياض التي كان له فيها فضل سبق والانفراد في المغرب، والتي أسهمت ليس فقط في ضبط النصوص الحديثية وحفظها، بل استفاد من منهجه علماء في ميادين أخرى للتحقق من صحة النقل ألا وهو تحقيق المخطوطات نظرياً وعملياً؛ إذ يعد «القاضي عياض من أول رواد التحقيق في التاريخ الإسلامي، فإن ذلك لم يكن عن ارتجال بوصف أو انتحال بكلف؛ وإنما هو نظر وممارسة انتهجها القاضي عياض في كتاباته، وشهد له بذلك كل من جاء بعده من أهل العلم الرصين، وأذعنوا له بالسبق والتمكين، وأشهر بذلك في أمهات كتبه التي نظر فيها لقواعد التحقيق، وأسقط فيها جوانب التطبيق. وأشهر كتبه التي أبرزت منهجه في علم التحقيق هو كتاب الإلماع، الذي يعد من أمهات كتب الاصطلاح في علوم الحديث، برهن فيه القاضي عياض على انفراده ببسط قواعده على وجه فريد لم يعتن بها من سبقه على شاكلته»¹³.

ورغم سبق القاضي عياض في علم تحقيق المخطوطات، إلا أنه كان منفتحاً على غيره من العلماء، فقد «استفاد من قواعد من سبقه في علم التحقيق، وزاد فيها وعدل، واختار فيها ما يستحق الاختيار، وأبرز كل تلك القواعد النظرية في كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، ولعل القاضي عياض هو أول من انفرد بجانب الممارسة لهذا العلم سواء مع النصوص المروية - أي نصوص السنة - وجسد هذه الممارسة في الإلماع ومشارك الأنوار على صحاح الآثار، أو التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة»¹⁴.

11 - المصدر السابق، ص: 79.

12 - السابق، ص: 68.

13 - قواعد التحقيق عند القاضي عياض من خلال «الإلماع» و«التنبيهات» و«المشارك» بين النظرة والممارسة، حمادي نور الدين ومحمد رشيد علي بوغزاله، مجلة الصراط، السنة السابعة عشرة، العدد الثاني والثلاثون، ربيع الأول 1437هـ/ ديسمبر 2015 م، ص: 295.

14 - قواعد التحقيق عند القاضي عياض من خلال «الإلماع» و«التنبيهات» و«المشارك» بين النظرة والممارسة، حمادي نور الدين ومحمد رشيد علي بوغزاله، ص: 286.

ومن منهج القاضي عياض في كتابه «الإلماع» لتحقيق النصوص الحديثية إيراد جملة من القواعد لإخراجها محققة خالية من السقط والتحريف منها:

1 - مقابلة النسخة بأصل السماع ومعارضتها. قال القاضي عياض: «وَأَمَّا مُقَابَلَةُ النُّسخَةِ بِأَصْلِ السَّمَاعِ وَمُعَارَضَتُهَا بِهِ فَمُتَعَيِّنَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا، لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ التَّقْيُّ الرَّوَايَةَ مَا لَمْ يُقَابَلْ بِأَصْلِ شَيْخِهِ أَوْ نُسخَةٍ تُحَقِّقُ وَوُثِّقَ بِمُقَابَلَتِهَا بِالْأَصْلِ وَتَكُونَ مُقَابَلَتُهُ لِدَلِيلِكَ مَعَ الثَّقةِ الْمَأْمُونِ مَا يَنْظُرُ فِيهِ فَإِذَا جَاءَ حَرْفٌ مُشْكِلٌ نَظَرَ مَعَهُ حَتَّى تَحَقَّقَ ذَلِكَ»¹⁵.

2 - الشكل والنقط. قال القاضي عياض: «وَأَمَّا النَّقْطُ وَالشَّكْلُ فَهُوَ مُتَعَيِّنٌ فِيمَا يُشْكِلُ وَيَشْتَبِه. وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ لَا سِيَّمَا لِلْمَبْتَدِئِ وَغَيْرِ الْمُتَبَحَّرِ فِي الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَا يُمَيِّزُ مَا أَشْكَلَ مِمَّا لَا يُشْكِلُ وَلَا صَوَابَ وَجْهِ الْإِعْرَابِ لِلْكَلِمَةِ مِنْ خَطئه»¹⁶.

فمع اتساع المجال الجغرافي للأمة الإسلامية، وضعف المعرفة باللغة العربية واختلاطها مع اللهجات واختلاف الألسن، لابد من النقط والشكل، فالحاجة ماسة إليهما لتضبط النصوص والمعاني خاصة وأن إهمالهما قد يؤدي إلى اختلاف الأحكام. كما هو الحال مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ»¹⁷.

قال القاضي عياض بخصوص أهمية النقط والشكل في اختلاف الحكم: «وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْإِعْرَابِ كَاخْتِلَافِهِمْ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ؛ فَالْحَنْفِيَّةُ تُرْجِّحُ فَتَحَ ذَكَاةِ الثَّانِيَةِ عَلَى مَذْهَبِهَا فِي أَنَّهُ يُذَكَّى مِثْلَ ذَكَاةِ أُمِّهِ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ تُرْجِّحُ الرَّفْعَ لِإِسْقَاطِهِمْ ذَكَاتَهُ»¹⁸.

3 - إصلاح الخطأ واللعن: وهذا الذي يؤكد عليه القاضي عياض بقوله: « وَحِمَايَةُ بَابِ الْإِصْلَاحِ وَالتَّغْيِيرِ أَوْلَى لئَلَّا يَجْسَرَ عَلَى ذَلِكَ مَنْ لَا يُحْسِنُ وَيَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْلَمُ وَطَرِيقُ الْأَشْيَاخِ أَسْلَمٌ مَعَ التَّبَيِّنِ فَيُذَكَّرُ اللَّفْظُ عِنْدَ السَّمَاعِ كَمَا وَقَعَ وَيُنَبَّهُ عَلَيْهِ وَيُذَكَّرُ وَجْهُ صَوَابِهِ إِمَّا مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ النَّقْلِ»¹⁹.

وعلى ضوء ما سبق فإن هذه القواعد التي أرساها الإمام القاضي عياض تجاوزت التنظير إلى التطبيق حتى تحفظ سلامة النص الأصلي من كل تغيير أو تحريف، وأن يبقى النص كما نطق به صاحبه.

15 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 159.

16 - السابق، القاضي عياض، ص: 149.

17 - رواه أبو داود في سننه، رقم: 2828، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذَكَاةِ الْجَنِينِ، 3 / 103.

18 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 150.

19 - السابق، القاضي عياض، ص: 186.

وَحَقُّ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْحَرَصِ عَلَى الْإِشَادَةِ بِتَفَرُّدِهِ وَأَسْبَقِيَّتِهِ إِلَى تَرْسِيخِ قَوَاعِدِ فَنِّ تَحْقِيقِ نصوص الحديث النبوي وحفظها أو أن غيره لم يتوصل إلى المطلوب كما ينبغي. فهو يبين هذا التفرد والخصوصية في كتابه «الإلماع» بقوله: «وَقَدْ تَقَصَّيْنَا وَجْهَ الْإِجَازَةِ بِمَا لَمْ نُسَبِّقْ إِلَيْهِ، وَجَمَعْنَا فِيهِ تَفَارِيقَ الْمَجْمُوعَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُشَافَهَاتِ وَالْمُسْتَنْبَطَاتِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ»²⁰. وقال أيضاً: «وَلَمْ يَغْتَنِ أَحَدٌ بِالْفَصْلِ الَّذِي رَغِبْتُهُ كَمَا يَجِبُ، وَلَا وَقَفْتُ فِيهِ عَلَى تَصْنِيفٍ يَجِدُ فِيهِ الرَّاعِبُ مَا رَغِبَ، فَأَجَبْتُكَ إِلَى بَيَانِ مَا رَغِبْتَ مِنْ فُضُولِهِ، وَجَمَعْتُ فِي ذَلِكَ نَكْتًا غَرِيبَةً مِنْ مُقَدِّمَاتِ عِلْمِ الْأَثَرِ وَأُصُولِهِ، وَقَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ أَبَوَابًا مُخْتَصِرَةً فِي عَظَمِ شَأْنِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَشَرَفِ أَهْلِهِ، وَوُجُوبِ السَّمَاعِ وَالْأَدَاءِ لَهُ وَنَقْلِهِ وَالْأَمْرِ بِالضَّبْطِ وَالْوَعْيِ وَالْإِتْقَانِ، وَخَتَمْتُهُ بَبَابٍ فِي أَحَادِيثِ غَرِيبَةٍ، وَنَكْتٍ مُفِيدَةٍ عَجِيبَةٍ مِنْ آدَابِ الْمُحَدِّثِينَ وَسِيرِهِمْ وَشَوَارِدِ مَنْ أَفَاصِيصِهِمْ وَخَبَرِهِمْ»²¹.

وإجمالاً يمكن القول: إن العلماء المغاربة قد جسدوا بالفعل نموذجاً للمدارس التي تمكنت من خدمة الحديث النبوي الشريف حفظاً وتدويناً وتحقيقاً، ممثلة في شخص القاضي عياض منظرًا وممارسًا لهذا العلم، مما حول له لأن يكون له فضل السبق في مجال التحقيق العلمي وفي حفظ الحديث النبوي عامة.

المطلب الثالث: آثار جهود القاضي عياض من خلال كتابه «الإلماع»

وقد كان لجهود القاضي عياض العظيمة آثار أعظم في حفظ النصوص الحديثية، ولتيسير لطالب العلم، خاصة بعد أن قل الاعتماد على السماع من الشيوخ وكثرة النقل من الكتب. ومن هذه الآثار ما يلي:

1 - حفظ النصوص من الضياع والاندثار: يقول القاضي عياض في ذلك: «وَالْحَالُ الْيَوْمَ دَاعِيَةٌ لِلْكِتَابَةِ لِانْتِشَارِ الطُّرُقِ وَطُولِ الْأَسَانِيدِ وَقِلَّةِ الْحِفْظِ وَكَلَالِ الْأَفْهَامِ»²². فلو لا الكتابة والتدوين لضاعت النصوص.

2 - الأمن من الوقوع في الوهم والخطأ والتصحيف والتحريف. يقول القاضي عياض: «لَا جَرَمَ بِحَسَبِ هَذَا الْخَلَلِ وَتَظَاهِرِ هَذِهِ الْعِلَلِ مَا كَثَرَ فِي الْمَصْنُفَاتِ وَالْكَتَبِ التَّغْيِيرَ وَالْفُسَادَ، وَشَمِلَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْمُتُونِ وَالْإِسْنَادِ، وَشَاعَ التَّحْرِيفُ وَذَاعَ التَّصْحِيفُ وَتَعَدَّى ذَلِكَ مَنْشُورَ الرُّوَايَاتِ إِلَى مَجْمُوعِهَا وَعَمَّ

20 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 107.

21 - السابق، القاضي عياض، ص: 5.

22 - نفسه، ص: 149.

أصول الدواوين مع فروعها حتى اعتنى صباة أهل الإتقان والعلم وقليل ما هم بإقامة أودها ومعانة رمدها فلم يستمر على الكافة تغييرها جملة...»²³.

3 - التثبت في نقل ونسبة النص: قال الفقيه القاضي عياض رضي الله عنه: «الذي ذهب إليه أهل التحقيق من مشايخ الحديث وأئمة الأصوليين والنظار أنه لا يجب أن يحدث المحدث إلا ما حفظه في قلبه أو قيده في كتابه وصانه في خزائنه، فيكون صوته فيه كصوته في قلبه حتى لا يدخله ريب ولا شك في أنه كما سمعه وكذلك يأتي لو سمع كتاباً وغاب عنه ثم وجدته أو أعاره ورجع إليه وحقق أنه بخطه أو الكتاب الذي سمع فيه بنفسه ولم يرتب في حرف منه ولا في ضبط كلمة ولا وجد فيه تغييراً فمتى كان بخلاف هذا أو دخله ريب أو شك لم يجز له الحديث بذلك، إذ الكل مجمعون على أنه لا يحدث إلا بما حقق وإذا ارتاب في شيء فقد حدث بما لم يحقق أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم ويخشى أن يكون مغيراً فيدخل في وعيد من حدث عنه بالكذب وصار حديثه بالظن والظن أكذب الحديث»²⁴.

4 - تخريج الكتاب والنص صحيحين إلى أيدي من يطلبهما»²⁵.

أ - ضبط النصوص وصيانتها: مراعاة للفوارق واختلاف الأفهام «يجب شكل ما أشكل وما لا يشكل. وهذا هو الصواب لا سيما للمبتدئ وغير المتبحر في العلم فإنه لا يميز ما أشكل مما لا يشكل ولا صواب وجه الإعراب للكلمة من خطئه»²⁶.

ب - الحفاظ على ألفاظ الحديث خشية الوقوع في الغلط وتغيير معاني الحديث.

ج - تقديم قراءة صحيحة للنصوص: يقول الدكتور عباس رحيلة: «إن الهدف الجوهرى من التحقيق العلمى للمخطوط اليوم هو أن تقدم قراءة صحيحة له تراعى فيها الدقة والضبط وفهرسة محتوياته، فالمبدأ الأول في تحقيق النص هو الحرص على توثيقه والتشدد في تصحيحه، ولهذه الغاية عقد عياض باباً في «تحقيق التقييد والضبط والسماح ومن سهل في ذلك وشدد» وأكد فيه أن «الكل مجمعون على أنه لا يحدث إلا بما حقق»²⁷. فالمحقق اليوم كما كان بالأمس يجمع نسخ المخطوطة، ويرتبها من حيث أهميتها، ثم لا بد من المفاضلة بينها، ومن البداهة أن يكون أساس المفاضلة نابعا من طبيعتها

23 - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث، 1/ 3-4.

24 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 135.

25 - قواعد التحقيق عند القاضي عياض من خلال «الإلماع» و«التنبيهات» و«المشارك» بين النظرة والممارسة، حمادي نور الدين ومحمد رشيد علي بوغزال، ص: 296.

26 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 150.

27 - السابق، القاضي عياض، ص: 135.

وأهميتها بالقياس إلى غيرها، ومقابلة النسخ بالأصل هي جوهر التحقيق عند القاضي عياض²⁸. الذي قال: «فَلْيُقَابِلْ نُسخَتَهُ مِنَ الْأَصْلِ بِنَفْسِهِ حَرْفًا حَرْفًا حَتَّى يَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينُ مِنْ مُعَارَضَتِهَا بِهِ وَمُطَابَقَتِهَا لَهُ وَلَا يَنْخَدِعُ فِي الْاعْتِمَادِ عَلَى نَسْخِ الثَّقَةِ الْعَارِفِ دُونَ مُقَابَلَةِ نَعَمٍ وَلَا عَلَى نَسْخِ نَفْسِهِ بِيَدِهِ مَا لَمْ يُقَابَلْ وَيُصَحَّحْ فَإِنَّ الْفِكَرَ يَذْهَبُ وَالْقَلْبُ يَسْهُو وَالنَّظَرُ يَزِيغُ وَالْقَلَمُ يَطْغَى»²⁹.

فهذه جملة من نتائج إسهامات القاضي عياض في خدمة الحديث النبوي الشريف رواية ودراية والمستخلصة من كتاب «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، فرحم الله القاضي عياض الذي استضاءت الأمة الإسلامية بثمرات جهوده التي حفظت السنة النبوية وأبعدت عنها كل شائبة، وأغلقت الباب في وجه المتصدين لها بالباطل.

28 - القاضي عياض ونظراته في منهج تحقيق المخطوط، عباس أرحيلة، مجلة عالم الكتب، مج 16، ع 1، رجب - شعبان 1415هـ / يناير - فبراير 1995، ص: 20-21 بتصرف.

29 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض، ص: 160.





بُشْرَى لِمَنْ خَدَمُوا الْحَدِيثَ بِجُهِدِهِمْ

● شعر: ذ. محمد البلغمي

فاس

حُبِّي لآيَاتِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ * حُبُّ سَرَى فِي مُهْجَتِي كَالسَّلْسَلِ
وَتَشَرَّبْتُ نَفْسِي صَفَاءَ بَيَانِهِ بِحَدِيثِ هَادِنَا النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
كَنَزِّ سَعَى الرُّوَادِ فِي تَدْوِينِهِ وَبِذِكْرِ كُلِّ رَوَاتِهِ بِتَسْلُسَلِ
لَمْ يَفْتَأِ التَّارِيخُ يَذْكُرُ جُهِدَهُمْ فِي مُتَدَيِّ لِلْفِكْرِ أَوْ فِي مَحْفَلِ
فَبَشَّرَ حِهِمْ وَضَحَ السَّبِيلُ... وَأَشْرَقَتْ سُنُنُ الْهُدَايَةِ بِالْبَيَانِ الْأَجَلِ
تَرَكَوْا لَنَا إِرْثًا يُفِيدُ حَيَاتَنَا وَتُرَاثَ عِلْمٍ خَالِدٍ وَمُؤَثَّلِ
غَابَ النَّبِيُّ ، وَلَمْ يَزَلْ بِحَدِيثِهِ فِينَا يُقِيمُ بِنُورِهِ الْمُتَهَلَّلِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا فَاحَ الشَّدَى مِنْ نَفْحِ أَزْهَارٍ وَطِيبِ قَرْنُفَلِ
إِنِّي لِأَشْكُرُ صَادِقًا عُلَمَاءَنَا وَجَزَاهُمْ الْمَوْلَى بَنِيْلِ الْمَأْمَلِ
سَارُوا عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَضَوْا عَلَى دَرْبِ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ
فَقِهُوا كِتَابَ اللَّهِ .. ثُمَّ تَجَنَّدُوا لِبَيَانِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ بِتَعَقُّلِ
وَتَحَمُّلُوا فِي اللَّهِ كُلَّ مَشَقَّةٍ بِثَبَاتِ إِيْمَانٍ بِهِ مُتَأَصِّلِ
بَذَلُوا الْجُهُودَ لِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ السَّيِّدِ الْأَفْضَلِ

وَجَلُّوا مَعَانِيَهُ بِحُسْنِ بَلَاغَةٍ
وَعَدَا الْحَدِيثُ لِمَنْ يُرِيدُ تَفْقُّهًا
بُشْرَى لِمَنْ خَدَمُوا الْحَدِيثَ بِجُهْدِهِمْ
إِنِّي قَصَدْتُكَ يَا إِلَهِی رَاجِیًّا
فَاكْلًا بِحِفْظِكَ أَرْضَنَا وَمَلِكَنَا
وَأَثْبَ عَلَى نَصْرِ الْهُدَى عُلَمَاءَنَا
وَهُمُ النُّجُومُ بِهِمْ نَسِيرُ وَنَهْتَدِي
وَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُنَا وَسَلَامُنَا
مَا أَطْلَعَ الرَّحْمَانُ نُورًا فِي الدُّجَى
تُنْبِيكَ عَنْ جُهْدٍ وَطُولٍ تَأْمَلِ
فِي الدِّينِ وَالتَّفْسِيرِ أَغْذَبَ مَنْهَلِ
وَاللَّهُ يُكْرِمُهُمْ بِأَحْسَنِ مَنْزِلِ
مِنْكَ الْقَبُولَ لِدَعْوَتِي وَتَوْسُّلِي
فَلَأَنْتَ أَعْظَمُ وَاهِبٍ .. مُتَفَضِّلِ
فَهُمُ الْهُدَاةُ بِحَاضِرٍ أَوْ مُقْبِلِ
وَهُمُ الْحِمَاةُ لِصَدِّ كُلِّ مُضِلِّ
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ وَمَنْ يَلِي
وَسَقَى مَرَابِعَنَا بِغَيْثٍ مُسْبِلِ

لاح السنّا

● شعر: ذة. نبيلة حماني

فاس

من عذب نفحك جاءنا طيب الهنا	بك يا نبي الخير قد لاح السنّا
كل الوجود وشعّ هديك بيننا	قد ضاءت الدنيا بنورك وانتشى
ء في الورى تروى به أرواحنا	يا خير من وطأ الثرى .. ومشى ضيا
هذا المدى فأناز ليلاً محزنا	يا خير من سطعت مكارمه على
أبلغتها حقاً عزمك ما ونى	من ذا سينكر في الوجود رسالة
وبنور هديك أشرقت شمس المنى	أنت الذي أفنى ظلام جهالة
والكبر فيه طغى ومنه تمكنا	بمقام صدق جئت تهدي من غوى
جعل السكينة في فؤادك موطننا	فأتيت يا خير الأنام بوحي من
وبنيت دينا خالدا متيقنا	شدت الفضائل كلها أوفيتها
وهب الأمان بهديه كل الدنا	فمحمد بدر مضيء ساطع
غير الظلال نمت وصارت سوسنا	ومحمد غيث سقى بيدا فما
وهو الذي أجلى ضياه الأعينا	هو من بحق شاد مجدا في العلا
بشرا تمادى في الضلال وأدعنا	هو أحمد الهادي الأمين وقد هدى

هو من أباد الكفر في بؤر الخنا	وأعاد ¹ طهر الروح يبهج كالسنا
نصر المهيمن قادم مهما طغى	ظلم فألقى ظله وتشيطنا
ها قد سرى شوق الحبيب محمد	بفؤاد من أرضى الإله وأمنّا
ها قد جري الدمع الغزير فما روى	شوق اللقاء ولا هو الشافي لنا
عاب البغاة مكارم الأخيار حق	دا سافرا يجلو تعاسة من وني
كادوا وما كان الفلاح لهم ولا	نالوا سوى ذل عظيم في الدنا
عند الإله ترى سواد وجوههم	وترى بأن مصيرهم قد أحزنا
فمقام أحمد عند رب الكون لم	يدركه غير المصطفى متمكنا
غزوات أحمد رسّخت قِيما غدت	بعد الظلام شمس صبح بيننا

1 - الوزن يقتضي زيادة الواو لأن القصيدة من الكامل.

الفهرس



افتتاحية

5

ملف العدد

غرض من فيض عناية مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله
بحديث جده سيد المرسلين

9

ذ. محمد مشان (رئيس المجلس العلمي المحلي لجهة الدار البيضاء سطات).

الخصائص الكبرى للدرس الحديثي في الغرب الإسلامي

17

ذ. إدريس ابن الضاوية (رئيس المجلس العلمي المحلي للعرائش).

فقه الحديث عند الإمام المازري من خلال مصنفه «المعلم بفوائد مسلم»

33

ذ. المصطفى زمهني (رئيس المجلس العلمي لجهة بني ملال - خنيفرة).

أبو العباس القرطبي (ت 656هـ) وجهوده في خدمة الحديث النبوي من خلال شرحه

41

على صحيح الإمام مسلم

ذ. إدريس الخرشافي (كلية الشريعة بفاس).

لمحة عن تاريخ المُحدِّثين بالمغرب وبيوتات الحديث فيه في القرن الحالي

53

ذ. توفيق الغلبزوري (رئيس المجلس العلمي المحلي بالمضيق - الفينديق).

التصنيف في أحاديث الأحكام عند المحدثين المغاربة: السمات والخصائص

69

ذ. محمد بنكيران (رئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم الفحص أنجرة).

أعلام الحديث بالمغرب: أحمد بن مبارك السجلماسي الفقيه الأصولي المحدث

83

ذ. محمد ناصري (دار الحديث الحسنية - الرباط).

- 89 من رواد المدرسة الحديثية في الأندلس
 ذة. زينب أبوعلي (كلية الآداب بالرباط).
- 107 عناية علماء المغرب بإملاء جامع الترمذي في حلقات الدرس الحديثي
 ذ. محمد الصقلي الحسيني (كلية الآداب ظهر المهرز - فاس).
- 113 الجهود الحديثية للعلامة الصوفي سيدي محمد بن محمد الحجوجي الحسني التجاني
 ذ. عدنان زُهار (الجديدة).
- 121 جهود المرأة في العناية بالحديث النبوي بالغرب الإسلامي
 ذة. حنان الحداد (الرباط).
- 139 جهود القاضي عياض في خدمة الحديث النبوي الشريف من خلال كتابه «الإلماع
 إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»
 ذة. خديجة بوسبع (بني ملال).
- ديوان العدد**
- 151 بُشْرَى لِمَنْ خَدَمُوا الْحَدِيثَ بِجُهْدِهِمْ
 شعر: ذ. محمد البلغمي (فاس).
- 153 لاح السنا
 شعر: ذة. نبيلة حماني (فاس).

شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- ✓ أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- ✓ أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ✓ التقيد التام بكتابة الآيات القرآنية وفق المصحف المحمدي.
- ✓ الاعتناء التام بعلامات الترقيم، والالتزام بالقواعد المتعارف عليها في تحرير البحوث والمقالات.
- ✓ ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- ✓ في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- ✓ في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- ✓ تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ✓ ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وصفته وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- ✓ البريد الإلكتروني هو: alamihamid49@gmail.com
- ✓ ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- ✓ الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ✓ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ✓ تصنيف البحث أو المقال وتنسيقه تنسيقاً جيداً.
- ✓ هوامش التوثيق والإحالات والمصادر والمراجع تدرج في أسفل الصفحات وليس في آخر البحث أو المقال.
- ✓ يكتب البحث أو المقال بخط Simplified Arabic مع التقيد بالمقاسات الآتية: 14 في النص، و10 في الهامش، و01 ما بين السطور.

ملف العدد المقبل

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في الموضوع الآتي:

إمارة المؤمنين وعنايتها بالمرأة وتعزيز التماسك الأسري

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالمراسم الإسلامية وبشؤون النفاة والعر
تصرفها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية